وزارة المعارف العمومية



جمعه وشرحه

أحمد الإسكندري — أحمد أمين بك — علي الجارم بك
عبد العزيز البشري — الدكتور أحمد ضيف

الجزء الرابع

آدت الصـنعةُ فى أمْتُنِهـا   فهى من تَحْتُ مُشيحاتُ الحُزُم (١)

تَتَّـقِى الأرض بِرُحٍّ وُقُحٍ   وُرُقٍ يَقْعَرن أنبـاكَ الأَكَمْ (٢)

وتَفَـرَّى اللَّحْمُ من تعدائهـا   والتَغالِى ؛ فهى قُبٌّ كالعَجَمْ (٣)

خُلُجُ الشـدِّ مُلِحَّاتٌ إذا   شالت الأيدى عليها بالجِـذَم (٤)

قُدُما تنضـو إلى الدَّاعى اذا   خلَّل الداعى بدعْوَى ، ثم عَمّْ (٥)

بشبـابٍ وكُهُولٍ نُهُـدٍ   كلُيُـوثٍ بين عِرِّيس الأَجَم (٦)

---

(١) آدى : قوى . وصنعة الفرس : حسن القيام عليه والعناية بعلفه وتسمينه ، والأمتن : جمع متن ، وهو الظهر . ومشيحات الحزم : أى أن أحزمتها متقدمة الى الأمام ، أو أنها مرتفعات الحزم لعظم صدرها ومتنها — يعنى أن هذه الخيل قد قوى متونها وأعطمها حسن القيام على علفها حتى إنك لترى حزمها من تحتها مرتفعات جدا لعظم متنها وصدرها .

(٢) الأرح : الحافر العريض ، والجمع رح . ووقح : جمع وقاح ، وهو الحافر الصلب ، وورق : جمع أورق ، وهو الذى لونه ورقة ، وهى سواد فى بياض قليل كلون الرماد ، ويقعرن : يقتلعن ، والأنباك : جمع نبك ، وهى الأرض المرتفعة أو الأكمة المحددة الرأس . أى تتقى تأثير مشيها على الأرض بحوافر صلبة ورقاء تقتلع الآكام .

(٣) تفرى : تشقق ، وتفرت عين : انبجست بالماء ، وكلا المعنيين مناسب ، والتعداء : العدو . والتغالى : شدة الارتفاع ، يريد صعود المرتفعات ، والقب : جمع أقب ، والقبب دقة الخصر وضمور البطن ، وهو من محاسن الخيل ، والعجم : نوى كل شىء (المعنى) أن هذه الفرس يتشقق لحمها وينبجس بالعرق من شدة عدوها وصعودها الآكام وأصبحت لذلك ضامرة البطن دقيقة الخصر يابسة العضل ، كأنها النوى فى يبوستها .

(٤) خلج : جمع خلوج ، وهى السريعة الجرى ، والشد : العدو . والملحات : المنصبات فى الجرى من ألح السحاب : دام مطره ، وشالت الأيدى : ارتفعت . والجذم : جمع جذمة ، وهو السوط .

(٥) قدما تنضو : أى تسبق وتسرع قدما أى تجرى أمامها بدون انحراف ، وخلل : خصص . [illegible] — أى تسرع إن نجدة استغيث فيها [illegible] خصص بالدعوة بدءا [illegible] ثم عمم [illegible] .

(٦) ونهد : جمع ناهد ، وهو الشجاع الذى ينهض إلى كل حرب [illegible] الأسد ، والعريس : مأوى الأسد ، والأجم : الأجمات .

(٩) الحارث بن حلِّزة اليَشْكُرى [١]

من معلقته التى مطلعها :

آذنَتنا بِبَيْنِها أسْماءُ رُبَّ ثاوٍ يُمَلُّ منهُ الثَّواءُ [٢]

* * *

وأتانا مِن الحوادثِ والأنـ ـباء خَطْبٌ نُعنَى به ونُساء [٣]

أن إخوانَنا الأَراقِمَ يَغلُو نَ علينا فى قِيلهم إحْفَاءُ

---

(١) هو الحارث بن حلزة اليشكرى أحد فحول الشعراء المقلين ، وصاحب المعلقة الهمزية المشهورة . كان فى بكر بن وائل بمنزلة عمرو بن كلثوم فى تغلب شجاعة وحماسة وفصاحة وارتجالا . وكثير من الرواة يقولون : إنه ارتجل هذه القصيدة بحضرة الملك عمرو بن هند إثر ملاحاة وجدال بين أعيان بكر وتغلب عند الملك عمرو ، وكان يتعصب لتغلب ، فهاج ذلك الحارث بن حلزة ، وارتجلها على طولها وكثرة غريبها ، يفتخر بقومه وأيامهم فى حروب البسوس مع تغلب ، وفى غيرها - وعمر الحارث طويلا .

(٢) آذنتنا : أعلمتنا ، وبينها : بفراقها لنا ، وثاو : مقيم . أى كثيرا ما تكره إقامة المقيم بين قوم لثقل كافته أو لشره ، وليست أسماء من هؤلاء ، ففراقها شاق علينا .

(٣) نعنى به : نقصد به نحن دون غيرنا . ونساء به : يصيبنا منه سوء ، والأراقم : أحياء من تغلب معادية لبنى بكر قبيلة الشاعر ، ويغلون علينا : يجاوزون الحد فى التقول علينا ، والقيل : القول ، والإحفاء : شدة الإلحاح والاستقصاء (المعنى) بلغنا من الأخبار خبر يقصد به إساءتنا ، وهو أن الأراقم من تغلب يغالون و يتشددون فى نسبة مالم نفعل الينا .

يخلطون البَرِىءَ منّا بذى الذَّنْـ   ـبِ، ولا ينفع الخَلِىَّ الخَلاءُ (١)

زَعَمُوا أنّ كلَّ مَنْ ضَرَب العَيْـ   ـرَ مَوَالٍ لنـا ، وأنَّا الوَلاء (٢)

أجمعوا أمْرَهم عِشاءً فلمّا   أصبحُوا أصبحتْ لهم ضَوْضاء :

من مُنادٍ،ومن مُجيبٍ،ومن تَصْـ   ـهالِ خيل ، خِلالَ ذاك رُغاء (٣)

أيهـا الناطقُ المـرقِّش عنّا   عنـد عَمْرو، وهل لِذاكَ بَقاء (٤)

لا تَخَلْنـا على غِراتِـك ؛ إنَّا   قَبْـلُ ما قد وَشى بنا الأعداءُ (٥)

فبقِيـنا على الشَّـناءةِ تَنمِيـ   ـنا حُصُونٌ ، وعِزَّةٌ قعساء (٦)

قبلَ ما اليومِ بيَّضَتْ بعيون النـ   ـاس فيهـا تَعَيُّـظٌ وإباء (٧)

---

(١) الخلى هنا : الخالى من الذنب ، والخلاء : الخلو من الذنب كذلك ، أى لا تنفع البرىء عندهم براءته من الذنب فهم يأخذونه بذنب المجرم .

(٢) أى فهم يلزموننا ذنوب الناس ولو لم تكن ذنوبهم مما يؤاخذ عليه ؛ فعندهم أن كل من ضرب حمارا مثلا مذنب ، وأنه من موالينا وأنصارنا ، ونحن دون غيرنا ولاته وأنصاره .

(٣) أى يتلمسون أى ذنب ، ويتشاورون فى الليل فى أمر حربنا ، والتعبئة له فلا يصبح الصباح حتى تكون لهم جلبة وضوضاء من مناد الخ . قيل إن هذين البيتين أوجز ما قيل فى وصف التأهب للارتحال وأصدقه وأوضحه تصويرا للحقيقة .

(٤) المرقش : المزين القول بالباطل ، وهل لذلك الخ : أى لتزيينك الباطل دوام .

(٥) لا تخلنا : أى لا تحسبنا ، والغرة : اسم مصدر من الإغراء ، وما زائدة والمفعول الثانى محذوف (المعنى) لا تحسبنا جازعين لإغرائك الملك بنا ؛ فمن قبلك وشى بنا الأعداء فلم يفلحوا .

(٦) الشناءة : البغض ، وتميتنا : ترفعنا . والقعساء : الثابتة ، أى فبقينا على بغضك لنا فى عزة ثابتة وحصون منيعة من أن يصيبنا منكم مكروه .

(٧) قبل ما اليوم : أى قبل اليوم وما زائدة ، وبيضت بعيون الناس : بيضتها أى أعمتها ، والباء زائدة ، والتعيط : الترفع والإباء (المعنى) قبل اليوم أعمت عزتنا القعساء أبصار الناس ، فلا يتطلعون الى إذلالنا ؛ وكان فى عزتنا ترفع وإباء عن أن ننال بسوء .

وكأن المَنُونَ تَرْدِى بنا أرْ عَنَ جَوْنًا يَنجابُ عنه العَماء (١)
مُكْفَهِرًّا على الحوادث لا تَرْ تُوهُ للدهر مُؤْيِدٌ صَمّاء (٢)
أيَّما خُطَّةٍ أردتُمْ فأدُّو ها إلينا تَمشى بها الأمْلاَء (٣)
إن نَبَشْتم ما بين مِلْحَة فالصا قب فيه الأمواتُ والأحياء (٤)
أو نَقَشْتم، فالنقشُ يَجْشَمُه النا سُ، وفيه الصلاحُ والإبراء (٥)
أو سكتم عنّا، فكنّا كمن أغ مَضَ عينًا فى جَفنها أقذاء (٦)

---

(١) تردى : ترمى وترجم ، والباء فى (بنا) للتجريد نظير قولهم : لئن لقيت فلانا لتلقين به الأسد ، أى لتلقين الأسد ، أى هو كالأسد . والأرعن هنا : الجبل الذى له حيود وأطراف تخرج عن معظمه ، والجون : الأسود ، وينجاب عنه : ينشق عنه ، والعماء : السحاب الأبيض (المعنى) كأن المنون اذا رمتنا إنما ترمى جبلا عاليا يشق السحاب ، وذلك من منعتنا وقوتنا .

(٢) وصف هذا الجبل بأنه مكفهر ، والمكفهر من الجبال : الصلب المنيع ، ولا ترتوه : لا تنقصه وتنال منه ، والمؤيد : الداهية . وصماء : لاتسمع إعتذارات — أى أن هذا الجبل منيع على حوادث الدهر لاتنال منه الدواهى الصم .

(٣) الخطة : الأمر يقع بين القوم ، أو الإقدام على الأمر . والأملاء : جمع ملأ ، وهم الأشراف والرؤساء . (المعنى) أى أمر أو طريقة تجرون عليها فى معاملتنا فابعثوها الينا مع سادتكم وسفرائكم .

(٤) ملحة والصاقب : موضعان — أى إن كانت الخطة التى ترضونها أن تثيروا القتال الذى وقع بيننا فى هذين المكانين ففيه أموات وأحياء أى فكانت عاقبته قتلى وأسرى منكم لم تدركوا منا ثأرهم — وحذفت الفاء الواقعة فى جواب الشرط (وهو فيه الأموات الخ .) للضرورة ، أو أن جواب الشرط محذوف تقديره فلنا الفخار بذلك ، أو أن جواب الشرط الآتى جواب له ولهذا .

(٥) أو نقشتم أى دققتم فى الاستقصاء ، ويجشمه : يتكلفه على مشقة . (المعنى) إن دققتم الحساب فيما وقع بيننا وبينكم فان ذلك مع ما فيه من المشقة والكلفة يفضى بنا الى صلاح أمورنا وإبرائنا من العار .

(٦) وإن سكتم عنا فاننا نسكت ، ونغضى أعيننا على القذى لأن الحق فى جانبنا .

أو منعتمْ ما تُسألون فمَن حُـد ... ثتمُـوهُ له علينـا العَـلاء ؟[١]

هل علمتمْ أيامَ يُنتهبُ النا ... سُ غوارًا لِكل حيٍّ عُواء[٢]

اذ ركبْنا الجمالَ من سَعَف البحـ ... ـرين سَيرًا حتى نَهاها الحِساء[٣]

ثم مِلْنا على تميمٍ فأحرمْـ ... ـنا، وفينا بَناتُ مُرٍّ إماء[٤]

لا يُقيم العزيزُ بالبلَدِ السهـ ... ـلِ، ولا ينفعُ الذليلَ النجاء[٥]

ليس يُنجي مُوائلا من حِذارٍ ... رأسُ طَودٍ وحَرّةٌ رَجْلاء[٦]

وقال أيضا من قصيدة يفتخر :

وَلَئن سألتَ إذا الكتيبة أحجمت ... وتبيَّنتْ رِعَةَ الجبانِ الأَهْوَجِ[٧]

وحسبتَ وقعَ سُيوفنا برءوسهم ... وَقعَ السَّحاب على الطِّراف المشرَّجِ[٨]

---

(١) وان منعتم ماتسألون فيه من الصلح والتراضي فمن الذي أخبركم أن له العلو علينا حتى تطمعوا فينا .

(٢) غوارا : أي مغاورة بعض على بعض ، والعواء : الصياح . (المعنى) إن كنتم لا تنتهون عنا فقد علمتم فعالنا وحفظنا لأنفسنا ، بل بغلبنا على غيرنا من قبائل تميم في تلك الأيام التي تعرفونها ، أيام كان الناس ينهب بعضهم بعضا ، و يغير بعضهم على بعض ، وفي كل حي منهم صياح .

(٣) يريد بالسعف النخل ، والحساء : جمع حسي ، وهو الرمل يكون الماء تحته قريبا ، أي هل علمتم إذ ركبنا الجمال من نخل البحرين حتى انتهينا الى الحساء .

(٤) فأحرمنا : أي دخلنا في الأشهر الحرم فامتنعنا عن قتالهم وفينا بناتهم سبايا .

(٥ و ٦) النجاء : الإسراع والفرار ، والموائل : الذي يطلب موئلا أي ملجأ ، والطود : الجبل . والحرة : الأرض ذات الحجارة السوداء . والرجلاء : الغليظة . (المعنى) أن الشدة كانت عامة فلم يقم العزيز في البلد السهل لما فيه من الخوف . ولم ينفع الذليل فراره ولو التجأ الى رأس جبل أو تحصن في حرة غليظة .

(٧) الرعة : الخوف . والأهوج : الأحمق الطائش الطويل .

(٨) السحاب هنا : المطر . والطراف : بيت أو القبة من أدم أي جلد . والمشرج : المخيط بعضه قطعه في بعض . وشبه وقع السيوف على الرءوس بوقع المطر على القبة من الجلد فإن كثرة وقعها وتميز صوت وقعها ؛ لأنه حينئذ يكون كالطبل .

وإذا اللِّقاحُ تروَّحتْ بعَشيَّةٍ ... رَتكَ النعامِ إلى كنيفِ العَرْفَجِ (١)

ألفيْتَنا للضيفِ خيرَ عِمارةٍ ... إن لم يكن لبنٌ نعَطَّفُ المدجَّ (٢)

(١٠) دريد بن الصمة (٣)

قال فى رثاء أخيه :

أرَثَّ جديدُ الحبْلِ مِن أُمِّ معْبَدِ ... بعاقبةٍ ، أم أخلفتْ كلَّ موعِدِ (٤)

---

(١) اللقاح : جمع لقحة وهى الناقة ذات اللبن . وتروحت : رجعت إلى مباركها آخر النهار والرتك : مقاربة الخطو ، والكنيف حظيرة من شجر للإبل . والعرفج : شجر سريع الالتهاب أى وإذا راحت النوق ذوات اللبن الى كنفها المتخذ من شجر العرفج مسرعة إسراع النعام ألفيتنا الخ .

(٢) ألفيتنا : وجدتنا ، والعمارة : هنا العشيرة والأهل . والمدج : قدح الميسر الذى يقامر به أى ان لم يكن لبن عطفنا على القداح فضربناها ونحرنا النوق التى ربحنا للضيف .

(٣) هو دريد بن الصمة أحد فرسان العرب وسيد بنى جشم من قبائل هوازن . و يقال إنه أشعر فرسان العرب وأكثرهم غزوا . وأدرك الإسلام ولم يسلم . وخرج مع قومه فى غزوة حنين ، ولا فضل فيه للحرب ، وانما أخرجوه تيمنا برأيه ، فقتل فى ذلك اليوم . وكان له إخوة ثلاثة قتلوا فى غارات مختلفة ، منهم عبد الله قتله بنو غطفان ؛ لأن دريدا كان أغار عليهم واستاق إبلهم ، فنزل عبد الله فى الطريق ليقتسم الغنيمة فنهاه دريد خوف لحاق غطفان بهم ، فأصر ، فلحقت بهم عند منعرج اللوى فقتلت بنو عبس منهم عبد الله ، وأراد دريد أن ينقذه فلم يغن ، وسقط هو أيضا ، فتماوت ، وظنته غطفان قتيلا ، فنجا ، وهزمت جشم قبيلته . وبقى حزينا على أخيه يرثيه دهرا ، فلامته امرأته أم معبد ، وصغرت شأن أخيه ، فطلقها ، وقال فيها وفى قصة مقتل أخيه هذه القصيدة .

(٤) رث الحبل : بلى ، والمراد عهده من أم معبد ، وبعاقبة أى بآخرة : أى أخيرا ، والاستفهام من باب تجاهل العارف ؛ اذ هو عارف بأنه رث .

وبانت ، ولم أحمد إليك نوالها ... ولم ترج منا ردة اليوم أو غد (١)

كأن حمول الحى إذ متع الضحى ... بناصية الشحناء، عصبة مذود (٢)

أو الأثأب العم المحرم سوقه ... بكابة لم يخبط ، ولم يتعضد (٣)

فقلت لعارض وأصحاب عارض ... ورهط بنى السوداء، والقوم شهدى (٤)

علانيـة : ظنوا بألفى مدجج ... سراتهم فى الفارسى المسرد (٥)

وقلت لهم : إن الأحاليف هذه ... مطنبة بين الستار وثهمد (٦)

ولما رأيت الخيل قبلا كأنها ... جراد يبارى وجهة الريح مغتدى (٧)

أمرتهم أمرى بمنعرج اللوى ... فلم يستبينوا الرشد إلا ضحى الغد (٨)

---

(١) وبانت : بعدت ، ونوالها : خيرها ، والردة : الرجوع . (المعنى) بانت أم معبد غير حميدة الصحبة ، فلا ترجو منا ردة لطلاقها .

(٢) الحمول : جمع حمل بالكسر : ما يحمل على الإبل مثلا ، ومتع الضحى : بلغ آخر غايته ، وهو الضحى الأكبر ، والعصبة بفتح فسكون الشجرة تعلق فى شىء عال فتكون كالخيمة عليه كشجر اللبلاب ونحوه ، ومذود : اسم جبل (المعنى) كأن حمول الحى عند ترحلهم عصبة عاقت فى عرانين الجبل .

(٣) الأثأب : شجر . والعم : العظيم . والمحرم : الممنوع قطع سوقه . وكابة : موضع . ولم يخبط أى لم تعصب فروعه وتخبط بالعصى فيكسر ولم يتعضد أى يقطع .

(٤) عارض : أخ له حضر غزاتهم هذه ، ورهط بنى السوداء أصحاب أخيه عبد الله .

(٥) علانيـة : جهرة ، ظنوا أى أيقنوا أن سيلحقكم ألفا مدجج بالسلاح ، والفارسى : الدرع . والمسرد : المتتابع الحلق ، أى أنه ضيق النسج .

(٦) الأحاليف : جمع أحلاف وهم المتحالفون على نصرة بعضهم لبعض ، ومطنبة : ضاربة الأطناب بين هذين المكانين .

(٧) قبلا : أى عيانا ومقابلة ، يبارى : يسابق ، ومغتد : أى فى الغداة .

(٨) بمنعرج اللوى : المكان الذى نزله أخوه .

فلما عَصَوْنى كنتُ منهم ، وقد أرى　　غَوايتهم أنى بهم غيرُ مهتدى (١)
وهل أنا إلا من غَزِيَّةَ ؟ إن غَوَتْ　　غَوَيْتُ وإنْ تَرْشُدْ غَزِيَّةُ أَرْشُدِ (٢)
دعانى أخى ، والخيل بينى و بينه　　فلما دَعانى لم يجِدْنى بقُعْدُدِ (٣)
أخ أرضعتْنى أمُّه من لبانها　　بِثَدْيِ صَفاءٍ بيننا لم يُجَدَّدِ (٤)
فجئتُ إليه ، والرماحُ تَنُوشُهُ　　كوقْعِ الصَّياصِى فى النَّسيجِ المُمَدَّدِ (٥)
وكُنتُ كذاتِ البَوِّ رِيعَتْ فأقبلتْ　　إلى قِطَعٍ من جِلدِ بَوٍّ مُجَلَّدِ (٦)
فطاعنتُ عنه الخيلَ حتى تَنَهْنَهَتْ　　وحتى علانِى حالكُ اللون أسود (٧)
قِتالَ امرئٍ آسَى أخاهُ بنفسه　　ويعلمَ أنَّ المرءَ غيرُ مُخَلَّدِ (٨)
تنادَوْا ، فقالوا : أردتِ الخيلُ فارسا !　　فقلتُ : أعبدُ الله ذلكم الرَّدِى ؟ (٩)
فإن يكُ عبدُ الله خَلَّى مكانه　　فما كان وقَّافًا ولا طائشَ اليدِ (١٠)

---

(١) كنت منهم أى كنت على رأيهم مع أنى أراهم غاوين ضالين وأنى غير مهتد باتباعهم .

(٢) غزية : حى من جشم ، وهم رهط در يد الأدنون .

(٣) القعدد : الجبان يقعد عن نصرة قومه ، أى أنى عطفت عليه لإنقاذه .

(٤) لم يجدّد : لم يقطع رضاعها له حتى أتم مدّة الرضاع .

(٥) تنوشه : تتناوله بالطعن . والصياصى : جمع صيصاة : شوكة يسوّى بها الحائك نسجه .

(٦) البو : ولد الناقة والبقرة ، يحشى جلده تبنا ، فتجد رائحته فيه ، فترأمه وتدر اللبن له .

(٧) تنهنهت : كفت . أسود بالضم ، وفيه عيب الإقواء . وهو اختلاف حركة الروى أى الحرف الأخير فى الاعراب . وقيل انه على تقدير ياء نسب مخففة للوزن ، وأنه أسودى والياء للبالغة .

(٨) قتال امرئ : أى قاتلت عنه قتال امرئ فادى أخاه بنفسه .

(٩) أردت : أهلكت ، والردىّ : الهالك .

(١٠) **وقافا** : هيابا يقف عن القتال جبنا ، ولا طائش اليد . أى مخطئ اليد فى الضرب والرمى .

وَلا بَرَمًا إمّا الرياحُ تناوحَتْ … بِرَطْبِ العِضاهِ والضَّريعِ المُعَضَّدِ (١)
وتُخْرِجُ منه صِرَّةُ القُرِّ جُرأةً … وطُولُ السُّرى دُرِّيَّ عَضْبٍ مُهَنَّدِ (٢)
كَميشُ الإزارِ خارجٌ نِصفُ ساقِه … صَبورٌ على الضَّرّاءِ طَلّاعُ أَنْجُدِ (٣)
قليلٌ تشكّيهِ المصيباتِ ذاكرٌ … مِن اليومِ أعقابَ الأحاديثِ في غدِ (٤)
اذا هَبَطَ الأرضَ الفضاءَ تَزَيَّنَتْ … لِرُؤيتِهِ كالمَأْتَمِ المُتَنَدِّدِ (٥)
وكم غارةٍ بالليلِ واليومِ قبلَهُ … تداركَها مِنّي بِسِيدٍ عَمَرَّدِ (٦)
سليمُ الشَّظى عَبْلُ الشَّوى شَنِجُ النَّسا … طويلُ القَرا نَهْدٌ أسيلُ المُقَلَّدِ (٧)
يَفُوتُ طويلَ القومِ عَقْدُ عِذارِه … مُنيفٌ كجِذعِ النَّخلةِ المُتَجَرِّدِ (٨)

(١) البرم: من لايدخل مع القوم فى الميسر ضنا بالجزور، وكانوا يطعمون لحومها الفقراء، وإما الرياح: إن شرطية وما زائدة، وتناوحت: هبت من كل ناحية، وذلك زمن البرد والشتاء، والعضاه: الشجر الشائك. والضريع: نبات لا تقربه الدواب لخبثه، والمعضد: المقطع.

(٢) صرة القر: شدة البرد، والسرى: السير بالليل — أى وتخرج منه شدة البرد وطول السرى رجلا ماضيا فى الأمور كأنه السيف المهند اللامع.

(٣) كيش الإزار: إما أن يكون كناية عن خفته وسرعته، و إما أنه لا يطيل إزاره كالمترفين المشبهين بالنساء بل إن نشاطه يستدعى أن يقصر ثو به بحيث يظهر نصف ساقه. وطلاع أنجد: كناية عن اقتحام الصعاب، والأنجد: جمع نجد.

(٤) أى يحسب حساب العواقب، فلا يقول اليوم ما يحاسب عليه غدا.

(٥) المأتم فى الأصل مجتمع الرجال والنساء فى الغم أو الفرح، ثم خص به اجتماع النساء للموت، والتنديد: رفع الصوت. والمعنى إذا نزل أرضا اجتمع الناس حوله وارتفعت أصواتهم فى قضاء الحوائج ونحو ذلك.

(٦) أى تداركها عنى بفرس يشبه ذئبا شرسا.

(٧) الشظى: العظم اللازق بالساعد أو الساق، والعبل: الضخم. والشوى: الأطراف. والنسا عصب يجرى فى الفخذ والساق. والشنج: المتقبض، وهو مدح فى الفرس. والقرا: الظهر. والأسيل: الأملس المستوى. والمقلد: العنق.

(٨) وصف هذا الفرس بارتفاع رأسه، فقال يفوت الخ. والعذار من اللجام: ما سال على خد الفرس وعقده على رأسه خلف أذنه. يعنى أن أعلى رأسه أطول من قامة رجل طويل، ومنيف: عال، والمتجرد من النخيل: الذى زالت أصول كربه فصار أملس. ثم رجع الى رثاء أخيه فقال: وكنت الخ.

وكنتُ كأنّى واثق بمُصـدَّرٍ يُمَشّى بأكنافِ الجُبَيلِ فتَهْمَـد (١)
له كُلُّ مَنْ يَلْقَ من الناسِ وَاحدًا وإن يَلْقَ مَثْنَى القَوْمِ يفرَحْ ويَزْدَدِ (٢)
وهَوَّنَ وَجْدِى أنّنِى لم أقُـلْ له : كَذَبتَ ،ولم أبْخَل بما مَلَكتْ يَدِى (٣)

(١١) قال عَلْقَمة بن عَبَدَة التميمى : (٤)

طحَا بكَ قَلْبٌ فى الحِسانِ طَرُوبُ بُعَيدَ الشَّبابِ عَصْرَ حانَ مشيبُ (٥)
يُكلّفُنى لَيْـلَى ، وقد شَطَّ وَلْيُهـا وعادَتْ عَوادٍ بينَنـا وخُطوب (٦)

---

(١) المصدّر : الأسد . والجبيل وثهمد : موضعان — أى وكنت عند ثقتى بأخى كأنى واثق بأسد يمشى بأكناف الجبيل فثهمد .

(٢) أى له مقاتلة كل منفرد يلقاه من الناس فاذا لقى اثنين لم يجبن عنهما ، بل يفرح ويزداد فرحا ويحمل عليهما .

(٣) أى طيب نفسى أنى لم أجفه ، ولم أبخل عليه بما ملكت يدى فلم ألم نفسى بعد قتله بأنى لم أقم بحقه ، وجعل لم أقل له كذبت كناية عن الجفاء .

(٤) هو علقمة الفحل بن عبدة بن ناشرة التيمى ، شاعر جاهلى مجيد من أقران امرئ القيس . مات قبل الإسلام بزمن طويل . وإنما قيل له «الفحل» من أجل أن يتميز فى الأخبار من شاعر آخر فى قبيلته أيضا يسمى علقمة الخصى بن سهل ، ويكنى أبا الوضاح أدرك الإسلام ، وأسلم . وقيل سمى «الفحل» لأنه خلف امرأ القيس على زوجته بعد أن طلقها ؛ لأنها فضلت علقمة عليه حين حكماها فى شعرهما .

(٥) طحا به قلبه : ذهب به كل مذهب ، والطروب : من الطرب ، وهو خفة السرور والشوق الى الشىء ، وبعيد : تصغير بعد — وحان المشيب : قرب ، أو آن أوانه — أى أضلك قلبك الطروب فى حب الحسان بعد ما ذهب الشباب وقرب المشيب — والخطاب لنفسه . ثم التفت وتكلم عن نفسه فقال : يكلفنى الخ .

(٦) وشط وليها : بعد عنك قربها ودنوها ومواصلتها — وعادت : شغلت وصرفت ، مقلوب عداه عن الأمر : صرفه ، والعوادى : جمع عادية ، وهى الأمر الشاغل عن الشىء . والخطوب : جمع خطب ، وهو الأمر العظيم من حوادث الدهر . (المعنى) أن قلبى هذا يكلفنى حب ليلى مع أنها بعدت عنه ، وعز عليه قربها ، وحالت بينه وبينها حوائل وشواغل وحوادث صوارف عنها .

مُنَعَّمَــةٌ ، ما يُستطاعُ كلامُها ... على بابِهـا مِن أن تُزارَ رَقيب (١)
إذا غاب عنها البَعْلُ لم تُفشِ سِرَّهُ ... وتُرضِى إيابَ البَعلِ حِينَ يؤُوب (٢)
فلا تَعــدِلى بينى وبيـن مُغَمَّر ... سَقَتكِ رَوايا المُزْنِ حين تصوب (٣)
سَــقاكِ يَمــانٍ ذو حَبِيٍّ وعارض ... تروحُ به جُنْحَ العَشِيِّ جَنُــوب (٤)
وما أنتَ ؟ أم ما ذِكرُها رَبَعِيَّــةً ... يُخَــطُّ لهـا من ثَرْمَدَاءَ قَليب (٥)
فإن تسألونى بالنســاءِ فإننى ... بَصــير بأَدواءِ النســاءِ طبيب (٦)
إذا شابَ رأسُ المرءِ أَوْ قلَّ مالُه ... فليسَ له من وُدِّهِنَّ نَصيب
يُرِدْنَ ثَراءَ المــالِ حيثُ عَلِمْنَه ... وشَرْخُ الشبـاب عندهُن عَجيبُ (٧)

(١) منعمة : من النعيم فهى محجبة يعنى بحراستها أهلها .

(٢) لم تفش سره : كناية عن أنها لم تخنه ، ولذلك هى ترضى إيابه فلا يعجبها غيره ، وإذا قرئ وترضى (بالضم) كان المعنى وتجعل إيابه رضيا حميدا بألا يشك فى صونها .

(٣) فلا تعدلى : أى فلا تسوّى ، والمغمر من الرجال : المحمق الذى يستجهله الناس ، سقتك الخ : يدعو لها بأن تسقيها المزن الروية أى التى تروى حين تمطر — يريد أنه رجل عاقل نبيل ينبغى لها أن تحرص عليه . ثم عاد الى الدعاء لها فقال : سقاك الخ .

(٤) أى سـقاك سحاب يمـان أى يأتى من ناحية جنوبى نجد . أصـله يمنىّ خففوا ياء النسب ، وزادوا الألف عوضا عنها ، فعومل المنسوب معاملة المنقوص ، الحبىّ : السحاب المتراكم بعضه على بعض ، فيكون سـيره بطيئا ، كأنه يحبو ، ويكون لذلك مطره غزيرا ، والعارض : السحاب المعترض فى الأفق ، والجنوب : الريح الجنوبية . (المعنى) سقاك سحاب يمان مركوم . وسقاك سحاب عارض تسوقه فى الليل ريح جنوبية . ثم عدل عن هذا ، وقال : وما أنت الخ .

(٥) وما أنت : ما استفهاميــة للتعجب وأم للاضراب بمعنى بل ، أى ما شأنك ؟ بل ما الداعى لذكرك ليلى ، وهى ربعية من ربيعة وأنت تيمى ، وقد رحلت الى بلادها حيث خط لها فى ثرمداء قليب . والقليب البئر وثرمداء موضع . ثم أخذ يصف أخلاق النساء وطباعهن ، فقال : فإن تسألونى الخ .

(٦) الأدواء : جمع داء ، أى بطباعهن المعيبة التى بمنزلة الأمراض فيهن .

(٧) الثراء : الكثرة ، أى يحببن من يعلمن عنده مالا . وشرخ الشباب أوّله ، وعجيب : معجب .

فدعْها ! وسلِّ الهمَّ عنكَ بجَسْرةٍ كَهَمِّكَ فيهـا بالرداف خَبيبُ (١)
الى الحارث الوَهَّاب أعملتُ ناقتى بِكَلْكلِها والقُصْرَيَيْن وجيب (٢)

(١٢) قال سَلامةُ بنُ جَندَل السعدى التميمى : (٣)

أودَى الشبابُ حميدًا ذو التعاجيب أودى ، وذلك شأوٌ غيرُ مطلوب (٤)
وَلّى حَثيثًا ، وهذا الشيبُ يتبعهُ لو كانَ يُدركه رَكضُ اليَعاقيب (٥)
أودى الشبابُ الذى مجدٌ عواقبُه فيــه نَلَذُّ ، ولا لَذَّاتِ للشيب (٦)

---

(١) الجسرة : الناقة القوية الماضية ، وكهمك أى مثل همتك فى المضاء والقوة ، والرداف : جمع رديف ، والرديف والردف : كل شىء يكون خلف الراكب ، ولو حقائب . والخبيب : السير السريع . (المعنى) أى فدع ليلى هذه ، وسل الهم عنها برحلة على ناقة قوية سريعة مثل همتك فى المضاء والنفاذ ، وفى سيرها سرعة ولو حملت خلف الراكب لها عدة أثقال .

(٢) والحارث الوهاب : يريد به الحارث بن جبلة بن أبى شمر الغسانى ، وكان أسر أخاه شاسا ، فرحل اليه يطلب خلاصه وفكه ، وأعمل الناقة : وجهها وأجهدها ، والكلكل : الصدر وما بين الترقوتين ، وهو المناسب هنا ، والقصريان : ضلعان تليان الترقوتين ، والوجيب : خفقان القلب . أى أنه لشدة إجهادها فى السير اشتد نبض قلبها ، وبان ذلك فى كلكلها وقصريها لقرب القلب منهما .

(٣) شاعر جاهلى مجيد من فرسان تميم ، وشعره متين سلس صحيح الرواية ، وكان معاصراً لعمرو بن هند والنعمان بن المنذر .

(٤) أودى : هلك وزال ، والتعاجيب : العجائب ، والشأو : الغاية . (المعنى) مضى الشباب ذو العجائب محمودا بما كان فيه من اللذات العجيبة ، مضى وأصبح الآن غاية لا تدرك .

(٥) حثيثا : سريعا ، واليعاقيب : جمع يعقوب ، وله معان : منها أنه ذكر القطا والحجل ، وملكة النحل ، والعقاب ، والخيل المشبهة بيعاقيب الحجل فى الركض لسرعتها ، وكلها مناسبة هنا ، ولو هنا : للتمنى .

(٦) المجد : الكرم وشرف الفعال . (المعنى) زال الشباب الذى انتهى بفعال كلها شرف وكرم .

يومانِ يومُ مقاماتٍ وأنديةٍ ... ويومُ سيرٍ الى الأعداء تأويب (١)

همّتْ معدٌّ بنا همًّا فنهنهها ... عنّا طِعانٌ فضربٌ غيرُ تذبيب (٢)

بالمَشْرَفِيّ ومصقولٍ أسنّتها ... صُمّ العوامل صَدْقاتِ الأنابيب (٣)

يجلو أسنّتها فتيانُ عاديةٍ ... لا مُقرفين ولا سُودٍ جعابيب (٤)

سوّى الثّقافُ قناها ، فهي مُحكمةٌ ... قليلةُ الزّيغ من سَنٍّ وتركيب (٥)

زُرقًا أسنّتُها حُمرًا مُثقّفةً ... أطرافُهنّ مَقيلٌ لليعاسيب (٦)

كأنّها بأكفّ القوم إذ لحقوا ... مواتحُ البئر أو أشطانُ مَطلوب (٧)

---

(١) يومان : أى لنا يومان ، والتأويب : السير السريع ، أى أن لنا يومين : يوما نجلس فى المقامات والأندية للسمر أو للتشاور ، و يوما نسير الى الأعداء سيرا سريعا .

(٢) معدّ : الشعب العظيم الذى يشمل ربيعة ومضر ، ونهنهها : كفها ، و يقال : طعان غير تذبيب : اذا بولغ فيه ، وجعله هنا صفة للضرب أى همت قبائل معد بقتالنا مرة فكفها عنا طعاننا وضربنا الشديدان .

(٣) بالمشرفى : بالسيف المنسوب الى مشارف الشام ، وهى القرى العربية التى على حدود الشام تجلب منها السيوف المشرفية ، ومصقول أسنتها : أى وبرماح مصقول أسنتها ، وعامل الرمح : صدره أى الجزء الذى يلى منه السنان ، والصدق : الصلب المستوى من الرماح . والأنابيب : كعوب الرماح .

(٤) العادية : أوّل جماعة تحمل من الرجالة أو الفرسان ، والمقرف : الذى تكون أمه عربيـة وأبوه أعجميا بعكس الهجين ، والجعابيب : جمع جعبوب وهو الضعيف النذل لا خير فيه ، أو القصير الدميم .

(٥) الثقاف : الآلة التى يسوى بها الثقاف الرماح أى يسوّيها ، وهى خشبة فى وسطها ثقب ، الزيغ : الميـل والعوج ، ولا يريد أن بها زيغا قليلا بل لا زيغ فيها . والسن : تركيب السنان أى أن أسنتها ركبت فيها معتدلة غير معوجة .

(٦) والمقيل : القيلولة فى الظهر ، واليعاسيب : جمع يعسوب ، وهو عظيم النحل . (المعنى) سوى الثقاف القنا زرقا أسنتها حمرا مثقفة فكانت أطرافهن مكانا لتعلق رءوس السادات من الأعداء .

(٧) المواتح : الحبال الطويلة التى يمتح بها البئر أى ينزح ماؤها ، والأشطان : الحبال الطويلة . مطلوب : اسم بئر بين المدينة والشام بعيدة القعر .

كِلَا الفريقين : أعلاهُمْ وأسفلُهم ... يشــقَى بأرماحِنــا غيرَ التكاذيب (١)

إنى وَجَدتُ بَنِى ســعْد يُفضِّلُهُم ... كُلُّ شِهاب على الأعداء مشبوب (٢)

إلى تمــيمٍ حُمــاةِ العِــزِّ نِسبتُهُمْ ... وكلِّ ذِى حَسَب فى الناس منسوب (٣)

قومٌ إذا صَرَّحَت كَحْلٌ بيوتُهـمُ ... عِزُّ الذليلِ، ومأوى كلِّ قُرضوب (٤)

يُنجيهم من دواهِى الشر إن أزمَتْ ... صَبْرٌ عليها ، وقِبصٌ غيرُ محسوب (٥)

كُنَّا نَحُــلّ إذا هبّتْ شَآمِيَــةٌ ... بكل وادٍ حَطيبِ الجَوْف مجدوب (٦)

شيبِ المُبَارِكِ مَدرُوس مدافعُه ... هابِى المَرَاغِ قليل الوَدْق مَوْظوب (٧)

---

(١) غير التكاذيب : أى غير ذوى التكاذيب ، جمع تكذيب وهو أن يحمل الفارس على الأعداء ، ثم لا يصدق الحملة ، فيرتد عنهم جبنا . (المعنى) كلا الفريقين من الأعداء ، الأشراف منهم والوضعاء ، أصيبوا برماحنا إلا من فرّ منهم جبنا .

(٢) بنو سعد بطن من تميم قوم الشاعر . (المعنى) إنى وجدت قومى يفضلهم على الناس أن كل شجاع فيهم بمنزلة الشهاب المتقد على الأعداء .

(٣) نسبة بنى سعد الى تميم والى كل ذى حسب معروف النسب .

(٤) الكحل : السنة الشديدة الجدب ، والقرضوب : الفقير الذى لا يصيب شيئا إلا أكله .

(٥) أزمت : عضت . والقبص : العدد الكثير لا يقدر على حسبه من كثرته . ثم وصف صبرهم على الشدائد والجدب بالبيتين الآتيين .

(٦) الريح الشآمية : باردة واذا هبت فى الشتاء ، وهو زمن الجدب عندهم،كانت أبرد . (المعنى) نصبر على الجدب ونحل الوديان المجدوبة التى ليس بها إلا الحطب .

(٧) شيب : يعنى أن مبارك إبلهم فى الوادى المجدوب الذى نزلوه شيب أى بيض من الغبار والجدب لا خضرة فيها ، أو من الصقيع لأنهم ينزلونه زمن الشتاء . والمدروس : العافى الممحو المعالم . والمدافع : جمع مدفع ، وهو مجرى المياه ، وهابى المراغ أى أن المكان الذى تمرغ فيه إبلهم هاب لقلة المطر الذى يثبته ، والموظوب : الذى قد وظب حتى أكل ما فيه . (المعنى) هذا الوادى الذى نضطر الى الإقامة فيه زمن الشتاء — مباركه بيض لا خضرة فيها أو أن الصقيع كساه بالبياض ، ومجارى مياهه مدروســة لعدم المياه التى تجرى فيها ، ومراغ إبله هاب بالتراب والغبار ، وقد أكل كل ما فيه من العشب ، فلم يبق فيه شىء يرعى . يصف قومه بالجلد والصبر على الشدائد .

كنا اذا ما أتانا صارخٌ فزِعٌ … كان الصُراخُ له قَرْعَ الظنابيب
وشدُّ كَوْرٍ على وجناءَ ناجيةٍ … وشدُّ سَرْجٍ على جرداءَ سُرحوب
يقالُ : محبِسُها أدنى لمرتَعِها … وإن تعادَى ببَكْءٍ كلُّ محلوب (٣)
حتى تُرِكْنا، وما تُثْنَى ظعائنُنا … يأخذْنَ بين سواد الخَطِّ فاللُّوب (٤)

(١٣) وقال عَبْدُ يَغُوثَ الحارِثِى : (٥)

ألَا لا تلومانى كفى اللومَ ما بِيَا … فما لكُما فى اللوم خيرٌ ولا لِيا (٦)
ألم تعلَما أن الملامةَ نفعُها … قليلٌ وما لومى أخى من شماليا (٧)

(١) ظنابيب : جمع ظنبوب، وهو حرف عظم الساق من أمام . أى اذا إستصرخ بنا واستنجد مستغيث أسرعنا فى نجدته . وهو مثل يضرب للتهيؤ للأمر بسرعة . وأصله من قرع ظنابيب الإبل لتبرك سريعا فتركب . وفسر هذا التهيؤ بالبيت الآتى .

(٢) الكور : الرحل الذى يوضع على ظهر الناقة ليركب عليها ، والوجناء : الناقة الصلبة الجسم ، والناجية : السريعة السير، والجرداء : الفرس القصيرة الشعر وذلك من محاسنها : والسرحوب : الطويلة .

(٣) يقال محبسها الخ يعنى يقال فى وصفها : إن محبس هذه الإبل وهذه الخيل على الجدب ومقابلة العدو على الثغر ومواضع المخافة — أدنى وأقرب وأولى من أن ترتع وتخصب فتضيع الثغر . وتعادى : تبارى فى العدو، والبكء : قلة اللبن فى المحلوب . أى ولو جرت النوق التى تحلب بلبن قليل لقلة رعيها .

(٤) تثنى : ترجع و يرد بعضها على بعض أى تمنع عن سيرها وتحال دونه . والظعينة : المرأة المسافرة فى هودجها ، وسواد الخط : يريد بلاد الخط من ساحل البحرين ، واللوب : الحجارة السود، وتكون فى الجبال الغربية من بلاد العرب . (المعنى) ما زلنا ندافع العدو حتى ترك لنا البلاد فأصبحت ظعائننا يسرن ما بين سواحل البحرين الى حدود الحجاز، لا يثنيهن العدو عن طريق

(٥) هو عبد يغوث بن وقاص الحارثى اليمنى أسر يوم الكلاب وهو يوم بين تميم واليمن ، وقد أسرته تيم الرباب وهو شاعر فارس مقدم فى قومه ينتمى الى بيت معرق فى الشعر .

(٦) أى كفى اللوم ما أنا فيه : فلا تحتاجون الى لومى مع ما ترون من أسرى وجهدى .

يقول : ليس لومى أخى من شمائلى أى أخلاقى

فيــا راكبًا إمَّا عَرَضْتَ فبلغن   نداماىَ من نَجرانَ أنْ لا تلاقيــا
أبا كَرِب والأيْهَمَـين كِليهـــما   وقَيْسًا بأعلَى حضرَموتَ اليمَـانيا (١)
جزى الله قومى بالكُلاب مَلامةً   صريحَهُـــمُ والآخَرِينَ الَموالِيـا (٢)
ولو شئتُ نجّتْنى من الخيل نَهْدةٌ   ترى خلفَها الحُـوَّ الجيادَ تَواليـا (٣)
ولكنَّنى أحمِى ذِمارَ أبيكُمُ   وكان الرماحُ يَختطفن المُحاميا (٤)
أقولُ وقد شَدُّوا لسانى بِنِسْعةٍ :   أَمعْشَرَ تيْـــمٍ أطلِقُوا عنْ لِسَانيا (٥)
أمعشر تيم قـــد ملكتم فأسْجِحوا   فانَّ أخاكم لم يكنْ من بَوَائيا (٦)
فان تَقتُلونى تقتــلوا بِىَ سَيّدًا   وإنْ تُطلِقونى تَحْرُبُونِى بمـا ليـا (٧)
أحقًّا عبـادَ اللهِ أَن لستُ سامعًا   نَشـيدَ الرِّعاءِ المُعْزِبِين المَتَاليـا (٨)
وتضـحكُ منى شـيخةٌ عبشميةٌ   كأنْ لَم ترى قبـلِى أسيرا يمـانيا (٩)

---

(١) أبو كرب والأيهمان : من اليمن ، وقيس بن معد يكرب الكندى كذلك .

(٢) صريحهم : خالصهم ومحضهم . والموالى هنا : الحلفاء.

(٣) النهدة : الفرس المرتفعة الخلق ، والحو : الخيل التى تضرب الى خضرة ، وقوله تواليا أى تتلوها وتتبعها لأن فرسه خفيفة قد تقدّمت الخيل .

(٤) الذمار : ما يجب على الرجل حفظه من منعه جاراً وطلبه ثأرا — يختطفن : يذهبن به .

(٥) هذا مثل ، فاللسان لا يشد بنسعة ، وانما أراد أفعلوا بى خيرا لينطلق لسانى بشكركم وانكم مالم تفعلوا فلسانى مشدود لا أستطيع مدحكم .

(٦) اسجحوا : سهلوا ويسروا أمرى ، والبواء : النظير . أى أن صاحبكم ليس نظيرى فلا أقتل به ، يقال : يا فلان بؤ بفلان أى اذهب به ، يقال ذلك للقتول بمن قتل .

(٧) أى وإن تطلقونى أدفع دية عظيمة لصاحبكم بحيث يهلك منها مالى .

(٨) المعزب : المتنحى بإبله ، والمتالى التى قد نتج بعضها وبقى بعض ، والواحدة متلية .

(٩) عبشمية نسبة الى عبد شمس ، والأسير : المشدود .

وقد علِمَتْ عِرسى مُليكةُ أننى أنا الليثُ مَعْدُوًّا علىّ وعاديا
وقد كنتُ نَحَّارَ الجزورِ ، ومُعْمِلَ الْـ مَطِىِّ ، وأمضِى حيثُ لاحَىَّ ماضيا
وأنحرُ للشَّرْب الكريم مطيَّتى وأصدعُ بين القَيْنَتَين ردائيا (١)
وكنتُ إذا ما الخيلُ شَمَّصَها القَنَا لَبِيقًا بتَصريف القناةِ بَنَانيا (٢)
وعَاديةٍ سَومَ الجرادِ وَزَعْتُها بكفِّى وقد أنْحَوْا الىَّ العواليا (٣)
كأنِّىَ لم أركَبْ جوادًا ولم أقُلْ لِخَيلِىَ : كُرِّى نفِّسِى عن رجاليا
ولم أَسبأ الزِّق الرَّوىَّ ، ولم أقُلْ لأيسارِ صِدْقٍ أعظِموا ضوْءَ ناريا

(١٤) وقال ذو الإصبع العَدْوانى : (٥)

لِىَ ابْنُ عمٍّ على ما كانَ من خُلُقٍ مختلفانِ : فأَقْلِيهِ ، ويَقْلِينى (٦)

---

(١) الشرب الشاربون ، المفرد شارب كصحب وصاحب . والمطية : البعير هنا — أصدع أشق والقينة الأمة مغنية كانت أو غير مغنية والأول هو المراد هنا يصف نفسه بالكرم والترف .

(٢) شمص : ضرب ونخس ، والقنا : الرماح ، واللبيق الحاذق .

(٣) العادية : القوم يعدون ، والخيل كذلك . سوم الجراد : انتشاره فى طلب المرعى . وزعتها : كففتها ومنعتها — نحوا الرماح : أمالوها وقصدوا بها الى ، والعوالى : الرماح . يقول : ورب جماعة من الفرسان تعدو على فى كثرة الجراد وشيوعه قد كففتها عنى ، وقد أمالوا رماحهم نحوى فى القتال .

(٤) السباء : اشتراء الخمر ، والأيسار الذين يضربون القداح فى المقامرة ، يقول : كأنى لم أشرب الخمر ، ولم أقل للقامرين معى أعلوا ضوء النار للشواء أولا كرام الضيفان الذين يقصدونها ، وكان ذلك من مفاخر العرب .

(٥) هو حرثان بن الحارث من عدوان من مضر شاعر فارس من قدماء الشعراء فى الجاهلية وقد عمر طويلا حتى خرف وأهتر ومات قبل الإسلام .

(٦) على ما كان من خلق أى من تخالق ومعاملة بيننا ، يريد أنهما مختلفان ، أقليه : أبغضه .

أزرى بنا أنّنا شالتْ نعامتُنا ... نخالنى دُونَه ، وخِلتُـه دونى (١)

يا عمرُو إلّا تدعْ شتْمِي ومَنْقصتِي ... أضْرِبْكَ ، حتى تقولَ الهامةُ : اسقونى (٢)

لَاهِ ابنُ عمّك ! لا أفضَلْتَ فى حَسَبٍ ... عنّى ، ولا أنتَ ديّانى فتَخْـزُونى (٣)

ولا تقُـوتُ عيالى يومَ مَسْـغَبةٍ ، ... ولا بنفْسِك فى العَـزّاء تَكْفينى (٤)

إنى لَعمــرُكَ ما بَابِى بذى غَلَقٍ ... عن الصَّـديقِ ، ولا خَيْرى بممْنُونِ (٥)

ولا لسـانِى على الأدنى بمنطَلِقٍ ... بالفاحشَاتِ ، ولا فتْكى بمأْمونِ

عَفٌّ يؤوسٌ ، إذا ما خِفتُ من بَلدٍ ... هُـونًا فلستُ بِوقّافٍ على الهُــونِ (٦)

غَـنِّيٌّ إليكَ ، فما أُمّى بَرَاعِيـةٍ ... تَرعَى المخاضَ ، وما رأْيِى بمغبُـونِ (٧)

كلُّ امرئٍ راجعٌ يوماً لِشيمتـه ... وإن تَخَلّق أخلاقًا إلى حينِ (٨)

---

(١) أزرى بنا : قصر بنا وعابنا ، وقوله شالت نعامتنا : معناه تفرّق أمرنا واختلف ، فتنافرنا فصرت أراه أقل منى ويرانى أقل منه .

(٢) الهامة : الرأس . وكان العرب يعتقدون أن الرجل اذا قتل فلم يدرك بثأره خرجت هامة من نوع البوم من قبره فلا تزال تصيح : اسقونى ، حتى يثأر له ، والمراد : أضربك حتى تقتل .

(٣) لاه ابن عمك : أصله لله ابن عمك فحذفت اللام الخافضة اكتفاء بالتى تليها ، والديان : القائم بالأمر . يقول : لست القائم فى أمرى فتخزونى أى تسوسنى وتدبر أمرى .

(٤) مسغبة : المجاعة . والعزاء : الضيق والشدّة .

(٥) أى لا أدّخر عن صاحبي شيئا ولا أمنّ عليه .

(٦) عف : أى عفيف عما ليس لى ، يؤوس : لست بذى طمع ، فأنا يائس مما فى يد غيرى ، والهون : الهوان والذلة .

(٧) أى لست بابن أمة ، وخص المخاض لأن رعيها عمل المهين .

(٨) لشيمة : الطبع ، يريد أن التخلق لا يدوم ولا بد أن يرجع الإنسان إلى طباعه .

أنّى أبِيّ أبِيّ ذو مُحَافَظَـةٍ   وابنُ أبِيّ أبِيّ من أبيّــين (١)

وأنــتمُ معشــرٌ زَيْدٌ على مِائَةٍ   فأجْمِعــوا أمرَكــم كُلًّا فكيدونى (٢)

فإن علِمْتمْ سبيلَ الرُّشْــدِ فانطلِقوا   وإن جَهِلتم سبيلَ الرشــد فأْتونى (٣)

ماذا علىَّ وإن كنتم ذوِى كرم   ألّا أحِبَّكــمُ إذْ لم تحبُّــونى

لو تشرَبُون دمى لم يُرْوِ شارِبَكُم   ولا دِماؤُكُمُ جَمْعًا تُــرَوِّينى

اللهُ يَعلَمُــنِى ، واللهُ يَعلَمــكُمْ   واللهُ يَجْزِيكُــمُ عنِّى ، ويَجْــزِينى

قد كنتُ أُوتيكمُ نُصْحى ، وأمنحكُم   وُدِّى على مُثْبَتٍ فى الصَّــدْرِ مكنُونِ (٤)

لا يُخْــرِجُ الكُرْهُ مِنِى غَيْرَ مأبِيــةٍ   وَلَا أَلِينُ لِمَن لا يَبْتَغِى لِيــنى (٥)

(١٥) عبيد بن الأبرص (٦) :

قال من بائيته المشهورة التى أوّلهــا :

أقفَرَ من أهلِه مَلْحُوبُ   فالقُطَبِيَّاتُ فالذَّنــوبُ (٧)

* * *

(١) يصف نفسه وآباءه بالعز والمنعة .

(٢) زيد على مائة : زيادة عليها .

(٣) أى فان عرفتم سبيل الرشد فاذهبوا لوجهتكم ، وان فزعتم إلى رأيى أجبتكم ونصحت لكم .

(٤) مكنون : مستور .

(٥) يقول ، إذا أكرهت على الشىء لم يكن عندى إلا الإباء له فلا أعطى على القسر شيئا .

(٦) هو عبيد بن الأبرص الأسدى أحد فحول شعراء الجاهلية وقدمائهم ، وبائيته التى منها هذه الأبيات من مجزوء البسيط ، وأكثر أبياتها مضطربة الوزن ولكن أغراضها ومعانيها سريعة .

(٧) ملحوب والقطبيات والذنوب : أسماء أماكن .

وكلُّ ذى غَيْبـةٍ يؤوبُ　　وغائبُ الموْتِ لا يؤوب
أعاقرٌ مثــلُ ذاتِ وُلْدٍ　　أو غانمٌ مثـلُ مَنْ يخيبُ
من يَسألِ الناسَ يحرِموه　　وسائــلُ اللهِ لا يخيبُ
ساعِدْ بأرْضٍ إن كنتَ فيها　　ولا تقلْ : إننِي غريب

(١٦) وقال الأفْوَهُ الأَوْدِىّ [1] :

البيْت لا يُبتَنى إلا له عَمَــدٌ　　ولا عمــادَ اذا لم تُــرْسَ أوتادُ [2]
فإنْ تجمّعَ أوتادٌ وأعمِــدةٌ　　وساكنٌ بلَغُوا الأمرَ الذى كادوا [3]
لا يصلُحُ الناس فوضَى لا سَراةَ لهم　　ولا سَــراةَ إذا جُهّالُهم ســادوا
تُهدَى الأمورُ بأهلِ الرأيِ ماصلَحتْ　　فإن تولّتْ فبالأشرار تنقــاد
إذا تولّى سَــراةُ الناس أمرَهمُ　　نَمَا على ذاكَ أمرُ القوْم فازدادوا

---

(١) هو صلاءة بن عمرو الأودى أحد فحول شعراء الجاهلية وحكمائها وسادتها وفرسانها .

(٢) هــذا البيت والذى بعده تمثيل لمذهبه ورأيه فى سياسة الناس وصلاح أمورهم إذا تولى حكمهم وقيادتهم سراتهم وذوو الأحساب والرأى فيهم فما دام هؤلاء بأيديهم الحل والعقد صلحت أمورهم وعظمت شئونهم وبلغوا ما أرادوا ، فاذا تغلب الجهال بقوتهم عم الفساد .

(٣) كادوا هنا بمعنى أرادوا .

عصر صدر الإسلام وبنى أمية

(١) آيات من القرآن الكريم

بسم الله الرحمن الرحيم

يٰأيها الناسُ اعبُدوا ربكم الذى خلقكم والذينَ (١) من قبلكم لعلكم تتقونَ (٢). الذى جعلَ لكم الأرضَ فِراشًا (٣) والسماءَ بناءً (٤) وأنزلَ من السماءِ ماءً فأخرجَ بهِ من الثمراتِ رزقًا لكُم فلا تجعلوا للهِ أندادًا (٥) وأنتُم تعلمون (٦).

تلكَ أمةٌ (٧) قد خلَتْ لها ما كسبَتْ ولكم ما كسبتُم ولا تُسألُون عما كانوا يعملُون.

إنّ فى خلقِ السمٰوٰتِ والأرضِ واختلٰفِ (٨) الليلِ والنهارِ والفُلْكِ (٩) التى تجرى فى البحرِ

---

(١) معطوف على الضمير المنصوب فى خلقكم

(٢) الجملة حال من الضمير فى اعبدوا أى اعبدوا ربكم راجين أن تنخرطوا فى سلك المتقين .

(٣) كالفراش المبسوط .

(٤) كالقبة المضروبة عليكم .

(٥) الأنداد : جمع ند بكسر النون : المثل .

(٦) أى والحال أنكم من أهل العقل والمعرفة الذين لا يصدّقون صحة الشرك .

(٧) الأمة : الجماعة . والمراد هنا الأنبياء الماضون وأتباعهم الذين ينتسب إليهم المجادلون من الكفار، خلت : مضت — المعنى أن هؤلاء قوم لهم أعمالهم لا تفيدكم شيئا كما أنكم لا تسألون عن سيئاتهم .

(٨) الاختلاف : التعاقب .

(٩) الفلك : السفينة للواحد والجمع .

بمـا يَنفعُ الناسَ وما أَنزَلَ اللهُ مِن السَّماءِ(١) مِن مَّاءٍ فأَحيَا به الارضَ بعد مَوتِهَا وبثَّ(٢) فيها
مِنْ كلِّ دَابَّةٍ وتَصريفِ الرِّيٰحِ(٣) والسحابِ المسخَّرِ بَيْنَ السماءِ والأَرضِ لآيٰتٍ لِقومٍ
يعقلُون . ومِن الناسِ مَن يتَّخِذُ مِن دُونِ اللهِ أَنْدَادا يُحِبونَهم كحُبِّ اللهِ والذِينَ ءامنوا
أَشَدُّ(٤) حُبًّا للهِ ولو يَرى الذينَ ظلَموا إذ يَرَوْنَ(٥) ٱلعذابَ أَنَّ ٱلقُوةَ للهِ جَميعًا وأَنَّ اللهَ شديدُ
العَذابِ . إذ تَبرَّأَ الذينَ ٱتُّبِعُوا مِن الذينَ ٱتَّبَعُوا و رأَوُا العَذَابَ وتَقَطَّعَتْ بِهِـمُ
الأَسبابُ(٦) . وقَالَ الذينَ ٱتَّبَعُوا لَوْ أَنَّ لَنَا كَرَّةً(٧) فَنَتبرأَ منهم كما تبرءُوا مِنَّا كذلكَ يُرِيهِـمُ
اللهُ أَعمٰلَهم حَسَراتٍ(٨) عليهِمْ وما هُمْ بِخٰرِجِينَ مِن النارِ .

لَيسَ البِرَّ(٩) أَن تُوَلُّوا وُجُوهكم قِبَلَ المَشرِقِ والمغرِبِ ولٰكنَّ البِرَّ مَنْ(١٠) ءامَنَ باللهِ واليومِ
الآخرِ وَالملٰئكةِ وَالكِتٰبِ(١١) والنَّبِيِّينَ وءاتَى المـالَ على حُبِّهِ(١٢) ذَوِى القُرْبَى واليَتٰمَى(١٣)

---

(١) السماء : جهة العلو .

(٢) البث : النشر والتفريق .

(٣) تصريف الرياح : تدبير مهابها وأحوالها .

(٤) أشد حبا : لأنه لا تنقطع محبتهم لله بخلاف غيرهم المترددين بين الأصنام ، أو اللاجئين الى الله حين الشدة فقط .

(٥) جواب لو محذوف أى لندموا إذ يرون العذاب يوم القيامة ، وأجرى مجرى الماضى لتحقق الوقوع كقوله تعالى « ونادى أصحاب الجنة » . ومعنى ظلموا أنهم ظلموا أنفسهم باتخاذهم الأنداد .

(٦) الأسباب : الصلات التى كانت بين التابع والمتبوع .

(٧) كرة : أى عودة الى الحياة الدنيا .

(٨) حسرات : ندامات ، مفرد حسرة .

(٩) البر : كل فعل مرضى . والخطاب لأهل الكتاب الذين خاضوا فى أمر قبلة الصلاة حين حولت من بيت المقدس الى الكعبة بمكة ، ويصح أن يكون الخطاب عاما .

(١٠) أى أن البر الذى ينبغى أن يهتم به هو بر من آمن . (١١) المراد بالكتاب الكتب المنزلة .

(١٢) أى مع حب المال . (١٣) يريد المحاويج منهم .

والمساكينَ وابنَ السبيلِ والسّائلينَ وفى الرِّقاب (١) وأقامَ الصلوةَ وءاتى الزَّكاةَ والموفونَ (٢) بِعَهدِهِم إذَا عٰهَدوا والصّٰبرينَ فى البأساءِ والضَّرّاءِ وحينَ البأسِ (٣) أولٰئكَ الذينَ صَدَقوا (٤) وأولٰئكَ هُم المتّقون .

ولا تأكلوا أموٰلكُم بينكُم بِالبٰطِلِ (٥) وتُدلُوا بِها إلى الحُكّامِ لِتأكُلوا فريقاً من أموٰلِ النّاسِ بالإثمِ وأنتم تعلمون (٦) .

ومِنَ الناسِ من يُعجبُكَ قولُه فى الحيوةِ الدنيا ويُشهِدُ اللهَ على ما فى قلبِه (٧) وهو ألدُّ الخصام . وإذا تولّى (٨) سعىٰ فى الأرضِ لِيُفسِدَ فيها ويُهلِكَ الحرثَ والنسلَ واللهُ لا يُحِبُّ الفسادَ . وإذا قيلَ له اتقِ اللهَ أخذَتْهُ العزّةُ بالإثمِ (٩) فحسبُهُ جهنّمُ ولبِئسَ المِهادُ . ومِن الناسِ من يَشرى نفسَهُ (١٠) ابتغاءَ مرضاتِ اللهِ واللهُ

(١) ابن السبيل : المسافر .

(٢) أى فى تخليص الرقاب بفك الأسرى وعون المكاتبين .

(٣) البأساء : المصيبة فى المال . والضراء : المصيبة فى النفس . البأس : مجاهدة العدو .

(٤) صدقوا : أخلصوا للدين واتباع الحق وطلب البر . المتقون : المبتعدون عن الكفر وسائر الرذائل .

(٥) أى لا يأكل بعضكم مال بعض بوجه غير مباح .

(٦) تدلوا بها إلى الحكام : أى تلقوا بالحكومة فيها إليهم . بالإثم : أى بما يوجب إثما كشهادة الزور واليمين الكاذبة . وأنتم تعلمون : جملة حالية . وذلك أن عمل الذنب مع العلم به أقبح .

(٧) أى يحلف على إخلاصه . ألد الخصام : شديد العداوة والجدال للمسلمين .

(٨) تولى : أدبر وانصرف عنك أو إذا غلب وصار واليا . الحرث : الزرع . والنسل : الماشية .

(٩) أخذته بكذا : حمله عليه وألزمته إياه . والمعنى على ذلك أن الأنفة وحمية الجاهلية حملته على الإثم الذى يؤمر باتقائه . فحسبه جهنم أى كفته جزاء وعذابا . ولبئس المهاد : جواب قسم مقدر والمخصوص بالذم محذوف للعلم به . والمهاد : الفراش ، أى بئس المهاد مهاده .

(١٠) يشرى نفسه : يبيعها ويبذلها فى الجهاد مثلا . ابتغاء مرضاة الله : أى طلبا لرضاه . والله رءوف بالعباد لإرشادهم الى مثل هذا الشراء ليكونوا مقربين فائزين .

رَءُوفٌ بِالْعِبَادِ . يٰأَيُّهَا الَّذِينَ ءامَنُوا ادْخُلُوا فِى السِّلْمِ (١) كَافَّةً وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُوٰتِ الشيطانِ
إِنَّهُ لكم عَدُوٌّ مُبِينٌ (٢) . فان زَلَلْتُم (٣) من بعدِ ما جاءتكم البَيِّنٰتُ فاعلَمُوا أن اللهَ عزيزٌ حكيمٌ (٤) .

كُتِبَ عليكم القِتَالُ وهو كُرْهٌ لكم (٥) وعَسَى أَن تكرهوا شيئًا وهوَ خيرٌ لكمْ وعسَى
أن تُحِبُّوا شيئًا وهوَ شَرٌّ لكم واللهُ يعلَمُ وأنتم لا تعلَمون .

مَثَلُ الذينَ يُنْفِقون أموالَهم فى سبيلِ اللهِ كمَثَلِ (٦) حَبَّةٍ أَنْبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ فى كُلِّ
سُنْبُلَةٍ مائةُ حَبَّةٍ واللهُ يُضٰعِفُ لِمَنْ يشاءُ ، واللهُ وٰسِعٌ عليم . الذين يُنفقون أموالَهم
فى سبيلِ اللهِ ثم لا يُتْبِعُون ما أَنْفَقُوا مَنًّا (٧) وَلَا أَذًى لَهم أجرُهم عندَ ربِّهم ولا خوفٌ عليهم
وَلَا هُم يحزَنون .

قُلِ اللّٰهُمَّ مٰلِكَ الْمُلْكِ (٨) تُؤتِى الملكَ مَن تشآءُ وتنزِعُ الملكَ مِمَّن تشآءُ وتُعِزُّ من تشآءُ
وتُذِلُّ من تشآءُ بيدِكَ الخيرُ إنَّكَ على كُلِّ شىءٍ قديرٌ . تُولِجُ الَّيْلَ فى النهارِ وتُولِجُ النهارَ
فى الَّيلِ (٩) وتُخرِجُ الحى مِن الميِّتِ وتُخرِجُ الميِّتَ من الحىِّ (١٠) وترزُقُ مَن تشآءُ بغيرِ حساب .

(١) السلم بفتح السين وكسرها : الاستسلام والطاعة . (٢) مبين : ظاهر العداوة .

(٣) زللتم : حدتم عن الدخول فى السلم . والبينات : الآيات والحجج الشاهدة على أنه الحق .

(٤) عزيز : لا يعجزه الانتقام . حكيم : عادل لا ينتقم إلا بحق .

(٥) كره لكم : شاق عليكم مكروه طبعا .

(٦) أى مثل نفقتهم كمثل حبة الخ . والمراد أن الله يضاعف لهم الثواب على هذا الإنفاق .
واسع : لا يضيق فضله . عليم : بنية المنفق وقيمة إنفاقه .

(٧) المنّ : أن يعتد الانسان بإحسانه على من أحسن اليه .

(٨) الملك هنا : كل شىء فمعناه عام وما بعده خاص .

(٩) إيلاج الليل والنهار : إدخال أحدهما فى الآخر بالتعقيب أو الزيادة والنقص .

(١٠) المراد باخراج الحى من الميت وبالعكس إنشاء الحيوان من مواده وإماته واستحالته الى موات .

إنَّ الذينَ يَشتَرُونَ بعَهدِ اللهِ وأيْمٰنهم ثمنًا قليلًا(١) أولٰئكَ لا خَلاقَ(٢) لهم في الآخرة ولا يُكلِّمُهم اللهُ ولا ينظرُ إليهم يومَ القيٰمة ولا يُزكّيهم ولهم عذابٌ أليم .

واعتصِموا بحبلِ اللهِ جميعًا(٣) ولا تفرّقوا واذكُروا نِعمتَ اللهِ عليكم إذ كُنتم(٤) أعداءً فألّفَ بين قلوبِكم فأصبحتُم بنِعمتِه إخوٰنًا وكُنتم على شَفَا حُفرَةٍ من النارِ(٥) فأنقذَكم منها كذٰلكَ يُبيّنُ اللهُ لكم ءايٰتِه لعلكم تهتدون . ولْتكنْ منكم أمّةٌ يدْعُون إلى الخيْرِ ويأمُرونَ بالمعروفِ ويَنْهَوْن عن المُنكَرِ وأُولٰئكَ هم المفلحون . ولا تكونوا كالذينَ تفرَّقوا واختلفُوا من بعدِ ما جاءَهم البيّنٰتُ وأولٰئكَ لهم عذابٌ عظيم .

فبِما رَحمةٍ منَ اللهِ لِنتَ لهم(٦) ولو كُنتَ فظًّا غليظَ القلْبِ لانفضُّوا من حولك فاعفُ عنهم واستغفرْ لهم وشاوِرْهُم في الأمْرِ فإذا عزمتَ(٧) فتوكّلْ على اللهِ إنَّ اللهَ يُحبُّ المتوكّلين . إن ينصُرْكُمُ اللهُ فلا غالبَ لكم وإن يَخذُلْكم فمَن ذا الذي ينصُرُكم مِن بعده وعلى اللهِ فليتوكّلِ المؤمنون .

---

(١) يشترون : يستبدلون . عهد الله : الأيمان . أيمانهم : ما حلفوا به كقولهم لنؤمنن بالله ولننصرنه . الثمن القليل : هو متاع الدنيا .

(٢) لا خلاق لهم : لا نصيب لهم من الخير والثواب . لا يزكيهم : لا يثنى عليهم .

(٣) اعتصموا : تمسكوا . حبل الله : دين الإسلام أو القرآن .

(٤) أى فى الجاهلية إذ كنتم تتقاتلون .

(٥) الشفا : الحرف . والمعنى : كنتم مشفين على الوقوع فى النار لكفركم فأنقذكم بالإسلام .

(٦) فبما رحمة : أى فبرحمة وما زائدة للتأكيد . الفظ : سيئ الخلق الجافى . غليظ القلب : قاسيه . انفضوا من حولك : تفرقوا عنك .

(٧) عزمت : وطنت نفسك على شىء بعد الشورى .

وَلْيَخْشَ الَّذِينَ لَوْ تَرَكُوا مِنْ خَلْفِهِمْ ذُرِّيَّةً ضِعَافًا خَافُوا عَلَيْهِمْ فَلْيَتَّقُوا اللَّهَ وَلْيَقُولُوا (١) قَوْلًا سَدِيدًا . إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَٰلَ الْيَتَـٰمَىٰ ظُلْمًا إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ نَارًا (٢) وَسَيَصْلَوْنَ سَعِيرًا .

وَإِذَا حُيِّيتُم بِتَحِيَّةٍ فَحَيُّوا بِأَحْسَنَ مِنْهَا أَوْ رُدُّوهَا إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ حَسِيبًا (٣) .

وَلَا تُجَـٰدِلْ عَنِ الَّذِينَ يَخْتَانُونَ (٤) أَنفُسَهُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ مَن كَانَ خَوَّانًا أَثِيمًا . يَسْتَخْفُونَ (٥) مِنَ النَّاسِ وَلَا يَسْتَخْفُونَ مِنَ اللَّهِ وَهُوَ مَعَهُمْ إِذْ يُبَيِّتُونَ مَا لَا يَرْضَىٰ مِنَ الْقَوْلِ وَكَانَ اللَّهُ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطًا . هَـٰأَنتُمْ هَـٰؤُلَاءِ جَـٰدَلْتُمْ عَنْهُمْ فِي الْحَيَوٰةِ الدُّنْيَا فَمَن يُجَـٰدِلُ اللَّهَ عَنْهُمْ يَوْمَ الْقِيَـٰمَةِ أَم مَّن يَكُونُ عَلَيْهِمْ وَكِيلًا (٦) . وَمَن يَعْمَلْ سُوءًا أَوْ يَظْلِمْ (٧) نَفْسَهُ ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ اللَّهَ يَجِدِ اللَّهَ غَفُورًا رَّحِيمًا .

⁂

يَـٰأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالْأَنصَابُ وَالْأَزْلَـٰمُ رِجْسٌ (٨) مِّنْ عَمَلِ الشَّيْطَـٰنِ فَاجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ . إِنَّمَا يُرِيدُ الشَّيْطَـٰنُ أَن يُوقِعَ بَيْنَكُمُ الْعَدَٰوَةَ وَالْبَغْضَاءَ فِي الْخَمْرِ

---

(١) هذا أمر للأوصياء بمخافة الله فى أمر اليتامى وأن يفعلوا بهم ما يحبون أن يفعل بذراريهم الضعاف بعد وفاتهم . والقول السديد يظهر فى الإنصاف وحسن العشرة .

(٢) أى ما يجرّ الى النار . يصلون سعيرا : يدخلون نارا شديدة . (٣) يحاسبكم على التحية أيضا كما يحاسبكم على غيرها . (٤) يختان نفسه : يخونها بالمعاصى . الأثيم : المنهمك فى المعاصى .

(٥) يستخفون : يستترون . يبيتون : يدبرون زورا .

(٦) الوكيل : المحامى الدافع عنهم عذاب الله . (٧) يظلم نفسه بالشرك أو بذنب لا يتعداه ضرره .

(٨) الميسر : القمار مطلقا . الأنصاب : الأصنام نصبت للعبادة . الأزلام : جمع زلم وهو القدح . وذلك أن العرب كانوا إذا قصدوا فعلا ضربوا ثلاثة أقداح مكتوب على أحدها أمرنى ربى . وعلى الآخر نهانى ربى . والثالث غفل . فان خرج الآمر مضوا ، وان خرج الناهى تجنبوا ، وان خرج الغفل أجالوها ثانية . رجس : قذر تعافه العقول .

والمَيسر ويَصُـدَّكم عن ذِ كر اللهِ وعن الصَّلوٰة فهل أنتم مُنتَهُون(١) وأطيعوا الله وأطيعوا الرَّسولَ واحْذَرُوا فإن تولَّيتُم فاعلَموا أنَّما على رسولِنا البلٰغُ المُبين(٢) .

* * *

ولقد أرسَلْنا إلى أُمَم من قبلِكَ فأخذْنٰهم بالبَأساءِ والضرَّاءِ لعلَّهُم يتَضَرَّعون(٣)، فلولا إذ جاءَهم بأسُـنا تَضَرَّعوا(٤) ولكن قَسَتْ قُلوبُهم وزيَّن لهم الشيطٰنُ ما كانوا يَعمَلون، فلما نَسُوا ما ذُكِّروا به فتَحنا عليهم أبوٰبَ كلِّ شيءٍ(٥) حتّى إذا فرِحُوا بما أُوتوا أَخَذْنٰهم بَغْتَةً فاذا هم مُبْلِسُون(٦)، فقُطِعَ دابرُ(٧) القومِ الذينَ ظَلَموا والحمدُ لِلّهِ ربِّ العٰلَمين .

وإذْ قال إبرٰهيمُ لأبيه ءازرَ(٨) أتتَّخِذُ أصنامًا ءالهةً إنى أرٰك وقومَك فى ضَلٰلٍ مُبين، وكذلك نُرِى إبرٰهيمَ مَلَكوتَ السمٰوٰتِ(٩) والأرضِ وليكونَ من المُوقنينَ(١٠)، فلما جَنَّ

(١) هذا الاستفهام إيذان بأن أمر المنع والتحذير بلغ الغاية، وأن الأعذار قد انقطعت .

(٢) أى فان أعرضتم فلن تضروا الرسول بإعراضكم لأن عليه البلاغ وقد أداه .

(٣) أى فكفروا فأخذناهم الخ. البأساء : الشدة والفقر . الضراء : الضر والآفات . يتضرعون : يتذللون ويتوبون .

(٤) معناه نفى تضرعهم فى ذلك الوقت مع قيام ما يدعوهم اليه .

(٥) أى لما نسوا ما ذكروا به من البأساء والضراء فتحنا عليهم أبواب النعم امتحانا لهم بالشدة والرخاء .

(٦) مبلسون : متحسرون آيسون .

(٧) دابرهم : آخرهم بحيث لم يبق منهم أحد ، (والحمد لله) على هلاكهم إذ هو نعمة للناس .

(٨) آزر : عطف بيان لأبيه .

(٩) ملكوت السموات : عجائبها وبدائعها . ليكون من الموقنين أى ليستدل ويستيقن .

(١٠) جن عليه الليل : ستره بظلامه . وهنا أراد سيدنا إبراهيم هداية قومه من طريق النظر والاستدلال .

عليه اللَّيلُ رءا كوكبا قال هذا ربى فلما أفل(١) قال لا أحب الآفلين . فلما رءا القمر بازغا(٢) قال هذا ربى فلما أفل قال لئن لم يهدنى ربى لأكونن من القوم الضالين . فلما رءا الشمس بازغة قال هذا ربى هذا أكبر فلما أفلت قال يقوم إنى برىء مما تشركون(٣) . إنى وجهت وجهى للذى فطر السموات والأرض حنيفا(٤) وما أنا من المشركين .

إن الله فالق(٥) الحب والنوى يخرج الحى من الميت ومخرج الميت من الحى ، ذلكم الله فأنى تؤفكون(٦) . فالق الإصباح وجعل الليل سكنا والشمس والقمر حسبانا ذلك تقدير العزيز العليم(٧) . وهو الذى جعل لكم النجوم لتهتدوا بها فى ظلمت البر والبحر قد فصلنا(٨) الأيت لقوم يعلمون . وهو الذى أنشأكم من نفس واحدة فمستقر ومستودع قد فصلنا الأيت لقوم يفقهون(٩) ، وهو الذى أنزل من السماء ماء فأخرجنا به نبات كل شىء(١٠)

---

(١) أفل النجم : غاب .

(٢) بازغا : مبتدئا فى الطلوع .

(٣) أى من الأجرام السماوية المحدثة المحتاجة الى من يصرفها .

(٤) وجهت : توجهت بالإيمان والعبادة . فطر : خلق . حنيفا : حال من التاء فى وجهت . والحنيف : المسلم .

(٥) فالقه بالنبات والشجر الذى ينبت منه .

(٦) تؤفكون : تنصرفون عنه الى غيره .

(٧) فالق الإصباح : شاق عمود الصباح عن ظلمة الليل . سكنا : يسكن اليه التعب نهارا مطمئنا اليه . حسبانا : أى على أدوار يحسب بها الوقت . وهو مصدر حسب بالفتح . وقيل : جمع حساب كشهاب وشهبان . العزيز العليم : القادر والخبير بتدبيرهما حسب الأصلح .

(٨) فصلنا الآيات : بيناها فصلا فصلا .

(٩) نفس واحدة : هى آدم عليه السلام . مستقر : فى الأصلاب أو فوق الأرض . مستودع : فى الأرحام أو تحت الأرض .

(١٠) أى نبت كل صنف من النبات .

فأخرجنا منه خضراً نخرج منه حباً متراكباً[1] ومن النخل من طلعها قنوانٌ دانيةٌ[2] وجنتٍ من أعنابٍ والزيتونَ والرمانَ مشتبهاً وغيرَ متشابهٍ، انظروا إلى ثمرِه إذا أثمرَ وينعِه إن فى ذٰلكم لأيٰتٍ لقوم يؤمنون .

قل تعالوا أتلُ ما حرّمَ ربكم عليكم ألّا تشركوا به شيئاً وبالوٰلدين إحسٰناً[3] ولا تقتلوا أولٰدكم من إملٰقٍ[4] نحنُ نرزقُكم وإيّاهم ولا تقربوا الفوٰحشَ[5] ما ظهرَ منها وما بطن ولا تقتلوا النفسَ التى حرّمَ اللهُ إلّا بالحقِّ ذٰلكم وصّٰكم به لعلكم تعقلون . ولا تقربوا مالَ اليتيم إلا بالتى هى أحسنُ حتّىٰ يبلغَ أشُدّهُ[6] وأوفوا الكيلَ والميزانَ بالقسطِ[7] لا نكلّفُ نفساً إلا وُسعَها وإذا قلتم فاعدلوا[8] ولو كانَ ذا قربىٰ ، وبعهدِ اللهِ أوفوا ذٰلكم وصّٰكم به لعلكم تذكّرون ، وأنّ هٰذا صرٰطى[9] مستقيماً فاتبعوهُ ولا تتّبعوا السبلَ فتفرّقَ بكم عن سبيلهِ ذٰلكم وصّٰكم به لعلكم تتّقون .

(١) الخضر : شىء أخضر يخرج من الحبة متشعبا . الحب المتراكب : هو السنبل .

(٢) أى وأخرجنا من النخل نخلا من طلعها قنوان ، وهى الأعذاق : جمع قنو كصنوان جمع صنو . دانية : قريبة التناول أو ملتفة متقاربة . وجنات : عطف على نبات كل شىء . ينعه : نضجه . الآيات : العلامات والأدلة على وجود الخالق الحكيم .

(٣) أى وأحسنوا لهما إحسانا .

(٤) الإملاق : الفقر . ومن : للسببية .

(٥) الفواحش : كبار الذنوب .

(٦) أى بالطريقة النافعة محافظة واستثمارا . الأشد : جمع شدة كنعمة وأنعم . والمراد حتى يصير بالغا .

(٧) القسط : العدل والتسوية .

(٨) اعدلوا : قولوا الحق والعدل ولو على القريب .

(٩) صراط الله : شريعته . والمراد بالسبل : الأديان المختلفة أو الأهواء الضالة .

وٱتَّقُوا فِتْنَةً لا تُصِيبَنَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنكُمْ خَاصَّةً وٱعلَمُوا أنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ العِقَابِ. (١)

واذكُروا إذْ أنتم قليلٌ مُسْتَضعَفُون فى الأرضِ تخافُون أن يَتَخَطَّفَكُمُ الناسُ فآواكُم وأيَّدكم بِنَصرِه ورَزَقَكُم من الطَّيِّبٰتِ لعلكم تَشكُرون. (٢)

آيات من القرآن الكريم جارية مجرى الأمثال

لَنْ تَنالُوا البِرَّ حَتَّى تُنْفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ. (٣) الآنَ حَصْحَصَ الحَقُّ. (٤) وَضَرَبَ لنا مَثَلاً ونَسِيَ خَلْقَهُ. (٥) ذَلِكَ بما قَدَّمتْ يَدَاكَ. (٦) قُضِيَ الأمرُ الذى فيهِ تَستَفْتِيَانِ. (٧) إنَّ مَوعِدَهُم الصُّبْحُ أَلَيسَ الصُّبحُ بِقَرِيبٍ. (٨) وحِيلَ بينهم وبينَ ما يشتهون. (٩) لِكُلِّ نبإٍ مُستَقَرٌّ. (١٠) ولا يَحيقُ المَكْرُ السيِّئُ إلا بِأهلِه. (١١) قُلْ كُلٌّ يعمَلُ على شاكِلَتِه. (١٢) وَعَسى أن تكرهوا

(١) أى اتقوا ذنبا يعمكم أثره : كإقرار الأشرار، وترك التناهى عن المنكرات، ومن أوجه إعراب لا تصيبن أنها جواب الأمر على معنى ان أصابتكم . ولذلك أكد الفعل .

(٢) يمتن الله عليهم بحمايتهم ونصرتهم حينما كانوا ضعافا أول الإسلام .

(٣) تستعمل فى الحث على بذل النفيس المحبوب .

(٤) حصحص : بان وظهر . تستعمل لظهور الأمر بعد خفائه أو الشك فيه

(٥) تقال للشخص ينظر الى وجه ضعف دون القوى المهم . وأصلها أن الإنسان يعجب من البعث ناسيا أن الله الذى خلقه من التراب قادر على بعثه .

(٦) يجابه بها من فرط فوقع فى مغبة عمله .

(٧) تستعمل فى اليأس من الرجوع فى الحكم أو العمل .

(٨) فى قرب المنتظر .

(٩) فى الحرمان .

(١٠) للنص على أن لكل شىء غاية .

(١١) مدبر الشر يقع فيه .

(١٢) تستعمل الشاكلة فى دلالة العمل على طبيعة صاحبه .

شيئًا وهو خيرٌ لكم (١) . كلُّ نفسٍ بما كسبت رهينةٌ (٢) . ما على الرسول إلا البلٰغ (٣) . ما على المحسنين من سبيل (٤) . هل جزاء الإحسان إلا الإحسانُ (٥) . كم من فئةٍ قليلةٍ غلبت فئةً كثيرةً بإذن الله (٦) . آلئن وقد عصيت قبلُ (٧) . تحسبهم جميعًا وقلوبهم شتّى (٨) . ولا ينبّئك مثلُ خبير (٩) . كلُّ حزب بما لديهم فرحون (١٠) . ولو علم الله فيهم خيرًا لأسمعهم (١١) . وقليلٌ من عبادىَ الشَّكور (١٢) . لا يكلّف اللهُ نفسًا إلا وسعها (١٣) . لا يستوى الخبيثُ والطيّبُ (١٤) . ظهر الفسادُ فى البرّ والبحر (١٥) . ضعُف الطّالبُ والمطلوبُ (١٦) . لمثل هذا فليعمل العاملون (١٧) . وقليلٌ مّا هُم (١٨) . فاعتبروا يأولى الأبصٰر (١٩) .

(١) فى ظهور الخير من غير مظانه .

(٢) تستعمل فى تحمل الإنسان نتيجة عمله .

(٣) فى الرجل يقوم بواجبه لا يعنيه المهمل .

(٤) للمحسن يجود بما يشاء .

(٥) فى الخير جزاؤه الخير .

(٦) الضعيف يفوز بالقوى .

(٧) عدم فائدة التوبة بعد فوات الفرصة . والأصل تطيع الآن الخ .

(٨) تستعمل للجماعة كالمتفقين وأهواؤهم مختلفة .

(٩) يضرب للرجل يعرف الشىء أكثر من غيره .

(١٠) تعصب الإنسان لما عنده .

(١١) تضرب للقوم يفقدون خيرا لا يستحقونه .

(١٢) إنكار الجميل . (١٣) الاكتفاء بغاية الجهد .

(١٤) للفرق بين المتباينات . (١٥) للشر يعم .

(١٦) يضرب لاستضعاف المتكبر المتجاهل .

(١٧) استكبار الشىء وتجيله .

(١٨) للأشياء النادرة .

(١٩) تستعمل فى لفت النظر إلى مواطن العبرة والتبصر .

(ب) الشعـــر

(١) قال كعب بن زهير[1] :

بانتْ سُعادُ فقلبي اليومَ متبولُ ... مُتَيَّمٌ عنـدَها لم يُجزَ مكبـولُ [2]

وما سُعادُ غداةَ البين إذ برزَتْ ... إلا أَغَنُّ غضيضُ الطرْف مكحول [3]

تجلو عوارضَ ذي ظَلْمٍ إذا ابتسمتْ ... كأنه مُنْهَـلٌ بالراح معلول [4]

شُجَّتْ بذي شَبَمٍ من ماءِ مَحْنيةٍ ... صافٍ بأبطحَ أضحى وهو مشمول [5]

تنفي الرياحُ القـذى عنه وأفرطَه ... من صَـوْب غاديةٍ بيضٌ يعاليل [6]

ويلُمِّهـا خُلَّةً لو أنهـا صدقَتْ ... بوعدها ولو انّ النصحَ مقبـول [7]

---

(١) هو كعب بن زهير بن أبي سلمى الشاعر الجاهلي . وقد نشأ كعب في أسرة شاعرة ذات خواص فنية متشابهة . وأسلم ومدح الرسول بهذه القصيدة التي نشرحها . و يعدّ شعره من النوع القوى الجزل مع غرابة لفظ ، وجودة وصف ، و يقال إنه توفى سنة ٢٤ هـ .

(٢) بانت : فارقت . والمتبول : الذى أسقمه الحب . ومكبول : مقيد .

(٣) الغزال الأغنّ : الذى فى صوته غنة ، وهى صوت محبوب . غضيض الطرف : أى فى طرفها نكسر وفتور

(٤) تجلو : تكشف . والمراد بالعوارض هنا : الأسنان . ذى ظلم : أى ثغر ذى ظلم . والظلم : ماء الأسنان و بريقها . ومنهل معلول : أى مسقى بالخمر مرة بعد أخرى .

(٥) شجت : أى مزجت بالماء لتذهب سورتها . وبذى شبم أى بماء ذى شبم . والشبم : البرد . والمحنية : منعطف الوادى لأن ماءها يكون أصفى وأرق . والأبطح : مسيل فيه دقاق الحصى . والمشمول : الذى ضربته ريح الشمال حتى برد . أى كأن فى ثغرها راحا مزجت بماء بارد نقى صاف .

(٦) القذى : ما يسقط فى الماء . وأفرطه : أى ملأه . والصوب : المطر . والغادية : الغمامة تأتى صباحا . واليعاليل : الجبال ، أى وملأ هذا الأبطح سيل آت من جبال بيض .

(٧) ويل أمها : تضاف كلمة ويل الى أم وتركبان كأنهما كلمة واحدة وتستعمل فى التعجب ، وفى رواية ابن هشام : فيالها ... والخلة هنا : الصديقة . أى ما أعجبها صديقة لو وفت بما وعدت وسمعت نصيحة النصاح لها فى أمرى .

لكنها خُلّةٌ قد سِيطَ مِن دمِها ... فَجْعٌ وولْعٌ و إخلافٌ وتبديل (١)
فما تقومُ على حالٍ تكون بها ... كما تَلَوَّنُ فى أثوابها الغُول (٢)
ولا تَمَسَّكُ بالعَهدِ الذى زَعَمَتْ ... إلا كما يُمْسِكُ الماءَ الغرابيل
كانت مواعيدُ عُرْقوب لها مثلا ... وما مواعيدُها إلا الأباطيل (٣)
أرجو وآمُلُ أن تدنو مودّتُها ... وما إخالُ لدينا منك تنويل (٤)
فلا يَغُرَّنْك ما منّتْ وما وَعَدَتْ ... إن الأمانىَّ والأحلامَ تضليل
أمست سُعادُ بأرضٍ لا يُبَلِّغُها ... إلا العِتاقُ النَّجِياتُ المراسيل (٥)

* * *

وقال كل خليلٍ كنت آمله ... لا الهينك إنى عنك مشغول
فقلتُ : خلُّوا سَبيلى لا أبا لكم ... فكل ما قَدَّر الرحمنُ مَفْعولُ
كل ابنِ أنثى و إن طالت سلامته ... يوما على آلةٍ حدباء محمول
نُبِّئْتُ أنَّ رسولَ الله أَوْعَدَنِى ... والعفوُ عندَ رسولِ الله مَأمولُ (٦)
فَقَدْ أتيتُ رسولَ الله معتذِرًا ... والعُذْرُ عِندَ رَسُولِ الله مَقْبولُ
مَهْلًا هَدَاكَ الذى أَعْطَاكَ نافلَةَ الْـ ... قُرآنِ فيها مواعيظٌ وتَفْصيلُ (٧)
لا تَأْخُذَنِّى بأقوالِ الوُشاةِ ، وَلَمْ ... أُذْنِب ، ولَو كَثُرَتْ فىَّ الأقاوِيلُ

---

(١) سيط : من ساط الماء ونحوه يسوطه : خلطه بغيره . والفجع : الإصابة بالمكروه . والولع : الكذب .
(٢) الغول : من خرافات العرب يزعمون أنها تتراءى لهم فى الفلوات وتتلون لهم وتضلهم عن الطريق .
(٣) عرقوب : يضرب به المثل فى خلف الوعد ، قيل انه وعد أخا له ثمر نخلة ، وقال : ائتنى اذا أطلع النخل ، فلما أطلع قال : اذا أبلح . فلما أبلح قال : اذا أزهى . فلما أزهى قال : اذا ارطب . فلما أرطب قال : اذا صار تمرا . فلما صار تمرا جذه من الليل ولم يعطه شيئا .
(٤) مفعول إخال الأول ضمير شأن مقدر . والمفعول الثانى جملة لدينا الخ .
(٥) لا يبلغها : أى لا يبلغنها أو لا يبلغها اياها الا العتاق الخ . والعتاق : الابل أو الخيل الكريمة . والنجيات : السريعات . والمراسيل : جمع مرسال ، وهو السريع .
(٦) أوعد : هدّد . (٧) نافلة القرآن : عطية القرآن . والتفصيل : التبيين

لقــــد أقومُ مَقامًا لو يَقــومُ به ... يرى ويَسمَعُ ما قد أسمعُ الفيـــل (١)

لظلَّ تُرعَدُ من وَجْدٍ بوادرُه ... إن لم يكن من رســول الله تنويل (٢)

ما زلتُ أقتطعُ البَيْــداءَ مُدَّرِعًا ... جُنْحَ الظلامِ، وثوبُ الليلِ مسبول (٣)

حتى وضَعتُ يمينى ما أنازِعُهـا ... فى كفِّ ذى نَقِماتٍ قولُه القِيــل (٤)

فَلَهْوَ أَخْوَفُ عنــدِى إذ أكلِّمُه ... وقيــل : إنك منسوبٌ ومسئول (٥)

من ضَيْغَمٍ بضَراءِ الأرض مُخْــدَرُه ... فى بطن عَثَّرَ غِيــلٌ دونه غيــل (٦)

يغــدو فيَلْحَم ضِرغامَيْن عَيْشُهما ... لحمٌ من النــاس معفورٌ خراديل (٧)

إذا يُساوِرُ قِرنًا لا يحِـــلُّ له ... أن يترُكَ القــرن إلا وهــو مغلول (٨)

منـــه تظلُّ حَميرُ الجـوِّ نافرةً ... ولا تَمَشَّى بوادِيه الأراجيــــل (٩)

---

(١) أى لقد شهدت برؤية الرسول مشهدا عظيم الهيبـــة لو شهده الفيل أو سمع الفيل ما يدور به من الحديث لظل يرعد .

(٢) ظل ترعد، جواب لو فى البيت السابق . والبوادر : جمع بادرة، وهى هنا بين المنكب والعنق .

(٣) ادّرع الظلام أى لبسه كأنه درع .

(٤) ما أنازعها : أى لا أجذبها . والقيل : أى القول الحق .

(٥) أخوف : أى أعظم مسبب للخوف ومنسوب : أى مسئول عن نسبك . أى ان مقامى بين يدى رسول الله بعد أن قيل لى انك تسأل عما نسب اليك من القبيح لـ شد إخافة لى من ضيغم الخ

(٦) من ضيغم : متعلق بأخوف فى البيت السابق . وضراء الأرض أى الأرض المستوية التى تأويها السباع وبها نبذ من الشـــجر . والمخدر : مكان إقامة الأســـد . وبطن عثر مأسدة . أى مخدره غيل من بطن عثر دونه غيل . والغيل : الأجمة — يصفه بالمنعة والتوحش .

(٧) يلحم : أى يطعم اللحم . معفور : أى ملق فى التراب . والخراديل : القطع، والمعنى يصبح الأسد فيطلب صيدا لولدين أكلهما من لحوم الناس المعفورة المقطعة .

(٨) يساور : يواثب . والقرن : المماثل . ولا يحل : لا يسوغ . والمغلول : المقيد . ويراد به هـ لايستطيع المشى . وفى رواية مجدول . وفى أخرى : مفلول .

(٩) الجو : البر الواسع . والأراجيل : جمع الأرجال، والأرجال جمع رجل، اهـ جمع لراجل أى غير راكب .

ولا يزالُ بِوَادِيهِ أخو ثِقَـةٍ ... مضرَّجُ البَزِّ والدُّرْسَانِ مأكول (١)

إنّ الرسولَ لَنــورٌ يُستَضاءُ به ... مهنّــدٌ من ســيوفِ اللهِ مسلول

فى عُصبةٍ من قريشٍ قال قائلهم ... ببطن مكّةَ لمــا أسلموا : زُولوا (٢)

زالوا، فمازال أنكاسٌ ولا كُشُفٌ ... عنـد اللقاءِ ولا مِيــلٌ معازيل (٣)

يمشُون مَشى الجمالِ الزُّهْرِ يَعصِمُهُمْ ... ضربٌ إذا عَرَّدَ السـودُ التنابيل (٤)

شُمُّ العـرانينِ أبطالٌ لَبُــوسُهُمُ ... من نسجِ داودَ فى الهَيجا سرابيل (٥)

بيضٌ سوابغُ قد شُكَّتْ لها حَلَقٌ ... كأنهــا حَلَقُ القَفْعاءِ مجـدول (٦)

ليســوا مفاريحَ إن نالتْ رِماحُهُمُ ... قومًا، وليســوا مَجازيعًا إذا نيلوا (٧)

لا يقـعُ الطعنُ إلا فى نُحورِهِــمُ ... ومَا لهم عن حِياضِ الموت تَهليل (٨)

---

(١) البز : الثياب . والدرسان : أخلاق الثياب ، جمع دريس ؛ أى أن بوادى هذا الأسد تجد شجاعا كان يثق بنفسه فافترسه وأصبحت ثيابه خلقا ممزقة .

(٢) زولوا : أى لينتقلوا من مكة إلى المدينة .

(٣) النكس : الضعيف . والكشف : جمع أكشف وهو من لا ترس له . والميل : جمع أميل وهو من لا سيف له أو من لا يحسن الركوب . والمعازيل : جمع معزال وهو من لا سلاح له .

(٤) الزهر : البيض . وعرد : فر وأعرض . والتنابيل : القصار .

(٥) شم العرانين : شم الأنوف ، أى أعزة . واللبوس : اللباس . والسرابيل : الدروع ، أى لباسهم دروع من نسج داود .

(٦) بيض : صفة للسرابيل . والسوابغ الطوال . والقفعاء : نبات ينبسط على الأرض تشبه به حلق الدروع .

(٧) المفاريح : جمع مفراح . والمجازيع : جمع مجزاع .

(٨) التهليل : الجبن والفرار .

(٢) قالت قُتيلة[١] بنت النَّضْر بن الحارث تبكى أخاها :

يا راكبًا إن الأُثَيْــلَ مَظِنَّةٌ ... من صُبْح خامسةٍ ، وأنت موفقُ [٢]
أَبلِغ بها مَيْتًا بأنَّ تحيَّــةً ... ما إن تزالُ بهـا النجائبُ تخفِــقُ [٣]
مِنِّى اليـــكَ، وعَــبْرَةً مسفوحةً ... جادتْ بواكِفِها ، وأخرى تَخْنُقُ [٤]
هل يَسْمَعَنِّ النَّضْرُ إن ناديتُــه ... أم كيف يســمَعُ مَيِّتٌ لا ينطِق [٥]
أمحمــدٌ يا خيرَ ضِنءِ كريمــةٍ ... فى قومها، والفَحْلُ فحْلٌ مُعْرِق [٦]
ما كان ضَرَّكَ لو مَنَنْتَ؟ وربمــا ... مَنَّ الفتى وهو المَغيظُ المُحْنَق [٧]
أو كنت قابِلَ فِــدْيةٍ فَلْيُنفقَنْ ... بأعزِّ ما يغــلو به ما يُنْفَــقُ [٨]

---

(١) قتيلة بنت النضر وقيل أخته نشأت فى قومها بنى عبد الدار بن قصى من قريش . وكان أخوها أو أبوها النضر مع قريش على الرسول فى غزوة بدر فأمر الرسول عليه السلام بقتله . وترى أن شعرها على قوته أكرم شعر موتور وأعفه وأكفه وأحلمه .

(٢) الأثيل : موضع فيــه قبر النضر، تقول إن الأثيل يظن أن تبلغه فى صبح الليلة الخامسة ، إذا وفقت ولم يعقك عائق .

(٣) النجائب : جمع نجيبة . وهى جياد الإبل . وخفقان النجائب : شدة اهتزازها ، و إن زائدة .

(٤) منى متعلق بأبلغ ، والمسفوحة : المصبوبة ، أى بلغه منى رسالة ، واذكر له عبرة على فقده سالت ، وعبرة أخرى جمدت ، وأخذ حزنها بالحلق فخنقه .

(٥) أم هنا للإضراب : أى بل كيف يسمع الخ .

(٦) الضنء : الأصل ، والولد . والكريمة : النجيبة . والمعرق : من له أصول راسخة فى الكرم المعنى أن أمك شريفة وأباك عريق فى المجد .

(٧) المعنى اذا كنت كذلك فما كان ضرك لو مننت على أخى وأطلقته فقد يعفو الكريم ، وهو منطو على الغيظ والحنق .

(٨) أى وما ضرك لو قبلت فدية ، فانك ان فعلت أنفقنا لفديته أعز وأغلى ما نملك .

فالنضر أقربُ مَن أسرتَ قرابَةً | وأحقُّهم إن كان عِتقٌ يُعتَق (١)
ظلَّتْ سيوفُ بنى أبيه تَنُوشه | لله أرحامٌ هناك تُشَقَّق! (٢)
صبْرًا يقادُ إلى المنيةِ مُتعَبًا | رَسْفَ المقيدِ، وهو عانٍ مُوثَق (٣)

(٣) قال أُميَّةُ بن أبي الصَّلْتِ يعتِب على ابن له : (٤)

غَذَوْتُكَ مولُودًا وعُلْتُك يافِعًا | تُعَلُّ بما أُدنِي إليك وتُنْهَل (٥)
إذا ليلةٌ نابتك بالشَّكْوِلم أبِت | لشكواكَ إلا ساهرًا أتململُ (٦)
كأنى أنا المَطروقُ دونَكَ بالذى | طُرِقْتَ به دونى، وعَيْنِى تَهْمِلُ (٧)
تخافُ الردَى نفْسِى عليكَ، وإنها | لَتعلمُ أنَّ الموتَ حَتْمٌ مؤجَّل (٨)
فلمَّا بلغتَ السنَّ والغايَةَ التى | إليها مَدى ماكنتُ فيكَ أُؤمِّل

(١) كان تامة : أى وأحقهم بأن يعتق إن حصل منك عتق وفكاك .

(٢) تنوشه : تتناوله ، ولله أرحام : تعجب أى لم يقتله أحد غير بنى أبيه فعجبا من أرحام يقطعها أصحابها .

(٣) صبرا أى حبسا حتى يقتل ، والمعنى أنه يقاد ليموت بعد الحبس وهو متعب يرسف رسف المقيد ، أى وهو أسير موثق .

(٤) هو عبد الله بن أبى ربيعة الثقفى نشأ بالطائف جاهليا يلتمس المعارف الدينية متعبدا راجيا أن يكون نبى العرب ؛ حتى اذا كانت بعثة النبى صلى الله عليه وسلم قسها عليه ، وناضله مع أعدائه حتى مات بالطائف سنة ٩ هـ . ويمتاز شعره بالسهولة ، والدخيل من الألفاظ ، وتناول الأساطير ، والأمور الدينية مع المدح والحكمة وكان أكثر مدحه فى عبد الله بن جدعان القرشى .

(٥) غذاه : قام بمؤونته ، وعاله : كفله وقام به ، واليافع : من قارب العشرين ، تعل : من العلل وهو الشرب الثانى . والنهل : الشرب الأول ، يريد أنه يسبغ عليه من نعمه مرة بعد مرة .

(٦) أتململ : أتقلب على الملة وهى الجمر .

(٧) تهمل : أى يسيل منها الدمع .

(٨) الردى : الهلاك ، حتم أى لا مفر منه . مؤجل أى له وقت .

جعلتَ جزائى منك جَبْهًا وغِلْظَةً ... كأنكَ أنتَ المنعِمُ المتفضِّلُ (١)

فليتَكَ إذ لم ترعَ حقَّ أبُوَّتِي ... فعلتَ كما الجارُ المجاوِرُ يفعَلُ (٢)

وسمَّيْتَنِي باسمِ المفنَّدِ رأيُه ... وفى رأيِك التفنيدُ لوكنتَ تعقِلُ (٣)

تراه مُعَدًّا للخلافِ كأنه ... بِرَدٍّ على أهلِ الصوابِ مُوَكَّلُ (٤)

(٤) وقال كعب بن مالك : (٥)

عَجِبْتُ لأمرِ اللهِ واللهُ قادِرٌ ... على ما أراد ، ليس لِلّهِ قاهِرُ

قضى يومَ بدرٍ أن نُلاقِيَ معشرًا ... بغَوْا ، وسبيلُ البَغْيِ بالناسِ جائرُ

وقد حَشَدُوا ، واستَنْفَروا من يَلِيهِمُ ... من الناسِ ، حتى جَمْعُهم مُتكاثِرُ

وسارتْ إلينا لا تُحاوِلُ غَيْرَنا ... بأجمعِها : كَعْبٌ جميعًا ، وعامِرُ

وفينا رسولُ اللهِ ، والأوسُ حولَه ، ... له مَعْقِلٌ منهم عزيزٌ وناصِرُ

وجَمْعُ بنى النجارِ تحتَ لوائِهِ ... يَمْشُون فى الماذِىِّ ، والنَّقْعُ ثائرُ (٦)

فلمّا لَقِيناهمْ ، وكلٌّ مجاهِدٌ ... لأصحابه مُسْتَبْسِلُ النفْسِ صابرُ

---

(١) الجبه : مقابلة الانسان بما يكره .

(٢) أى ليتك إذ أبيت أن تعاملنى معاملة الأب عاملتنى كما يعامل الجار جاره .

(٣) فنده : نسبه الى سوء العقل أى وصمتنى بسوء الرأى والغباوة ، ولو عقلت لعلمت أن الفند حقيق بأن ينسب اليك لا إلى . (٤) معدًا : أى محضرا ومهيئا ، أى أنه يهيئ الخلاف ، و يقابل به كل كأنه كلف أن يفند آراء أهل الصواب .

(٥) هو كعب بن مالك الخزرجى من شعراء الرسول صلى الله عليه وسلم وأصحابه نشأ فى المدينة وأسلم ودافع أعداء الرسول عنه ، وروى عنه كثيرا من الأحاديث ثم كان عثمانيا يدعو الأنصار لنصر عثمان ، وتغلب على شعره النزعة الدينية فى أسلوب واضح متين .

(٦) الماذى هنا : السلاح من الحديد المجلو ، والنقع : غبار الحرب .

شهِدْنا بأن الله لا ربَّ غيرُه وأنّ رسولَ اللهِ بالحقّ ظاهر
وقد عرِيَتْ بيضٌ خِفاف كأنها مَقَابِيسُ يُزْهيها لعينيكَ شاهر (١)
بهِنَّ أبَدْنا جمعَهم فتبدَّدُوا وكانَ يُلاقِي الحَيْنَ مَنْ هو فاجر (٢)
فَكُبَّ أبو جهلٍ صريعا لِوجهِه وعُتْبَةُ قد غادرْنَه وهو عاثِر (٣)
وشَيْبَةَ والتَّيْمِيَّ غادرْن فى الوغَى وما منهمُ إلّا بذى العَرش كافر
فأمسَوْا وَقُودَ النارِ فى مُستَقرّها وكلُّ كفورٍ فى جهنمَ صائر
وكانَ رسولُ الله قد قالَ : أقبلوا فولّوا ، وقالُوا : إنما أنتَ ساحر
لأمرٍ أراد اللهُ أن يَهلِكوا به وليس لأمرٍ حَمَّه الله زاجر (٤)

---

(١) البيض الخفاف : السيوف ، والمقابيس : جمع مقباس ، وهو شعلة النار ، و يزهيها : شعلها ، وشاهر السيف : رافعه .

(٢) الحين : الموت والهلاك .

(٣) كب : صرع والنون فى غادرنه للسيوف ، والعاثر يراد به المصروع

(٤) حمه الله : قضاه ، زاجر رادّ .

(٥) قال مالكُ بنُ الرَّيْبِ التميمى[(١)]:

ألا ليتَ شعْرِى هل أَبيتنَّ ليلةً   بجَنبِ الغضى أُزجى القِلاصَ النواجِيَا
فَليتَ الغَضَى لم يقطع الركبُ عَرضهُ   وليتَ الغَضى ماشَى الركابَ لياليا
لقد كانَ فى أهلِ الغَضَى لو دَنا الغضَى   مَزارٌ ولكنَّ الغضَى ليسَ دانيا
ألم تَرَنِى بِعتُ الضلالةَ بالهدى   وأصبحتُ فى جيش ابنِ عفَّانَ غازِيا[(٢)]
دعانى الهوى من أهل أُودَ وصُحبتِى   بِذى الطَّبَسَيْنِ فالتفتُّ وَرائيا[(٣)]
أجبتُ الهوى لما دَعانى بِزَفْرَةٍ   تَقَنَّعتُ مِنها أن أُلامَ رِدَائيا[(٤)]
لعمرِى لئن غَالَتْ خُراسانُ هامتِى   لقد كنتُ عن بَابَىْ خُراسانَ نائيا[(٥)]
فللهِ دَرِّى يومَ أتركُ طائعا   بَنِىَّ بأعلَى الرُّقمَتينِ ومَاليا[(٦)]

---

(١) مالك بن الريب المازنى التميمى شاعر فاتك لص نشأ فى بادية بنى تميم عند البصرة يقول الشعر الرقيق الجيد و ينال الناس بالشر فيطلبه الولاة فيفر حتى اتخذه معه سعيد بن عثمان بن عفان والى خراسان من قبل معاوية وعند قفولها من خراسان مرض مالك هذا فقال يذكر مرضه وغربته بهذه القصيدة . وشعر مالك كما ترى جيد متين حسن التعبير .

(٢) فى جيش ابن عفان : هو سعيد بن عثمان بن عفان كان خرج معه لما ولى خراسان فلما كان ببعض الطريق أراد أن يلبس خفه فلدغته حية فى داخله .

(٣) أود : موضع بالبادية من بلاد العرب . الطبسان : كورتان بخراسان ، أى دعانى الهوى وأنا فى المكان ذى الطبسين .

(٤) أن ألام : أى مخافة أن ألام . وردائيا : مفعول تقنعت .

(٥) الهامة : الرأس .

(٦) لله درى : تركيب يقال فى المدح والدعاء ، أى ما أنا فيه من الخير انما هو من الله فى أصل المعنى ، وأراد بهذا التركيب هنا التعجب من نفسه والتقريع لها . والرقمتان : قريتان قرب البصرة .

ودرُّ الظباءِ السانحاتِ عَشِيَّةً ... يُخَبِّرنَ أنى هالك مَنْ ورائيا[1]
ودرُّ كَبِيرَىَّ اللَّذينِ كلاهما ... عَلَىَّ شَفِيقٌ ناصح لو نَهانيا[2]
ودَرُّ الهوى من حيثُ يدعو صِحَابَه ... ودَرُّ لجاجاتى ودرّ انتهائيا[3]
تذكرتُ مَن يَبكى علىَّ فلم أجِدْ ... سِوى السيف والرمح الرُّدَينيِّ باكيا[4]
وأشقَرَ خنذيذٍ يجُرُّ عِنانه ... الى الماء لم يترك لهُ الدهرُ ساقيا[5]

* * *

ولكنْ بأطراف السُّمَيْنَة نِسوةٌ ... عزيزٌ عليهِنّ العَشيةَ ما بِيا[6]
صريعٌ على أيدى الرجال بقَفْرة ... يُسَوُّونَ قبرى حيثُ حُمَّ قَضائيا
ولَّما تراءَتْ عند مَرْوَ مَنِيَّتى ... وخَلَّ بها جِسمِى وحانتْ وَفاتيا[7]
أقولُ لأصحابى : ارفَعُونى لأنّنى ... يَقَرّ لعينى أن سُهَيلٌ بدا ليا[8]
فياصاحِبَىْ رَحلِى دنا الموتُ فانزلا ... برابيةٍ ؛ إنى مقيم لياليا

---

(١) إما أنه يقصد بالظباء النساء من أهله ، وأنهن كن يتشاءمن من سفرته : و إما أنه يقصد الظباء الحقيقية وأنها وان سنحت وجاءت من المياسر الى الميامن وهو ما كانت تيمن به العرب كانت خداعة فى هذا وأنها فى الحقيقة كانت نذير الشؤم والهلاك .

(٢) لو نهانيا : لو للتمنى . والضمير يعود للشفيق .

(٣) ودرلجاجاتى يتهكم بأن مطامعه دفعته الى الهلاك وأن الموت كان انتهاء مطامعه .

(٤) الردينى منسوب الى ردينة ، وهى امرأة كانت تقوم الرماح ، أى لا أجد من يبكى على فى الغربة إلا سيفى و رمحى .

(٥) وأشقر : أى وفرس أشقر . خنذيذ : أى طويل صلب .

(٦) السمينة : موضع .

(٧) خل بها جسمى : احتل .

(٨) سهيل : نجم يكون فى سمت بلاد اليمن .

أقيما علىَّ اليومَ أو بعضَ ليلة ... ولا تُعجلانى ، قد تبيَّن ما بيا
وقوما إذا ما استُلَّ رُوحى وهيئا ... لىَ السِّدْر والأكفان ثم ابكيا ليا[1]
وخُطَّا بأطرافِ الأسنَّة مَضْجَعى ... ورُدَّا على عَيْنَىَّ فضلَ ردائيا
ولا تحسُدانى — باركَ الله فيكما — ... من الأرض ذاتِ العَرْض أن تُوسِعا ليا
خُذانى بجُرَّانى ببُردى إليكما ... فقد كنتُ قبلَ اليوم صَعْبًا قِياديا
وقد كنتُ عطَّافًا إذا الخيل أدبرت ... سَريعًا الى الهَيْجا إلى مَن دَعانيا
وقد كنتُ محمودًا لدى الزادِ والقِرَى ... وعن شتمِى ابنَ العم والجارَ وانيا
وقد كنت صبَّارًا على القِرْن فى الوغى ... ثقيلًا على الأعداء عَضْبًا لسانيا[2]
وطورًا ترانى فى ظلال ومَجْمَع ... وطورًا ترانى والعِتَاقُ ركابيا[3]
وطورًا ترانى فى رَحًى مستديرة ... تُخَرِّقُ أطرافُ الرماح ثيابيا[4]
وقُومَا على بِئر الشُّبَيْك فأسْمِعا ... بها الوحشَ والبيضَ الحسان الروانيا[5]
بأنكما خَلَّفْتُمَانِى بِقَفْرةٍ ... تهيلُ علىَّ الريحُ فيها السوافيا[6]
ولا تنسيَا عهدى خليلَيَّ إننى ... تَقَطَّعُ أوصالى وتبلَى عظاميا[7]

---

(١) السدر : شجر النبق . والمراد هنا ورقه لأنه يغسل به الميت .

(٢) القرن : المثيل فى الحرب . والعضب : السيف القاطع .

(٣) يصف نفسه فى السلم بأنه كان متمتعا بلذات العيش فى ظلال نعيم ، وأنه كان صاحب رأى إذا التفت المجامع ، ويصف نفسه فى الحرب بأن مكانه متون الخيل . والعتاق : جمع عتيق ، وهو الفرس الكريم .

(٤) أى فى الحرب التى تدور رحاها .

(٥) الشبيك : موضع . والروانى : النواظر .

(٦) السوافى : جمع سافية ، وهى الريح تحمل الغبار .

(٧) الأوصال : المفاصل .

فلن يعـــدَم الوالون بَيتـا يُجِنُّنِي ولن يعدَمَ الميراثُ مِنِّى المَواليَـا (١)
يقولون : لا تَبْعَدْ! وهم يدفنوننى وأين مكانُ البعــدِ إلا مكانيـا (٢)
غــداة غدٍ يالهَف نفسى على غــد إذا أدلجــوا عنى وخُلِّفْتُ ثاويا (٣)
وأصــبح مالى من طَريفٍ وتالد لغيرى وكان المـال بالأمس ماليا (٤)
فياليت شِعْرِى هل تَغيرت الرحى رحى المُثل أو أضحت بفَلْج كما هيا (٥)
إذا القــوم حَلُّوها جميعًـا وأنزلوا بهـا بَقَـرًا حُمَّ العُيـون سواجيا (٦)
رعَيْنَ وقد كان الظلامُ يُجِنُّها يَسُـفْنَ الخُزامَى نَوْرَها والأقاحيا (٧)
وهل ترك العيسُ المراقيلُ بالضُّحا تعاليهَا، تعــلو المتون القيافيـا (٨)
إذا عُصَبُ الرُّكبان بين عُنَيْزَةٍ وبَوْلانَ عاجوا المُبْقِياتِ المَهاديا (٩)
وياليتَ شِعرى هل بَكتْ أُمُّ مالك كما كُنتُ لو عَالَوا نَعِيَّك باكِيا (١٠)

---

(١) بيتا يجننى : قبرا يوارينى . والموالى : الأقارب .

(٢) بعد يبعد من باب فرح هلك، وكان من عادة العرب عند دفن الميت أن يقولوا لاتبعد .

(٣) غداة الظرف متعلق بيقولون، أدلجوا : ساروا ليلا . وثاو : مقيم .

(٤) الطريف : المـال المكتسب . والتالد : المـال الموروث .

(٥) رحى المثل بضم الميم . والمثل : موضع . وفلج : موضع .

(٦) حلوها : أى نزلوا بها . حم : جمع حماء وهى السوداء . والسواجى : جمع ساجية وهى العين الساكنة ، وهى صفة حسن والظاهر أنه يقصد بالبقر هنا النساء الحسان وما فى البيت بعده ترشيح .

(٧) يجنها : يخفيها ، وساف يسوف : شم . والخزامى : نبت طيب الرائحة . والأقاحى : جمع أقحوان هو نبت زهره أبيض مفلج .

(٨) العيس : الإبل . والمراقيل : جمع مرقال وهى السريعة . والتعالى : الارتفاع فى السير . والمتون : الجهات المرتفعة . والقياقى : جمع قيقاءة وهى الأرض الغليظة .

(٩) عنيزة : مكان فى وادى بطن فلج . المبقيات : التى يبقى جريها بعد انقطاع جرى غيرها وكلالها .

(١٠) عالوا : رفعوا أى بلغوا . أى كما كنت باكيا عليك يا أم مالك لو بلغونى نعيك .

إذا مِتُّ فاعتادِى القبورَ فسلِّمى ... على الرَّيْمِ أُسقيتِ الغمامَ الغواديا (١)

تَرَىْ جَدَثًا قد جَرَّت الريحُ فوقَه ... غُبارًا كلون القَسْطَلانىِّ هابيا (٢)

رهينةَ أحجار وتُرْبٍ تضمَّنت ... قرارتُها منِّى العظامَ البواليا

* * *

أقلِّبُ طَرْفى فوقَ رحلى فلا أرَى ... به من عيون المؤنسات مُراعيا

وبالرَّمل مِنَّا نِسْوةٌ لو شَهِدنَنى ... بَكَيْنَ وَفَدَّيْنَ الطبيبَ المداويا

فمِنْهُنَّ أُمِّى وابنتاها وخالتى ... وباكية أخرى تَهيج البواكيا (٣)

وما كان عهدُ الرَّملِ منِّى وأهلِه ... ذميمًا ، ولا بالرمل ودَّعْتُ قاليا

(٦) وقال أَعْشَى باهلةَ (٤) :

إنِّى أتَتْنِى لسانٌ ما أُسَرُّ بها ... من عَلْوُ لا عَجَبٌ فيها ولا سَخَرُ (٥)

جاءت مُرَجَّمَةٌ قد كنت أحْذَرُها ... لو كان يَنفعُنِى الإشفاقُ والحَذَرُ (٦)

---

(١) الريم : القبر . الغوادى : جمع غادية . السحابة الباكرة المطر .

(٢) القسطلانى : نسبة إلى القسطلان وهو غبار الحرب . هاب من هبا الغبار إذا سطع أو اختلط بالتراب .

(٣) يريد زوجته .

(٤) هو عامر بن الحارث بن عوف بن معن شاعر مشهور كان له أخ من أمه يدعى المنتشر بن وهب قتله بنو الحارث بن كعب فى رجل منهم فرثاه الأعشى بهذه الرائية .

(٥) لسان : أى رسالة . وعلو الشىء : أعلاه . ويريد هنا من بعد وهو هنا مبنى على الضم لأنه ظرف مبهم قطع عن الإضافة . والسخر : الاستهزاء ، أى أن الخبر الذى وصل اليه من مكان بعيد خبر لا عجب فيه ، لأنه كان ينتظر ، ولا استهزاء بصحته .

(٦) مرجمة : الحديث المرجم : ما لا يوقف على حقيقته . والإشفاق : الخوف .

تأتى على الناسِ لا تَلوِى على أَحدٍ حتى أتَتْنا ، وكانت دونَنا مُضَرُ (١)
إذا يُقادُ لها ذِكرٌ أُكذِّبُه حتى أتتنى بها الأنباءُ والخبرُ (٢)
فبِتُّ مكتئبًا حيرانَ أندُبُه ولستُ أدفع ما يأتى به القَدَرُ
فجاشتِ النفسُ لما جاء جمعُهم وراكبٌ جاءَ من تَثليثَ مُعتَمِرُ (٣)
إن الذى جئتَ من تَثليثَ تَندُبُه منه السَّماحُ ومنه الجُودُ والغِيَرُ (٤)
تَنعَى امرأً لا تُغِبُّ الحىَّ جَفنتُه إذا الكواكبُ خَوَّى نَوْءَها المطَرُ (٥)
وراحت الشَّوْلُ مغبرًّا مناكِبُها شُعثًا تَغيَّرَ منها النِّىُّ والوَبَرُ (٦)
وأَجحَرَ الكلبَ مُبيَضُّ الصَّقيعِ به وضَمَّت الحىَّ من صُرَّاده الحُجَرُ (٧)
عليه أوَّلُ زادِ القومِ قد علِموا ثم المطىُّ إذا ما أرملوا جُزُرُ (٨)

---

(١) لا تلوى على أحد : أى لا تتوقف ولا تنتظر . أى أن هذه الرسالة كانت تمرّ على الناس سريعا حتى وصلت الىّ وكان بينى و بينها قبائل مضر .

(٢) الأنباء : الأخبار . يريد كنت أكذبها حتى تواترت الانباء والأخبار .

(٣) جاشت : غلت واضطربت من الحزن . وتثليث : موضع . ومعتمر : معتم .

(٤) الغير : جمع غيرة ، وهى النخوة .

(٥) نعى الميت ينعاه : أخبر بموته . أغبتهم : جاءتهم يوما وتركت يوما . والجفنة : القصعة . وخوى الكوكب : لم يمطر . والنوء : مظهر خاص فى الكواكب ينذر بالمطر . والمعنى أنه كان كريما يرسل الجفان الى الحى حتى فى أوقات الشدائد والجدب حينما يخلف المطر ما كانت تنذر به علامات سقوطه .

(٦) الشول : جمع شائلة . وهى الناقة جف لبنها . والشعث : جمع شعثاء وهى المغبرة الرأس المتلبدة الوبر . والنى : الشحم والسمن .

(٧) أجحر الكلب : ألزمه جحره . والصقيع : ما يسقط بالليل كأنه ثلج . والصراد : السحاب شديد البرد ولا مطرفيه .

(٨) أرملوا : قل زادهم ، والتصقت أيديهم بالرمل . والجزر : جمع جزور ، وهى الناقة التى تنحر للأكل .

لا تأمَنُ البازِلُ الكَوْماءُ ضَربتَهُ ... بالمَشْرَفِيِّ إذا ما اخرَوَّطَ السَّفَرُ (١)

قد تَكْظِمُ البزل منه حين يَفْجَؤُها ... حتى تَقَطَّعَ فى أعناقها الجِرَرُ (٢)

أخو رغائبَ يُعطيها ويُسْأَلُها ... يَخشى الظُّلَامَةَ منه النَّوْفَلُ الزُّفَرُ (٣)

مَنْ ليس فى خَيره مَنٌّ يُكَدِّرُه ... على الصديق ولا فى صفوه كَدَرُ

يَمْشِى ببيداءَ لا يمشى بها أحدٌ ... ولا يُحَسُّ خلا الخَافِي بها أَثَرُ (٤)

كأنه بعد صَدْقِ القوم أنفسَهمْ ... بالبأس يلمعُ من أقدامه الشَّرَرُ (٥)

وليس فيه إذا استَنْظَرْتَه عَجَلٌ ... وليسَ فيه إذا ياسَرْتَه عَسَرُ (٦)

إمَّا يُصِبْهُ عَدُوٌّ فى مُناوأةٍ ... يومًا فقد كانَ يَستَعْلِى ويَنْتَصِرُ (٧)

أخو حروبٍ ومِكسابٌ إذا عدموا ... وفى المَخَافة منه الجِدُّ والحَذَرُ (٨)

---

(١) البازل : مابرز نابه من جمل أو ناقة ، وتكون سنه إذاً نحو تسع سنين . الكوماء : الناقة الضخمة السنام . واخروط السفر : أى طالت مدّته ، وبعدت طريقته .

(٢) تكظم : أى تحبس غيظها على مضض . ويفجؤها : يجيئها بجاءة وبغتة . والجرر : جمع جرة . وهى الكرش التى يضع فيها البعير طعامه ليأكله ثانية . يعنى أنه لكثرة عادته بعقر الإبل إذا رأته كظمت وحبست جررها خوفا وهيبة حتى تكاد تقطع أعناقها .

(٣) الرغائب : العطايا ، يعطيها ويسألها : أى مرة يعطى بلا سؤال ومرة بعد سؤال . والظلامة : ما يتظلم منه . والنوفل : الكثير العطاء . والزفر : السيد .

(٤) البيداء : الفلاة . والخافى : الجنى ، يصفه بالجرأة وقوة القلب والعزيمة .

(٥) صدق القوم أنفسهم : أى إجهادهم أنفسهم . والبأس : القوة ، يعنى إذا جاراه وسابقه قوم فإنك تراهم بعد أن أجهدوا أنفسهم ليبلغوا مداه قد خابوا ، وتراه وقد لمع الشرر من أقدامه لقوة عدوه .

(٦) استنظرته : طلبت منه الانتظار . وياسرته : لاينته ولاطفته . والعسر : قلة السماحة وضيق الخلق .

(٧) إما : هى إن الشرطية المدغمة فى ما . والمناوأة : المعاداة .

(٨) الجد : الاجتهاد فى الأمر .

مِرْدَى حُروبٍ شهابٌ يستضاء به ... كما أضاء ســوادَ الطُّخْيَــة القَمَرُ (١)
مُهَفْهَفٌ أهضمُ الكَشْحين مُنْخَرِقٌ ... عنــه القميصُ، لسير الليل مُحْتَقِرُ (٢)
ضخمُ الدسيعةِ مِتلاف أخو ثِقَــةٍ ... حامى الحقيقة منه الجودُ والفَخَرُ (٣)
طَاوِى المَصِيرِ على العَــزَّاءِ مُنْجَرِدٌ ... بالقوم ليــلةَ لا ماءٌ ولا شجــرُ (٤)
لا يَتَأَرَّى لمــا فى القِــدْرِ يَرْقُبُــهُ ... ولا يَعَضُّ على شُرْسُوفِهِ الصَّــفَرُ (٥)
تكفيه فِلْذَةُ لحم إن أَلَمَّ بهــا ... من الشِّواء، ويروِى شَرْبَهُ الغُمَرُ (٦)
لا يأمَنُ النــاسُ مُمْسَاهُ ومُصْبَحَهُ ... فى كل فَجٍّ، وإن لم يَغزُ يُنْتَظَرُ (٧)
المعجِلُ القومِ ان تَغْــلِي مَرَاجِلُهُمْ ... قبلَ الصباح، ولَمَّــا يُمْسَحِ البصرُ (٨)
لا يَغْمِزُ الساقَ من أَيْنٍ ولا نَصَبٍ ... ولا يزالُ أمامَ القــوم يَقْتَفِــرُ (٩)

---

(١) المردى : الحجر الذى يرمى به أو الذى تكسر به الصخور. والشهاب : شعلة من النار. والطخية : الظلمة.

(٢) المهفهف : الخفيف اللحم . أهضم الكشحين . أى ضامر الخصر . منخرق عنــه القميص : هذا كناية عن طول أسفاره .

(٣) الدسيعة : العطية . والحقيقة : ما يحق على الرجل أن يمنعه ويدافع عنه كالشرف والعرض وغيرهما .

(٤) المصير : المعى ، وجمعه مصران . والعزاء : السنة الشديدة الجدبة ، والمنجرد هنا : المسرع بالسير يعنى أنه فى السنة المجدبة يطوى أحشاءه على الجوع ، ويسير بالقوم لمواطن القوت فى ليلة لا ماء فيها ولا نبات .

(٥) يتأرى : يتحبس وينتظر. والشرسوف : غضروف الضلع المشرفة على البطن . والصفر والصفار : دويبة تزعم العرب أنها فى البطن تعض الضلوع عند الجوع .

(٦) الفلذة : القطعة الصــغيرة. والشرب : أصله الشرب وسكنت الراء وهو مصدر شرب بمعنى عطش . والغمر : قدح صغير أو أصغر الأقداح .

(٧) أى أنه يخوف فى كل الأوقات وأنه إذا لم يغز قوما انتظروا حملته فى خوف .

(٨) أى أنه يدعو القوم إلى العجلة والإسراع إلى الغارة دون أن ينتظروا غليـان قدورهم وذلك قبل الفجر وقبل أن يمسح القوم أعينهم من آثار النوم .

(٩) الاين والنصب التعب . و يقتفر : يتبع ويجرى على أثره .

عِشْنَا بِهِ بُرْهَةً دهرًا فودّعَنَا كذلك الرُّمْحُ ذو النَّصلين منكسِر
فنعمَ ما أنتَ عند الخير تَسْأَلُهُ ونعمَ ما أنتَ عند البأس تُحْتَضَرُ (١)
أَصَبْتَ فى حَرَمٍ مِنَّا أخا ثِقَةٍ هِنْدَ بنَ سَلْمَى، فلايَهْنَأْ لكَ الظَّفَرُ!
فإن جَزِعنَا فإن الشرَّ أَجْزَعَنَا وإن صَبَرْنَا فإنا مَعْشَرٌ صُبُرُ (٢)

(٧) قالت الخنساء(٣) ترثى أخاها صخرا :

ما هاجَ حُزنَكَ؟ أم بالعين عُوَّارُ أم ذَرَّفَتْ أنْ خَلَتْ من أهلها الدارُ (٤)
كأنَّ عينِي لِذِكْرَاهُ إذا خطَرَتْ فَيْضٌ يَسِيلُ على الخدين مِدْرارُ (٥)
تبكِي لصخرٍ هى العَبْرَى وقد وَلِهَتْ ودونَهُ من جديد التُّرْبِ أستارُ (٦)
تبكي خُنَاسُ فما تَنْفَكُّ ما عَمَرَتْ لها عليه رَنِينٌ، وهى مِقْتَارُ (٧)

---

(١) البأس : الشدة، وتحتضر أى يطلب حضورك .

(٢) صبر : جمع صبور .

(٣) هى تماضر بنت عمرو بن الشريد السلمى نشأت فى بيت مجد وسيادة فى الجاهلية تقول المقطوعات من الشعر فلما قتل أخواها صخر ومعاوية اشتد جزعها عليهما حتى نبغت فى الرثاء . وتعد الخنساء على رأس الشواعر العربيات لقوة شعرها مع جمال الأسلوب وسلاسته . وكانت وفاتها بالبادية فى خلافة معاوية سنة ٤٦ هـ .

(٤) ما : استفهامية . والعوار : رمد العين . وذرفت : قطرت قطرا متتابعا . تقول : أى شىء هاج حزنك أبك رمد؟ أم سكبت الدموع لخلو الدار من أهلها ؟

(٥) كأن عينى أى دموع عينى . والفيض : الماء الكثير . والمدرار الغزير .

(٦) الضمير فى تبكى يعود على الخنساء . والعبرى : التى لاتجف دموعها وعبراتها . والوله : شدة الجزع والأستار هنا : الأحجار والتراب يهال على الميت . وقولها من جديد الترب يدل على قرب موته ، وهذا يستلزم شدة الجزع .

(٧) ما عمرت : أى مدة عمرها . والمقتار : التى أصابتها فترة أى ضعف .

تبكى خُناسُ على صخرٍ ، وحقّ لها ... إذْ رابَها الدهرُ، إنّ الدهرَ ضَرّار (١)
لا بُدَّ من ميتـــةٍ فى صَرْفها غِيَرٌ ... والدهرُ فى صَرفِه حَوْلٌ وأطوار (٢)
ياصخـــرُ ورّادَ ماءٍ قـــد تَنَاذَرَهُ ... أهـــلُ الموارد ما فى وِرْدِهِ عار (٣)
مَشْىَ السَّبَنْتَى إلى هَيْجاءَ مُضْلِعَةٍ ... له ســـلاحانِ أنيـــابٌ وأظفار (٤)
فما عجـــولٌ على بَوٍّ تُطيفُ به ... لهـــا حنينانِ إصغار وإكبار (٥)
ترتَعُ ما رَتَعَتْ حتى إذا ادّكَرَتْ ... فإنمـــا هى إقبـــالٌ وإدبار (٦)
لا تَسمَنُ الدهرَ فى أرضٍ وإن رُبِعَتْ ... فإنمـــا هى تَحْنانٌ وتَسْـــجار (٧)
يوما بأوجدَ مـــنى يومَ فارقـــنى ... صخـــرٌ، وللدهرِ إحلاءٌ وإمرار (٨)
وإنّ صخـــرًا لكافينا وســـيدُنا ... وإنّ صخرًا إذا نشـــتو لَنَحّارُ (٩)

---

(١) رابها الدهر : أى رأت منه ما تكرهه .

(٢) فى صرفها : أى فى حدوثها وتصرفها . وغير الدهر : أحداثه وأحواله . والحول : التحول والتقلب . والأطوار : الأحوال .

(٣) تناذره أهل الموارد : أنذر بعضهم بعضا ، وخوّف بعضهم بعضا عاقبة وروده . تقول : وردت حوض المنية وقد خافه كل وارد ، على أنه ليس فى وروده من عار لأنه لا مفرّ منه .

(٤) السبنتى : الجرىء والنمر . والهيجاء : الحرب . والمضلعة : الشديدة .

(٥) العجول من الإبل والنساء : التى يموت ولدها وهو صـــغير . والبو : جلد ولد الناقة محشوا يدلى منها فترأمه والإصغار فى الحنين : خفض الصوت به . والاكبار : رفعه .

(٦) رتعت الناقة رعت ، أى أنها ترعى مادامت ناسية ما أصاب ولدها حتى اذا ذكرته لم يقر لها قرار من شدّة الحزن .

(٧) ربعت : أصابها مطر الربيع ، أى تبقى هزيلة على مدى الأيام حتى لو كانت فى أرض معشبة أصابها مطر الربيع لأنها دائما فى حنين . والتسجار : مدّ الصوت بالحنين من سجر يسجر

(٨) بأوجد : خبر ما عجول قبل هذا البيت ببيتين

(٩) نشتو أى ندخل فى الشتاء . وخصصه لأنه زمن الجدب والشدّة

وان صخـــرا لَمِقْــدَامٌ إذا ركبوا   وإنّ صخـــرا اذا جاعوا لعقــار (١)

أغرُّ أبلــج تأتمُّ الهــداة به   كأنه عَــلَمٌ فى رأســه نارُ (٢)

جَلْدٌ جميــلُ المُحيَّا كاملٌ وَرِعٌ   وللحروب غداةَ الرَّوْعِ مِسْــعار (٣)

حمَّالُ ألويةٍ هبَّـاطُ أَوْدِيةٍ   شَــهَّادُ أنديةٍ للجيش جــرَّار (٤)

فبتُّ ساهرةً للنجــمِ أرقُبُــه   حتى أتى دونَ غَوْرِ النجمِ أستار (٥)

ليبكه مُقْــتِرٌ أفنَى حَرِيبَتَــه   دهرٌ ، وحالَفَــهُ بؤسٌ وإقتــار (٦)

ورُفْقَــةٌ حَارَ هاديهــم بمَهْلِكَةٍ   كأنّ ظُلمتَهــا فى الطُّخْيَةِ القــار (٧)

لا يمنَــع القــومَ إن سالوه خِلْعَتَه   ولا يجــاوزُه بالليــلِ مُرَّار (٨)

---

(١) عقر الإبل : نحرها .

(٢) الأغر : الكريم الفعال والشريف . والأبلج : البعيد ما بين الحاجبين ، وهذا مما يمدح به الرجل . والعلم : الجبل . تصفه بأنه هادى الهــداة وأنه فى الشهرة والظهور أو فى هداية الناس إلى الشرف والمجد كالجبل فى قمته نار .

(٣) الجلد : الشــديد القوى . والورع : المجتنب لمـا لا يعنيــه . وفى رواية ذرع والذرع الحسن العشرة . والروع : الخوف والحرب . ومسعار : أى موقد نار الحرب .

(٤) تصــفه بالشجاعة والسيادة ؛ فهو حامل اللواء فى الحرب ، وهو لا يعتصم بالجبال خوفا ، بل يهبط الوديان للقتال ، ثم انه حكيم راجح الرأى يشهد أندية عقلاء القبيلة وأهل الرأى فيها .

(٥) الغور : غروب النجم وسقوطه ؛ تريد بالنجم الثانى صخرا أى حتى حملت ظلمات القبور ، فغيبت صخرا دون أن يبلغ من الحياة أمد أمثاله .

(٦) المقتر : الفقير . والحريبة : ما يعيش الإنسان به من المـال

(٧) المهلكة : مكان الهلاك . والطخية : الظلمة الشديدة .

(٨) المرار : جمع مار ، أى لو سئل ثوبه ما منعه ، ولا يمر بداره إنسان إلا أضافه .

(٨) قال حسان بن ثابت[١] يذكر الحارث بن هشام وهزيمته يوم بدر . وقد حسن إسلامه بعد ذلك واستشهد بأجنادين :

تَبَلَتْ فُؤادَكَ فى المنامِ خَرِيدةٌ تَسْقِى الضَّجيعَ بِبَارِدٍ بَسَّامِ (٢)

✦

يامَنْ لِعاذِلةٍ تلومُ سَفَاهَةً ولقد عَصَيْتُ على الهوى لُوَّامى (٣)

بَكَرَتْ علىّ بُسُحْرَةٍ بعدَ الكَرَى وتَقَارُبٍ من حادثِ الأَيَّامِ (٤)

زعمت بأن المرءَ يُكْرِبُ يومَهُ عُدْمٌ لمعتكرٍ من الأَصرامِ (٥)

إن كنتِ كاذبةَ الذى حدَّثْتِنِى فنجَوتِ مَنْجَى الحارثِ بنِ هشامِ

تَرَكَ الأحبةَ أن يقاتِلَ عنهمُ ونجا برأسِ طِمِرَّةٍ ولِجامِ (٦)

---

(١) هو أبو الوليد حسان بن ثابت الأنصارى . نشأ جاهليا نابها فى الشعر يمدح المناذرة والغساسنة ، وقد أسلم مع الأنصار بعد الهجرة ، وصار شاعر الرسول ، محببا اليه والى خلفائه حتى مات فى خلافة معاوية سنة ٥٤ هـ .
ويتناول شعره المدح والهجاء والفخر بنفسه وبقومه . ويختلف أسلوبه الإسلامى عن الجاهلى بتأثير البيئة الجديدة فصار سهلا مألوفا بعد أن كان وعرا غريب الألفاظ

(٢) تبله الحب : ذهب بعقله وأسقمه . والخريدة : المرأة الحيية الطويلة السكوت ، الخافضة الصوت المستترة . والضجيع : المضاجع . والبارد البسام : الفم العذب كثير الابتسام .

(٣) أى من يسعدنى لدفع عاذلة . والسفاهة : الجهل ، مصدر سفه .

(٤) بكر يبكر الى الشىء : عجل . والسحرة : قبيل الصبح . ويريد بالتقارب من حادث الأيام : الكبر والقرب من الموت .

(٥) يكرب : يدنى . والمعتكر : الجيش اذا اختلط رجاله . والأصرام : جمع صرم ، وهو : الصف والجماعة . يقول : إن العاذلة تدعى أن فناء قوم الرجل وأهله يدنى أجله ؛ فهى تنفره من الحرب وخوض غمارها .

(٦) الطمرة : الفرس الجواد المستعد للوثب ، أى نجا مسرعا بفرسه متشبثا برأسها وبلجامها فرارا من هول الحرب .

تَــذَرُ العَنَاجِيجَ الجِيادَ بِقَفْرَةٍ ... مَرَّ الدَّمــوكِ بِمُحْصَــدٍ ورِجامِ (١)
مَلأَتْ به الفَرْجَيْنِ فارمَــدَّتْ به ... وثوى أحبَّتُــه بشــرِّ مُقَامِ (٢)
وبنو أبيه ورهطُه فى مَعْــرَكٍ ... نَصَرَ الإلهُ به ذوِى الإســلامِ
طحنتْهُمُ — واللهُ يُنْفِذُ أمرَه — ... حربٌ يُشَبُّ سعيرُها بضــرامِ
لــولا الإلهُ وجريُهــا لتركْنَه ... جَزَرَ الســباعِ ودُسْنَه بِحَوامِى (٣)
من كلِّ مأسورٍ يُشَدُّ صِفادُه ... صَــقْرٌ إذا لاقى الكتيبةَ حامى (٤)
ومجــدَّلٍ لا يستجيب لدعــوةٍ ... حــتى تزولَ شــوامخُ الأعلامِ (٥)
بالعــارِ والذلِّ المُبِيــنِ إذا رأَوْا ... بيضَ السيوفِ تسوق كلَّ هُمــامِ (٦)
بِيَدَىْ أغــرَّ إذا انتمى لم يُخْــزِهِ ... نسبُ القِصارِ سَمَيْــذَعٍ مِقْــدامِ (٧)
بيضٌ إذا لاقتْ حديدًا أصمتَتْ ... كالبرقِ تحتَ ظلالِ كُلِّ غمــامِ (٨)

---

(١) العناجيج : جياد الخيل . الدموك : البكرة يستق بهـا على البئر . والمحصد : حبل شديد القتل ، والرجام : حجر يربط فى الدلو ليكون أسرع لها عند إدلائها .

(٢) ملأت ... الخ : المراد بالفرجين الفضاء بين يديها ورجليها . وارمدت : صارت بلون الرماد لكثرة ما أصابها من غبار . ثوى : أقام .

(٣) الضمير فى تركنه للخيل ، وجزر السباع : أى طعمتها ويريد بالحوامى سنابك الخيل .

(٤) صقر : فاعل يشد ، وفيه تشبيه الرجل الشجاع بالصقر . والصفاد : ما يوثق به الأسير .

(٥) جدّله صرعه على الجدالة : وهى الأرض ذات الرمل الرقيــق أو عام . يقول إن هــذا المجدل فارق الحياة ، فلا يستجيب لمن يدعوه حتى تزول الجبال .

(٦) بالعار : متعلق بمحذوف أى يشعرون .

(٧) الأغر : الكريم الفعــال والشريف . ونسب القصار أى نسب قصار النسب ، يقــولون فلان قصير النسب أى أبوه معروف إذا ذكره الابن كفاه عن ذكر الجد . والسميذع : السيد الكريم الشريف السخىّ الموطأ الأكناف والشجاع والرجل الخفيف فى حاجته . بيدى متعلق بمحذوف حال من بيض .

(٨) بيض : خبر لمبتدأ محذوف أى سلاحه بيض ، وأصمتت بمعنى أسكتت لشدة هولها . ثم شبهها فى لمعانها بالبرق فى ظلمة الغمام .

وقال يمدح عمراً بن الحارث الغسانى وقومه :

أسألتَ رَسْمَ الدار أمْ لم تسألِ ... بين الجَوابِى فالبُضَيْعِ فحَوْمَلِ (١)

فالمرجِ مَرجِ الصُّفَّرَيْنِ فجاسمٍ ... فديارِ سلمى دُرَّسًا ، لم تُحلَلِ (٢)

دِمَنٌ تعاقبُها الرِّياحُ دوارسٌ ... والمُدْجِنَاتُ من السِّماكِ الأعْزَلِ (٣)

دارٌ لقومٍ قد أراهم مَرَّةً ... فوقَ الأعزةِ عِزُّهم لم يُنْقَلِ

لله درُّ عصابةٍ نادمتُهم ... يوما بجِلَّقَ فى الزمانِ الأوّلِ (٤)

يَمشُون فى الحُلَلِ المضاعفِ نسجُها ... مَشىَ الجِمالِ إلى الجِمالِ البُزَّلِ (٥)

الضاربون الكبشَ يَبرُق بَيْضُهُ ... ضَرْبا يَطيحُ له بَنانُ المَفْصِلِ (٦)

والخالطون فقيرَهُمْ بغنيِّهِمْ ... والمنعِمون على الضعيفِ المُرْملِ (٧)

أولادُ جَفْنَةَ حولَ قبرِ أبيهِم ... قبرِ ابن ماريةَ الكريمِ المُفْضِلِ

---

(١) رسم الدار : بقية آثارها . والجوابى والبضيع وحومل : مواضع .

(٢) مرج صفر وجاسم : موضعان بالشام . ودرسا : جمع دارسة ، وهى البالية . لم تحلل أى لم ينزل أحد بها .

(٣) الدمن : جمع دمنة ، وهى آثار الدار . وتعاقبها الرياح أى تهب عليها آنا فآنا . ودوارس : جمع دارسة . والمدجنات : السحب الكثيرة الأمطار .

(٤) جلق : دمشق .

(٥) الحلل : الدروع ، والمضاعف نسجها : التى نسجت حلقتين حلقتين . والبزل : جمع بازل ، وهو ما برزت نابه من الإبل ، وذلك عند ما يبلغ التاسعة .

(٦) الكبش : سيد القوم وقائدهم . والبيض : جمع بيضة ، وهى الخوذة تلبس على الرأس . وقصد بقوله (ضربا يطيح له بنان المفصل) أن الضرب سريع والسيف حاد حتى انه يقطع أجزاء الجسم الصغيرة فى سرعة .

(٧) المرمل : الذى فنى زاده والتصق بالرمل . يصفهم بالجود والرفق والتواضع .

يَسْقُون مَنْ وَرَدَ البَرِيصَ عليهمُ ... بَرَدَى يُصَفَّقُ بالرحيق السَّلْسَلِ (١)

يَسقُون دِرْياقَ الرحيقِ ، ولم تكن ... تُدْعَى ولائدُهم لنَقْفِ الحَنْظَلِ (٢)

بيضُ الوجوهِ كريمةٌ أحسابُهم ... شُمُّ الأُنوفِ من الطِّرازِ الأوّلِ

فَلَبِثْتُ أزْمَانًا طويلًا فيهمُ ... ثم ادَّرَكْتُ كأنني لم أفعلِ (٣)

إمَّا تَرىْ رَأسِي تَغَيَّرَ لونُه ... شَمَطًا ، فأصبح كالثَّغامِ المُخْوِلِ (٤)

ولقد يرانى مُوعِدِىَّ كأننى ... فى قصرِ دُومَةَ أو سَواءِ الهَيْكَلِ (٥)

ولقد شرِبْتُ الخمرَ فى حانوتها ... صَهْبَاءَ صافيةً كطعمِ الفُلْفُلِ (٦)

يسعى علىَّ بِكأسِها مُتَنَطِّفٌ ... فيُعِلُّنِى منها ، ولو لم أُنْهَلِ (٧)

---

(١) البريص : موضع بدمشق . وبردى : نهر دمشق الأعظم . وصفق الرجل الشراب : حوّله ممزوجا من إناء الى إناء ليصفو . والرحيق : الخمر أو أطيبها . والسلسل : العذب البارد ، أى أنهم يسقون من وفد عليهم ماء من النهر ممزوجا بالخمر العذب البارد المصفى .

(٢) الدرياق : لغة فى الترياق وهو الخمر . والولائد : جمع وليدة ، وهى الصبية أو الأمة. نقف الحنظل : شقه ، ويكنى بأن إماءهم لا تشق الحنظل ليسارهم ولأنهم فى خصب .

(٣) طويلا . صفة لمفعول مطلق أى لبثا طويلا . وادركت : أى امتنعت عن اللهو بتاتا .

(٤) إما : إن الشرطية المدغمة فى ما . والشمط : بياض الشعر يخالط سواده . والثغام : نبت يبيض ورقه إذا يبس وجواب الشرط محذوف أى فلا تجزعى .

(٥) أوعده : أنذره بالشر . وأصل موعدى موعدوى ، فقلبت الواو ياء وأدغمت الياء فى الياء . وقصر دومة : حصن . والهيكل : بيت لعبادة النصارى . يقصد أن أعداءه يرونه بعيدا عن أن ينالوه حتى كأنه فى الحصن .

(٦) الحانوت : الحانة .

(٧) المتنطف : لابس القرط . وأعله : سقاه ثانية . والنهل : من الأضداد يقع على الرى والعطش ، أى يسقينى ثانية ، ولو لم أظمأ .

إن التى ناولتنى فرددتها ... قُتِلَتْ ـ قُتِلْتَ ـ فهاتها لم تُقتَل (١)
كلتاهما حَلَبُ العصير فعاطنى ... بزجاجةٍ أرخاهما للمَفْصِل (٢)
بزجاجةٍ رقَصت بما فى قعرها ... رقْصَ القَلوصِ براكبٍ مستعجل (٣)
نسبى أصيلٌ فى الكرام ومِذْوَدِى ... تكوِى مواسمُه جُنوبَ المُصطَلى (٤)
ولقد تُقلِّدُنا العشيرةُ أمرَها ... ونسودُ يومَ النائباتِ ونَعْتَلى
ويسودُ سيِّدُنا جَحاجِحَ سادةً ... ويُصيب قائلُنا سواءَ المَفْصِل (٥)
ونحاولُ الأمرَ المهمَّ خطابةً ... فيهم، ونفصِل كلَّ أمرٍ مُعْضِل (٦)
وتزورُ أبوابَ الملوكِ ركابُنا ... ومتى نُحكَّمْ فى البريَّةِ نعدل

وقال يوم فتح مكة :

عَفَتْ ذاتُ الأصابِعِ فالجِواءُ ... إلى عذراءَ منزلُها خَلاءُ (٧)
ديارٌ مِنْ بَنى الحَسْحاسِ قَفْرٌ ... تُعَفِّيها الرَّوامِسُ والسماءُ (٨)
وكانَتْ لا يزالُ بها أنيسٌ ... خِلالَ مُرُوجِها نَعَمٌ وشاءُ (٩)

---

(١) قتل الشراب : مزجه بالماء ، وقتلت دعاء على الساقى ولم يقصد به الشر هنا .

(٢) كلتاهما : أى الخمر الصرف والممزوجة . فاسقنى أشدّهما إرخاء للفاصل ، وهى الخمر الصرف .

(٣) معنى رقص الكأس بما فى قعرها : صعود الفقاقيع من أسفل الى أعلى لشدة ثوران الخمر فيها . والقلوص : الناقة .

(٤) المذود : اللسان . والمواسم : جمع ميسم ، وهو آلة يكوى بها . والمصطلى : المستدفئ . والكلام على التشبيه أى أن لسانه يشبه المكواة التى تكوى من تصيبه .

(٥) سيد جحجاح : مسارع فى المكارم . سواء : وسط . المفصل كمسجد : كل ملتقى عظمين فى الجسد. يريد أنه يصيب شاكلة الصواب .

(٦) المهم : المشكل .

(٧) ذات الأصابع والجواء وعذراء مواضع بالشام .

(٨) الروامس : الرياح التى تدفن الآثار ، والمراد بالسماء الأمطار .

(٩) النعم : الإبل والشاء ، أو خاص بالإبل .

فدع هذا ، ولَكِنْ مَن لِطيف يؤرِّقنى إذَا ذَهَب العَشَاء ؟(١)

* * *

عدِمْنا خيلَنا إن لم تَرَوْها تُثيرُ النَّقعَ موعِدُها كَدَاء (٢)

يُبارِين الأَسِنةَ مُصْغِياتٍ على أكتافِها الأَسَلُ الظِّماء (٣)

تَظَلُّ جِيادُنَا مُتَمَطِّراتٍ تُلَطِّمُهُن بالخُمُرِ النساء (٤)

فإمّا تُعْرِضوا عنا اعتمَرْنا وكان الفتحُ وانكشف الغِطاء (٥)

وإلَّا فاصبروا لِجلاد يومٍ يُعِزُّ اللهُ فيهِ مَنْ يَشاء

وقال اللهُ : قد يسرتُ جُنْدًا هم الأنصارُ عُرْضَتُهَا اللقاء (٦)

لنا فى كل يوم مِن مَعَدٍّ قِتالٌ أو سِباب أو هِجاء

فَنُحكِم بالقوافى مَن هَجانا ونَضرِبُ حين تختلطُ الدماء (٧)

---

(١) العشاء من المغرب الى العتمة ، والمعنى دع الحديث فى الأطلال ، وأرشدنى الى من يدفع عنى طيف الخيال الذى يؤرقنى إذا اشتد ظلام الليل .

(٢) كداء : ثنية بالقرب من مكة ، وجملة عدمنا : دعائية .

(٣) المباراة : المسابقة . والأسنة : جمع سنان ، وهو حديد الرمح ، والأسل : الرماح ، أى أن الخيل تسابق الأسنة التى يضعها الفرسان حذاء عنقها ظنا منها أن الأسنة تجرى معها شوطا ، ومصغيات : حال من الأسنة أى مائلات للطعن ، وظمأ الرماح : شدة شغفها بالدم والقتال .

(٤) تمطرت الخيل : جاءت يسبق بعضها بعضا ، ولطمه : ضربه ، والخمر : جمع خمار ، وهو الثوب تغطى به المرأة رأسها . أى أن النساء يمسحن بخمرهن على الخيل لما أصابها من الجهد . ولما غشيها من عرق وغبار .

(٥) فإما : أصلها إن ما ، وهى إن الشرطية المدغمة فى ما الزائدة ، واعتمرنا : أدينا العمرة وهى زيارة البيت الحرام ، أى إن أعرضتم عنا تركنا الحرب وزرنا البيت وتم فتح مكة بلا قتال .

(٦) عرضتها : أى همتها وقوتها ، أى أن الأنصار قوتها فى اللقاء والقتال

(٧) حكم الفرس : جعل للجامه حكمة ، نأحضعه ، أى نخضع بشعرنا من هجانا ، ونقاتل بشجاعة حينما تختلط دماؤنا بدماء أعدائنا ، فنحن أقوياء اللسان والقلب .

وقال اللهُ : قد أرسلتُ عبدًا ... لحقُّ القَول إن نفع البَلاء (١)
شهِدتُ به ، وقومى صدَّقوه ، ... فقُلتم : ما نُجيب ، وما نشاء
وجبريلٌ أمينُ اللهِ فينا ، ... وروحُ القُدْسِ ليس له كِفاء (٢)
ألَا أبلغ أبا سُفيَانَ عنِّى ... فأنت مُجوَّفٌ نَخِبٌ هَواء (٣)
بأن سيوفَنا تركَتْك عبدًا ... وعبدُ الدارِ سادتُها الإماء
هجوتَ محمدا ، فأجبتُ عنه ... وعند اللهِ فى ذاك الجزاء
أتهجوهُ ، ولستَ له بكفء ، ... فشرُّكما لخيرِكما الفِداء
فمن يهجو رسولَ اللهِ منكم ... ويمدَحُه وينصُره سَواء
فإنَّ أبى ووالدَه وعِرْضى ... لِعِرْضِ محمدٍ منكم وِقاء

(٩) قال الحُطَيئة : (٤)

وَطَاوِى ثلاثٍ عَاصِبِ البطنِ مُرْمِلٍ ... بِبَيْداءَ لم يَعرِف بهَا سَاكِنٌ رَسْمَا (٥)
أَخِى جَفْوةٍ فيهِ مِنَ الإنس وَحشةٌ ... يَرَى البُؤسَ فيها من شَراسَتِهِ نُعمَى (٦)

(١) البلاء : الاختبار مصدر بلاه يبلوه .

(٢) الكفاء : أى المكافئ أى المساوى .

(٣) المجوّف : من لا قلب له ، والنخب : الجبان ، والهواء : الفارغ .

(٤) أبو مليكة جرول الحطيئة العبسى ، نشأ معلول النسب قبيح الصورة ناقما على الناس هجاء ، وهو جيد الشعر مستوى الأسلوب يعدّ سيد المخضرمين فى الناحية الفنية وغلب عليه المدح والهجاء حتى مات سنة ٥٩ هـ .

(٥) الطاوى : الجائع . ثلاث أى ليال ثلاث . عاصب البطن : معصوبه من شدّة الجوع . مرمل : فاقد الزاد فقير . بيداء : فلاة . الرسم : العلامة وما كان لاحقا بالأرض من آثار الديار — يذكر رجلا بائسا فى مفازة مقفرة .

(٦) الشراسة : سوء الخلق والحال — يقول : إن سوء الحال بلغ به أن يعدّ البؤس نعمة .

وأفــردَ فى شِعْب عجــوزًا إزاءَهَا ... ثلاثةُ أشــباحٍ تخــالُهمُ بَهْمــا(١)
حُفاةً عراةً ما اغتــذَوا خبزَ مَــلَّةٍ ... ولا عرَفوا للبُرِّ مُــذ خُلِقُوا طَعْما(٢)
رأى شَـبَحًا وَسْـطَ الظَّلامِ فراعَه ... فلمّــا رأى ضَـيفًا تَشَـمَّرَ واهتمّا(٣)
فقالَ: هيا ربّاه! ضيفٌ ولا قِرًى! ... بحقِّكَ، لا تحـرِمْه تا الليــلَةَ اللحما(٤)
فقال ابنُــه لمَّــا رآه بحَــيْرةٍ ... أيا أبتِ اذْبَحْــنِي! ويَسِّرْ لهم طُعْما
ولا تعْتذر بالعُــدمِ علَّ الذى طــرَا ... يَظُــنُّ لنــا مالًا فيُوسِــعَنا ذَمّا
فروَّى قليــلًا، ثم أحجمَ بُرهَــةً، ... وإنْ هُوَ لم يَذْبَحْ فتــاهُ فقد هَمّا
فبينا هُمــا عَنَّتْ على البُعــدِ عانةٌ ... قد انتَظمت من خَلفِ مِسْحَلِها نَظْما(٥)
عِطاشًا تُريدُ المــاءَ فانسابَ نحْــوَها ... على أنّهُ مِنهــا إلى دَمِهــا أظْما
فأمهلَهــا حتى تروَّتْ عِطاشُهــا ... فأرســلَ فيها من كِنانَتِــه سَهْما(٦)
فخرَّتْ نَحوصٌ ذاتُ جَحْشٍ سَمِينةٌ ... قد اكتنزتْ لحمًــا وقد طُبِّقتْ شَحْما(٧)
فيا بِشرَهُ إذ جَرَّهَا نحْــوَ قومِــه ... ويا بِشرَهُم لمــا رأَوا كَلْمَهــا يَدْمى(٨)

---

(١) الأشباح: جمع شبح وهو الشخص. البهم: جمع بهمة أولاد البقر والمعز والضأن.

(٢) الملة: رماد التنور الحار وخبزها ما يخبز فيها، يصف بؤس أهل هذا البيت.

(٣) راعه: أفزعه.

(٤) هيا حرف نداء. القرى: ما يقدم للضيف من طعام ونحوه. تا الليلة: أى هذه الليلة.

(٥) عنت: ظهرت واعترضت. والعانة: القطيع من حمر الوحش. المسحل: حمار الوحش يقود القطيع أثناء السير الى الماء أو غيره.

(٦) تروت: رويت بمعنى شربت.

(٧) خرت: سقطت صريعة. نحوص: سمينة. اكتنزت: امتلأت. طبقت: تفشت وعمها الشحم.

(٨) الكلم: الجرح.

وباتُوا كِراما قد قَضوا حق ضيفِهِم ... وما غَرِمُوا غُرما ، وقد غَنِموا غُنْما
وبات أبُوهُم من بشاشَته أبًا ... لضيفِهم والأمُّ من بشرِها أُما

وقال يمدح بغيض بن عامر:

أَلَا طَرَقَتنا بعـد ما هجَعُوا هِنـدُ ... وقد سِرْنَ خَمْسًا واتْلَأَبَّ بنا نَجْدُ (١)
أَلا حبّذا هندٌ وأرضٌ بهـا هِنْدُ ... وهندٌ أَتى من دونها النَّأْىُ والبُعْدُ
وهندٌ أَتى من دونها ذو غوارِبٍ ... يُقَمِّصُ بالبُوصِىِّ مَعْرورِفٌ وَرد (٢)
وإنَّ التى نَكَّبْتُهَا عن مَعاشِرٍ ... غِضابٍ علَىَّ أنْ صددتُ كما صدُّوا (٣)
أتت آلَ شَمَّاسِ بن لَأْيٍ وإنما ... أَتاهم بها الأحلامُ والحَسَبُ العِدُّ (٤)
فإنَّ الشَّقِىَّ من تُعَادِى صدورُهم ... وذو الجَدِّ من لَانُوا إليه ومن وَدُّوا (٥)
يسوسون أحلامًا بعيدًا أناتُهـا ... وإن غضبوا جاء الحفيظةُ والجِدّ (٦)

(١) يقول : ألا زارنا طيف خيال هند بعد أن هجعت الأعين ، وبعد أن سارت الابل خمس ليالى وظهر لنا نجد .

(٢) من معانى الغارب أنه أعلى كل شيء ، وذو الغوارب : البحر، لأن أمواجه عالية . وقمص البحر السفينة : حركها بموجه والبوصى : ضرب من السفن . والمعرورف : المتراكم الأمواج . والورد : الجرىء أو الأحمر الضارب الى الصفرة . يقول : إن بينى وبين هند بحرا يقذف بالسفن ، متراكم الأمواج .

(٣) نكبتها أى نحيتها وأبعدتها . والضمير للمدحة والمعاشر آل الزبرقان بن بدر أى أن المدحة التى عدلت بها عن قوم غضبوا على لأنى صددت عنهم كما صدوا عنى .

(٤) جملة أتت خبر إن فى البيت قبله . والأحلام : العقول . والحسب : الشرف . والعد : القديم أو الكثير . أى جاء فى هذه المدحة الإشادة بأحلامهم وحسبهم

(٥) نسب العداوة الى الصدور لأنها مكان الغيظ والعداوة والجد : الحظ .

(٦) أى يحكمون الناس إذا رضوا بأحلام بعيدة المظر طويلة التأنى . إذا غضبوا كانوا أهل حفيظة أى غيظ . وجد أى اجتهاد وعجلة .

أقِلُّوا عليهم - لا أبا لأبيكمُ - من اللومِ أو سُدُّوا المكانَ الذى سدُّوا (١)
أولئك قومٌ إن بَنَوا أحسنُوا البُنَى وإن عاهدوا أوفَوْا وإن عقدوا اشدُّوا (٢)
وإن كانت النُّعْمَى عليهم جَزَوْا بها وإن أنعَمُوا لا كَدَّروها ولا كَدُّوا (٣)
وإن قال مولاهم على جُلِّ حادثٍ من الدهر رُدُّوا بعضَ أحلامِكم رَدُّوا (٤)
وإن غاب عن لأيٍ بَغيضٌ كَفَتْهُمُ نواشئُ لم تَطْرُرْ شوارِبُهم مُرْدُ (٥)
وكيف ولم أعْلَمْهُمُ خذلوكُمُ على مُفْظِعٍ، ولا أديمَكُم قَدُّوا (٦)
مطاعينُ فى الهيجا مكاشيفُ للدجى بنى لهمُ آباؤُهم، وبنى الجَدُّ (٧)
فمن مبلغٌ لأيًا بأن قد سعَى لكم إلى السُّورةِ العُليا أخٌ لكمُ جَلْدُ (٨)

---

(١) لا أبا لأبيكم : شتم . والأصل أنهم لا يعرفون لهم آباء ينتسبون اليها عند المفاخرة .

(٢) البِنَى أو البُنَى بكسر الباء وضمها والأول جمع بنية بكسر الباء . والثانى جمع بنية بضمها ، والمراد أنهم يحسنون عمل المكارم . وإن عقدوا شدّوا أى وإن عقدوا العزيمة أوثقوها أو إن عقدوا على الحرب حملوا .

(٣) أى كدوا من أعطوه بطلب الجزاء على النعمة .

(٤) المولى : ابن العم أو الجار أو الحليف . على جل حادث أى عند الخطب العظيم أى إن استغاث بهم المولى فى شأن أضر به واستشارهم أمدوه بالرأى السديد .

(٥) لأى : عشيرة بغيض بن عامر . ونواشئ : جمع ناشئة يريد بهم فتيان القبيلة . ولم تطرر شواربهم : لم تظهر .

(٦) المفظع : الأمر تجاوز الحد فى الشناعة . والأديم هنا : العرض . أى وكيف تعادونهم ولم يخذلوكم فى خطب ملم ، ولم ينالوا من عرضكم .

(٧) مطاعين ومكاشيف : جمع مطعان ومكشاف . والدجى : الليل يريد به ظلمة الخطوب . أى أنهم يكشفون ظلمة الليل بنار قراهم أو يبددون ظلمة الخطوب بشجاعتهم وحسن رأيهم .

(٨) سورة المجد : أثره وعلامته وارتفاعه . والجلد : القوى ، يتمنى أن يبلغ إنسان لأيًا بأن أخاهم سعى للمجد حتى وصل الى قمته العليا .

جرى حين جارى لا يساوى عنانه عنانٌ ولا يثنى أجاريَهُ الجَهدُ (١)
رأى مجد أقوامٍ أضيع فخثهم على مجدهم لما رأى أنه الجِدُّ (٢)
وقد لامنى أفناءُ سعد عليهمُ وما قلتُ إلّا بالذى علمتْ سعد (٣)

وقال يهجو الزِّبرِقانَ بن بدر :

والله ما معشرٌ لاموا امرءًا جُنبًا فى آلِ لأيِ بن شمّاسٍ بأكياسِ (٤)
لقد مَرَيتُكُمُ لو أن دِرّتكُمْ يومًا يجىء بها مَسحِى وإبساسى (٥)
وقد مدحتكمُ عمدًا لأرشدكمْ كيما يكونُ لكم متحى وإمراسى (٦)
وقد نظرتكمُ إيناءَ صادرةٍ لخمسٍ طال بها حَوْذى وتنساسى (٧)

(١) لا يساوى عنانه عنان : أى لا يجاريه . والأجارى : جمع إجرية ، وهى : الجرى والجهد والطبيعة ، والكلام على التمثيل أى أنه إذا سابق أحدا فى طريق المجد لم يسبقه أحد ، ولم يقعد به تعب أو لا يترك طبعه مهما يجده .

(٢) أى لما رأى أن المجد انما هو فى الجد والاجتهاد فى الأمور .

(٣) الأفناء جمع فنء : الجماعة .

(٤) الجنب هنا : القريب . فى آل لأى أى فى مديح آل لأى . وأكياس : جمع كيس ، وهو اللبيب الفطن والمراد بالمعشر الزبرقان ورهطه .

(٥) أصل المرى : المسح على ضرع الناقة لتدرّ . والإبساس : أن تدعو الناقة باسمها أو تلاطفها لتدرّ . يريد أنه حاول تملقهم كثيرا فلم ينل منهم شيئا .

(٦) المتح : أن يقف الرجل فوق البئر ليجذب الدلو ، والإمراس : وضع حبل البئر فى البكرة بعد أن انزلق منها . يريد أنه تعمد أن يقصر عليهم جهوده ، ويختصهم بمدحه ليرشدهم إلى ما غاب عنهم من أسباب المجد .

(٧) الإيناء : مصدر أونى بمعنى أتعب ، والصادرة : الآتية من الماء . والخمس من أظماء الإبل وهو أن ترعى ثلاثة أيام وترد الماء فى اليوم الرابع ، والحوذ مصدر حاذ الدابة ساقها سريعا . والتنساس : مصدر نس الناقة من باب نصر وضرب : ساقها وزجرها . يقول انتظرت عطاءكم مجهدا إجهاد ناقة أعياها التعب فهى تساق وتزجر .

لمـا بدا لىَ منـكم عيبُ أنفسِكمْ ولم يكـن لجراحى منكمُ آسى (١)
أجمعتُ يأسًا مبينًا من نوالكمُ ولا ترى طاردًا للحـرِّ كاليـاس
ما كان ذنبُ بغيضٍ أن رأى رجلًا ذا فاقة حل فى مستوعِرٍ شاسى (٢)
جارًا لِقوم أطالوا هُونَ منزله وغادروه مقيمًا بين أرماس (٣)
ملُّوا قِــراه ، وهَرَّتهُ كِلابُهُـمُ وجرَّحُــوه بأنيـابٍ وأضراس (٤)
لا ذنبَ لى اليوم إن كانت نفوسُكُمُ كفاركٍ كرِهتْ ثوبى وإلباسى (٥)
من يفعلِ الخيرَ لا يعدَمْ جوازِيَهُ لا يذهبُ العُرْفُ بين الله والناس
دع المكارمَ لا ترحـلْ لبُغْيَتِها واقعُدْ فإنّكَ أنت الطاعمُ الكاسى (٦)
وابعثْ يسـارًا الى وَفرٍ مُذَمَّمـةٍ واحدِجْ إليها بذى عَرْكين أنكاس (٧)
ما كان ذنبِىَ أنْ فَلّتْ معاولَكُم من آل لأى صفاةٌ أصلُها راسى

---

(١) الآسى : الطبيب . وفى رواية غيب أنفسكم أى ما كان مستورا من بخلكم .

(٢) المستوعر : المكان الوعر . والشاسئ بالهمز وبهل المكان الغليظ المرتفع . أى لم يكن ذنب غيض عند الزبرقان إلا أنه رأى رجلا فى مكان وعر قاحل فأعانه .

(٣) الهون : المذلة . والأرماس : القبور أى وتركوه كالميت بين أموات القبور .

(٤) هرته الكلاب : نبحته . وهذا كناية عن أنه كان غريبا مضطهدا بينهم . وقوله (جرحوه) يريد أن آل الزبرقان سبوه ونبشوا عرضه .

(٥) الفارك : المرأة تبغض زوجها . أى ليس الذنب ذنبى إذا كنتم تبغضون شعرى أو مقامى فيكم بخلا كما تبغض المرأة زوجها ، وتكره أن ترى ثوبه وأن تلبسه إياه .

(٦) الطاعم : المطعوم . والكاسى : المكسو ، وهذا من أقذع الهجاء لأنه قام بحاجته فأصبح كالمرأة

(٧) يسار : اسم عبد للزبرقان . والوفر : السقاء الكامل لم ينقص من أديمه شىء . والمذممة : يريد به هنا المملوءة يقال : بئر ذمة أى قليلة الماء أو غزيرته : ضد . وحدج البعير يحدجه : شد عليه الرحل والعرك : انفتاق فى إبط البعير ، والمراد أن هذا هو عملكم دون المكارم .

(١٠) قال الأخطل[1] يمدح عبد الملك بن مروان ويهجو قيسًا وبنى كُليب من قصيدة أولها :

خَفَّ القَطِينُ فراحُوا مِنكَ أو بكَرُوا ‏ ‏ ‏ وأزعجَتْهــمْ نَوًى فى صَرْفِها غِـيَرُ[2]

* * *

فِى نَبْعَةٍ مِنْ قُرَيْشٍ يَعْصِبُونَ بِهَا ‏ ‏ ‏ مَا إنْ يُوَازَى بِأَعْلَى نَبْتِها الشَّجَرُ[3]

حُشْدٌ عَلَى الحَقِّ، عَنْ قَوْلِ الخَنَا خُرُسٌ ‏ ‏ ‏ وَإِنْ أَلَمَّتْ بِهِمْ مَكْرُوهَةٌ صَبَرُوا[4]

فَإنْ تَدَجَّتْ عَلَى الآفَاقِ مُظْلِمَةٌ ‏ ‏ ‏ كَانَ لَهُمْ مَخْرَجٌ مِنْهَا ومُعْتَصَرُ[5]

أَعْطَاهُمُ اللهُ جَدًّا يُنْصَرُونَ بِهِ ‏ ‏ ‏ لَا جَدَّ إلا صَغِيرٌ بَعْدُ مُحْتَقَرُ[6]

لَمْ يَأْشَرُوا فِيهِ، إذْ كَانُوا مَوَالِيَهُ ‏ ‏ ‏ وَلَوْ يَكُونُ لِقَوْمٍ غَيْرِهِمْ أَشِرُوا[7]

شُمْسُ العَدَاوَةِ حَتَّى يُسْتَقَادَ لَهُمْ، ‏ ‏ ‏ وَأَعْظَمُ النَّاسِ أَحْلَامًا إذا قَدَرُوا[8]

---

(١) هو أبو مالك غياث الأخطل التغلبي. نشأ فى قومه تغلب بأرض الجزيرة ينتصر لهم على مضر عامة وقيس خاصة. ولما كان متصلا بالخلفاء وبحروب قومه مع قيس صار يجيد مدح الملوك ووصف المعارك، وكذا الخمر لمعاقرته إياها فى وقت أحجم المسلمون فيه عن شربها، وكانت وفاته أول خلافة الوليد.

(٢) خف : أسرع. القطين : القطان، أى السكان والمعاشرون. راح : ذهب فى الرواح أى العشى ضد بكر. أزعجتهم : أقلقتهم — نوى فى صرفها ونوائبها غير وأحداث.

(٣) النبعة هنا : الأصل يعصبون بها : يلزمونها. والحديث عن عبد الملك وقومه.

(٤) حشد : مجتمعون. الخنا : الفحش. ألمت : نزلت. مكروهة : نازلة.

(٥) تدجت : أظلمت. معتصر : ملجأ، أى يستطيعون الخلاص من الأزمات.

(٦) الجد : البخت والإقبال.

(٧) يأشروا : يبطروا ويطغوا. مواليه : أولياءه.

(٨) شمس : جمع شموس أى عسر شديد على عدوّه — يستقاد لهم أى يذل ويخضع لهم العدوّ. الأحلام : جمع حلم وهو الصبر والأناة. قدروا تمكنوا من العدوّ. والمعنى : أنهم يعفون اذا انتصروا.

لَا يَسْتَقِلُّ ذَوُو الأَضْغَانِ حَرْبَهُـمُ ... وَلَا يَبِينُ فِى عِيدَانِهِـمْ خَـوَرُ(١)

هُمُ الَّذِينَ يُبَارُونَ الرِّيَاحَ إِذَا ... قَلَّ الطَّعَامُ عَلَى العَـافِينَ أَوْ قَتَرُوا(٢)

بَـنِى أُمَيَّـةَ نُعْمَاكُمْ مُجَـلِّلَةٌ ... تَمَّتْ، فَلَا مِنَّةٌ فِيهَـا وَلَا كَـدَرُ(٣)

بَـنِى أُمَيَّـةَ إِنِّى نَاصِحٌ لَـكُمُ ... فَلَا يَبِيتَنَّ فِيكُمْ آمِنًا زُفَـرُ(٤)

وَاتَّخِـذُوهُ عَدُوًّا، إِنَّ شَاهِـدَهُ ... وَمَا تَغَيَّبَ مِنْ أَخْلَاقِـهِ دَعَرُ(٥)

إِنَّ الضَّغِينَةَ تَلْقَاهَا، وَإِنْ قَدُمَتْ ... كَالعُـرِّ يَكْمُنُ حِينًا ثُمَّ يَنْتَشِرُ(٦)

بَنِى أُمَيَّـةَ قَـدْ نَاضَلْتُ دُونَكُمُ ... أَبْنَاءَ قَـوْمٍ هُمُ آوَوْا، وَهُمْ نَصَرُوا(٧)

حَتَّى أَقَرُّوا، وَهُمْ مِنِّى عَلَى مَضَضٍ، ... وَالقَـوْلُ يَنْفُـذُ مَا لَا تَنْفُـذُ الإِبَرُ(٨)

---

(١) يستقل : يحتمل . الأضغان : جمع ضغن ، أى حقد — فى عيدانهم أى فى أنفسهم — خور ضعف .

(٢) يبارون الرياح : يسابقونها فى الإسراع الى الكرم . العافون : الذين يطلبون القوت . قتروا : افتقروا ؛ وقل ما عندهم . يقول : إنهم يسرعون إلى الكرم وقت الإمحال .

(٣) نعماكم : عطاياكم للناس . مجللة : عامة . المنة على الناس : ذكر المعروف الذى أسدى اليهم .

(٤) زفر بن الحارث بن كلاب الكلابى ، وكان زعيم قيس على تغلب وعلى أمية .

(٥) شاهده : ظاهره . دعر : فساد ، أى لا تغتروا بصلحه .

(٦) العر : الجرب . يقول : إن الجرب وإن كمن فى الجسم لا بد أن يظهر ، فكذلك العداوة ، وإن بعد عهدها .

(٧) ناضلت دونكم : دافعت عنكم الأنصار الذين آووا الرسول بعد الهجرة ونصروه . والأخطل هو الذى هجا الأنصار لما دعاه الى ذلك يزيد بن معاوية . واليه ينسب البيت المشهور :

ذهبت قريش بالمكارم والعلا ... واللؤم تحت عمائم الأنصار

(٨) أقروا : سكنوا . مضض : وجع . نفذ القول : مضى وجرى ؛ يشبه الكلام بالإبر فى النفاذ والأثر .

أخمتُ عنكم بني النجارِ قد علمتْ عُلْيا معدٍّ، وكانُوا طالما هدَرُوا(١)

وقيسَ عيلانَ حتّى أقبلُوا رقصًا فبايعوكَ جِهارًا بعدَ ما كَفَرُوا(٢)

ضجُّوا من الحربِ إذ عضّتْ غواربَهم وقيسُ عيلانَ من أخلاقِها الضَّجَرُ(٣)

فلا هدى اللهُ قيسًا من ضلالتِها ولا لعًا لبني ذكوانَ إذ عثَرُوا(٤)

ما إنْ سعى منهمُ ساعٍ ليُدرِكَنا إلّا تقاصرَ عنّا وهْوَ منبهِرُ(٥)

ولم يزلْ بِسُلَيمٍ أمرُ جاهلِها حتّى تعايا بها الإيرادُ والصَّدَرُ(٦)

حتّى أصابَ سُلَيمًا من عداوتِنا إحدَى الدواهي التي تُخشَى وتُنتَظَرُ

كانُوا ذوي إمّةٍ حتّى إذا علِقتْ بهم حبائلُ للشيطانِ وابتهَروا(٧)

صَكُّوا على شارفٍ صعبٍ مراكبُها حصّاءَ ليسَ لها هُلْبٌ ولا وبرُ(٨)

---

(١) أخمت : أسكت . بنو النجار : أخوال الرسول من الأنصار، منهم أم عبد المطلب . معد : جد النزارية . هدروا : افتخروا عليكم وهجوكم ، يقال هدر البعير إذا ردد صوته فى حنجرته .

(٢) قيس عيلان كانت مع ابن الزبير لما خرج على الأمويين بعد معاوية وقتل فى عهد عبد الملك . رقصا مسرعين . كفروا خرجوا عليك .

(٣) غوارب : جمع غارب وهو للبعير ما بين السنام والعنق (المعنى) أن الحرب آلمتهم .

(٤) لا لعا لهم : لا أقالهم الله . يقال للعاثر دعاء عليه . و يقال لعا له أى أقال الله عثرته دعاء له . بنو ذكوان : قبيلة من سليم وهط عمير بن الحباب والجحاف السلميين ، وكانا قد خرجا على بنى أمية ، وحاربا تغلب قبيلة الأخطل .

(٥) تقاصر : قصر وتأخر . انبهر الرجل : انقطع نفسه من الإعياء .

(٦) سليم قبيلة عمير بن الحباب وهو المقصود هنا بقوله « جاهلها » . تعايا بها : أعجزها . الإيراد : من ورود الماء والصدر عن الماء — يعنى أعجزها تدبير الأمور .

(٧) الإمة : النعمة — علقت بهم الخ : ضلوا . ابتهروا : افتخروا بما ليس فيهم .

(٨) صكوا على شارف ، أى حملوا على خطة . الناقة الشارف : الكبيرة المسنة . حصاء : لا وبر لها . الهلب : شعر الذنب .

فأَصبحتْ منهم سِنْجارُ خاليةً ... والمحلبيَّاتُ فالخابورُ فالسُّرَرُ(١)

كَرُّوا إلى حَرَّتَيْهِم يَعمرونَهما ... كما تَكُرُّ إلى أوطانِها البَقَرُ(٢)

إذْ يَنظُرونَ وهُمْ يَجنونَ حَنظَلَهمْ ... إلى الفُراتِ. فقُلْنَا: بُعدَ ما نَظَرُوا(٣)

ولا يُلاقونَ فَرّاصًا إلى نَسَب ... حتّى يُلاقِيَ جَدْيَ الفَرْقَدِ القَمَرُ(٤)

ولا الضِّبابَ إذا اخضرَّتْ عيونُهُمُ ... ولا عُصَيَّةَ إلّا أنّهم بَشَرُ(٥)

أمَّا كُلَيبُ بنُ يَربوعٍ فليسَ لهم ... عِندَ التفارُطِ إيرادٌ ولا صَدَرُ(٦)

وقد نُصِرتَ أميرَ المؤمنين بِنا ... لما أتاكَ بِبَطْنِ الغُوطةِ الخَبَرُ(٧)

يُعرِّفونَكَ رأسَ ابنِ الحُبابِ، وقدْ ... أضحى وللسيفِ في خَيْشومِهِ أَثَرُ(٨)

---

(١) سنجار: قصبة كورة الفرج من تل أعفر. المحلبيات: بلدة صغيرة بين الموصل وسنجار. الخابور: اسم نهروواد. السرر: أرض بالجزيرة كسائر المواضع المذكورة.

(٢) الحرة: موضع فيه حجارة سود نخرة كأنما أحرقتها النار وحرتهم بعالية نجد. كروا: رجعوا.

(٣) الحنظل: نبت مر. يقول: ضعوا فينا، ويابعد ما نظروا. وكانت تغلب قبيلة الأخطل تقيم بالجزيرة فى حوض الفرات.

(٤) فراص بن معن بن سعد بن قيس من باهلة وبنو فراص ينتسبون الى تغلب — جدى الفرقد نجم الى جنب القطب يدور مع بنات نعش تعرف به القبلة، ولا يلتقى مع القمر. يقول إنهم قصروا عن نسب هؤلاء، ولا يشبهونهم إلا فى أنهم بشر.

(٥) الضباب من قيس عيلان. عصية بطن من سليم، اخضرت: اسودت.

(٦) كليب بن يربوع: رهط جرير. التفارط: التقدم فى طلب الماء. (المعنى) ليس لهم نصيب فى السبق الى المحامد.

(٧) الغوطة: الكورة التى منها دمشق وهى احدى منازه الدنيا الأربع: الصغد والأبلة وشعب بوان والغوطة. وكانت دمشق عاصمة بنى أمية — وكان رهط الأخطل مع الخليفة فى الحروب الداخلية.

(٨) ابن الحباب هو عمير بن الحباب السلمى، وقد قتل وحمل رأسه إلى قبائل غسان، وكان يزدريهم. الخيشوم: أقصى الأنف.

وقال يفضل الفرزدق على جرير :

بَكَرَ العواذلُ يبتدِرْنَ ملامتى ... والعاذلون فكلُّهم يلحانى (١)
فى أن سقيت بشربة مقذِيّةٍ ... صِرْفٍ مُشَعْشَعَةٍ بماء شُنَانِ (٢)
فظَلِلْتُ أُسقِى صاحِبِى من بردِها ... عمدا لأرويَه كما أروانى
وذكرتُ إذ جرت الشمال وهيّجتْ ... شوقا لنا ريّا وأُمَّ أبانِ (٣)
والحارثيّةَ، إننى مُهدٍ لها ... مِدَحًا يُشَبُّ بِهِنَّ كلَّ مكانِ (٤)
لاقيتُهن بمجمعٍ فأرينَنِى ... صُوَرَ المها بزخارف البُنيانِ (٥)
ونحورُهنّ دياسِقٌ من فضةٍ ... ونواهدٌ كنواعم الرُّمّانِ (٦)
ومُرمَّلُ الحِنَّاءِ يُصبح قانئًا ... كدم الذبيح بأروُحٍ وبنانِ (٧)
ينظُرنَ من خَلَلِ السُّتُورِ بأعيُنٍ ... نُجْلٍ يُمَتِّنَ العاشقين حسانِ (٨)
نظرا مخالَسةً وهنّ صوائدٌ ... بخدورهن وأحسن الألوانِ (٩)
وإذا رأينَ الشَّيْبَ لم يقربْنَهُ ... والغانياتُ عن الكبير غوانى
يقطَعْن منه حبلَ كُلِّ مودّةٍ ... جهلًا، وهن إلى الشَّباب روانى (١٠)

(١) العواذل : جمع عاذلة ، اللائمة . يبتدرن ملامتى : يسرعن إلى لومى . يلحانى : يعيبنى .
(٢) مقذية : نظيفة ليس فيها قذى . صرف : نقية جيدة . مشعشعة : ممزوجة . شنان : ماء بارد ، وواد بالشام .
(٣) ذكرت : تذكرت . الشمال : ريح تهب بين الشرق وبنات نعش . ريا وأم أبان : علمان لامرأتين أى ذكرت هؤلاء النسوة حين هبت الشمال . (٤) يشب الخ : يذكرن فى كل مكان .
(٥) المها : جمع مهاة، البقرة الوحشية ، تشبه بها المرأة فى جمال العينين . الصورة : الشكل . يعنى أنهن يشبهن الصور التى تزين بها الأبنية .
(٦) نحور جمع نحر : أعلى الصدر . دياسق : جمع ديسق ، وهو الصحن من الفضة ، يشبه نحورهن بالفضة صفاء وصقلا .
(٧) مرمل الحناء : يقصد الحناء المرمل أى المزينة به المرأة يديها ورجليها . قانئ : شديد الحمرة . أروح : جمع راحة وهى باطن الكف دون الأصابع . البنان : أطراف الأصابع . المفرد بنانة . والمراد : أروحهن وبنانهن . (٨) خلل : جمع خلة ، الثقبة . نجل : جمع نجلاء ، الواسعة العين الحسنة .
(٩) مخالسة : مسروقا بسرعة وختل . الخدور : جمع خدر الستر أو البيت .
(١٠) الجهل هنا : الحمق . روانى : دائمات النظر ، المفرد رانية .

إنى أُديمُ لذى الصفاءِ مَوَدَّتِى ... وإذا تغيَّر كنتُ ذا أَلْوَانِ (١)
وأصُدُّ عن صَرْمِ الصديق تكرُّمًا ... حِينًا ، وما دهرى له بِهَوانِ (٢)
وأفارِقُ الخُلَّانَ عن غَيرِ القِلَى ... وأُميتُ عندى السِّرَّ بالكِتمانِ (٣)
ولقد غَدَوتُ على القَنِيص بِنَهْدَةٍ ... عندَ البَدِيهةِ سَهْوَةِ القَذَفَانِ (٤)
تَنْقَضُّ فى أثَرِ الأوابِد مِثلَ ما ... تَنْقَضُّ كاسِرةٌ من العِقبانِ (٥)

*
* *

مَا بَالُ قومٍ لا تَغِبُّ أذاتُهم ... قُعْسِ الظُّهور منَ الحَبين بِطانِ (٦)
هُمْ هَيَّجوا حَرْبى ومَا لَهُمُ بها ... لو وَاجَهَتْهم باللقاء يَدانِ (٧)
حَرْبَ امرئٍ ما إن تَرِثُّ سِلَاحُه ... أبدا ولا يَغْتَرُّ بالحَدَثانِ (٨)
قَبَحَ الإلهُ بنى كُلَيْبٍ إنّهم ... لا يحفظون محارِمَ الجيرانِ (٩)

---

(١) كنت ذا ألوان : أى تغيرت له كما تغير .

(٢) صرم : قطيعة وهجر . يقول : ما هى هوآنه .

(٣) الخلان : جمع خليل ، الصديق . القلى : البغض . أميت السر : لا أبدية فكأنه ميت .

(٤) غدوت : بكرت . القنيص : المصيد . نهدة : فرس حسن جسيم . عند البديهة : أى مستعد الجرى حين تعجزها به . السهوة : المواتية . القذفان : سرعة الركض . يصف فرس الصيد .

(٥) الأوابد : جمع آبدة وهى الوحش . كاسرة : منقضة . العقبان : جمع عقاب بضم العين ، طا من الجوارح .

(٦) . ما لهم : أى ما حالهم وما حصل لهم . لا تغب : لا تنقطع . قعس الظهور : مفرده أقعس ، وهو من خرج صدره ودخل ظهره ، ضد الأحدب . الحبين : وجع فى البطن . بطان : عظام البطون ، المفرد بطن وبطين . بطان صفة لقوم (جرير) .

(٧) ما لهم بها يدان : أى ليست لهم عليهم قدرة . اللقاء : الحرب .

(٨) ترث : تبلى . الحدثان : الدوائب . لا يغتر بالحدثان : لا تأخذه النوائب على غرة لاستعداده لها دائما .

(٩) بنو كليب : رهط جرير . محارم : جمع محرم ، ما لا يحل انتهاكه .

وإذا تُنُودِبَ للمكارم والعُلا ... لم يُنْدَبُوا لترادف الأعوان (١)
أجرير إنك والذى تسمُوله ... كأسيفةٍ فخرت بحِدْجِ حَصانِ (٢)
حملت لربّتِهَا فلمّا عُولِيَتْ ... نسلت تُعارضها مع الأظعان (٣)
أتَعُدُّ مأثُرةً لغيرك فخرها ... وسناؤها فى سالف الأزمان (٤)
تاجُ الملوك وفخرهُمْ فى دارم ... أيامَ يَرْبوعٌ مع الرُّعيان (٥)
مُتلفِّفٌ فى بُردة حَبَقيّة ... بفناء بيتِ مذلّةٍ وهَوانِ (٦)
يَغْذُو بنيه بِثَلّةٍ مَذْمُومةٍ ... ويكون أكبر همّه رِبْقَانِ (٧)
سَبَقُوا أباك بكُلّ مجمع تلعة ... بالمجد عند مواقف الركبان (٨)
إخسأ كُليبُ، إليك، إنّ مُجاشعًا ... وأبا الفوارس نهشلًا أخوان (٩)
قومٌ إذا خَطَرتْ عليكَ قُرومُهمْ ... طرحوك بين كلاكل وجِران (١٠)

(١) تنودب: ندب الناس ودعوا. الترادف هنا: التعاون. يقول: لا يصلحون للكارم والمعالى.

(٢) تسموله: تتعلق به من مفاخر ليست لك. الأسيفة: الأمة. الحدج: مركب النساء على لبعير كالهودج. الحصان هنا: الحرة ضدّ الأمة. يقول ان تفخرك بما ليس لك كفخر الأمة بحدج سيدتها.

(٣) أى حملت حدج سيدتها. عوليت: علت الحدج. نسلت: أسرعت. تعارضها أى تعدو حيالها الأظعان: النساء فى الهودج.

(٤) مأثرة: محمدة ومفخرة. السناء: الشرف. سالف الأزمان: ماضيها. يقول له: تفخر بمآثر مضر وأنت من فخذ حقير هو يربوع لا مجد له.

(٥) دارم: رهط الفرزدق، ويريد الأخطل تفضيله على جرير بهذا الشعر. الرعيان جمع راع: من يقوم على الماشية يخدمها.

(٦) حبقية: نسبة الى صانع أو الى نوع من الغنم.

(٧) الثلة: الصوف أو جماعة الغنم. الربقان مثنى ربق: حبل يشدّ فى عنق البهم.

(٨) التلعة: ما علا من الأرض. عند مواقف الركبان: أى عند المفاخرة والتحاكم.

(٩) خسأ: ابتعد محتقرا. اليك: تنح وابعد. مجاشع: قبيلة الفرزدق. نهشل: قبيلة من تميم كمجاشع.

(١٠) خطر الجمل بذنبه: رفعه مرة بعد أخرى. القروم: الفحول والأماجد جمع قرم. والكلاكل: جمع كلكل وهو الصدر. والجران: صفحة العنق. يقول: إن رجالهم يعلون عليك مفاخرة.

(١١) وقال الفرزدق(١) يذكر تفضيلَ الأخطل إياه على الشعراء ويمدح بنى تغلب ويهجو جريرا :

يابنَ المراغَةِ والهجاءُ إذا التقتْ　　أعناقُهُ وتماحَكَ الخصْمانِ (٢)
يا بن المَراغَةِ انَّ تَغلِبَ وَائِلٍ　　رفعوا عَنَانى فوق كُلِّ عَنانِ (٣)
كان الهُذَيلُ يقود كُلَّ طِمِرَّةٍ　　دهماءَ مُقْرَبَةٍ وكلَّ حِصانِ (٤)
يَصْهلْنَ بالنظرَ البعيدِ كأنما　　إرْنانُها بِبَوائنِ الأشطانِ (٥)
يَقطَعْنَ كُلَّ مدًى بَعيدٍ غَوْلُهُ　　خَبَبَ السِّباعِ يُقَدْنَ بِالأرسَانِ (٦)

(١) الفرزدق هو أبو فراس همام بن غالب التميمى الدارمى أحد فحول الشعراء الأمويين . نشأ بالبصرة والبادية يروى الشعر ويعالجه حتى نبغ فيه ، واتصل بولاة العراق يمدحهم ويهجوهم ، ورحل الى دمشق يمدح الخلفاء وينال جوائزهم . وله مع جرير نقائض تعد وثيقة تاريخية لعصرهما ولكثير من أيام العرب وأحوالهم فى الجاهلية والإسلام . ويمتاز شعر الفرزدق بخشونة الألفاظ ووعورة المعانى والميل الى الفخر فى هجائه والفحش فى غزله وقد مات سنة ١١٤ هـ .

(٢) ابن المراغة : جرير . خبر الهجاء : متعلق إذا . أى حاصل وذائع إذا ... الخ أعناقه : جماعته أى يكون إذا تناشده القوم بعضهم على بعض . تماحك : تخاصم وتمارى .

(٣) تغلب من ربيعة : قوم الأخطل . العنان بالكسر : سير اللجام ، وبالفتح : الجانب وهو الأنسب هنا .

(٤) أى الهذيل بن هبيرة . الطمرة : الفرس الطويلة السريعة . الدهماء : السوداء . مقربة أى قريبة اليهم لكرمها وسرعتها يعمدون اليها حين الفزع .

(٥) الصهيل : صوت الخيل . الإرنان : التصويت . البوائن : الآبار المفرد بيون وهى البئر التى يصيب حبلها نواحيها . الأشطان جمع شطن : الحبل . يقول : كأنها تصهل من آبار بوائن لسعة أجوافها ومعنى يصهلن بالنظر البعيد أنها تصهل إذا رأت شبحا من بعد لحدة نظرها ونشاطها .

(٦) كل مدى : كل غاية بعيدة . غوله : بعده . الخبب للفرس : عدو فيه يقوم على رجليه تارة وعلى يديه أخرى . الأرسان جمع رسن : الحبل ، يشبه الخيل بالسباع فى العدو .

وكأنّ راياتِ الهُـذيْلِ إذا بَدَتْ ... فوقَ الخَميسِ كواسرُ العِقبـانِ (١)

وَرَدُوا إرابَ بجحفلٍ من وائلٍ ... لَجِبِ العشِيِّ ضُبارمِ الأركانِ (٢)

وَيبيتُ فيـه منَ المخافةِ عائذا ... أَلْفٌ عليـه قوانسُ الأبدانِ (٣)

تَرَكُوا لِتَغْلِبَ إذ رأوا أرماحَهُـمْ ... بإرابَ كُلَّ لئيمـةٍ مِدرانِ (٤)

تُدْمِي ـ وتَغْلِب يمنعونَ بَنَاتِهم ـ ... أقـدامَهُن حجارةُ الصَّـوَّانِ (٥)

يَمْشِـين فى أَثَرِ الهُـذَيْلِ وتارةً ... يُرْدَفْنَ خلفَ أواخرِ الركبانِ (٦)

لولا أناتُهـمُ وَفَضْـلُ حُلُومِهِمْ ... بَاعُـوا أباكَ بأوكَسِ الأثمانِ (٧)

وَالحوفزانُ أميرُهُمْ مُتَضَائِلٌ ... فى جَمْعِ تَغْلِبَ ضَاربٌ بِجِرَانِ (٨)

---

(١) الخميس : الجيش الضخم . كواسر العقبان : أى المنقضة من العقبان : جمع عقاب ، طائر من الجوارح وهذا وصف لاسراع الخيل .

(٢) إراب : موضع ، وهو يوم بين بنى يربوع وبكر بن وائل يقودهم الهذيل هـذا . الجحفل : الجيش الكثير الخيل . لجب العشى : كثير الأصوات بالعشى وقت النزول للعلف فالأصوات كثيرة . الضبارم : الغليظ . الأركان : النواحى ، فأركان هذا الجيش شديدة ضخمة .

(٣) عائذا : محتميا . القوانس : أعالى البيض من الحديد ، المفرد : قونس . الأبدان : الدروع غير السوابغ . يقول : يعتاذ بهذا الجيش جيش فيه ألف مسلحون .

(٤) مدران : كثيرة الوسخ . أى خلوا نساءهم وهربوا .

(٥) تدمى : تسيل دمها ، والفاعل حجارة ، وأقدامهن مفعوله . وذلك لأنهنّ يسقن حفاة .

(٦) يردفن : الردف الراكب خلف الراكب .

(٧) أوكس : أبخس .

(٨) يظهر معنى هذا البيت من أن الهذيل غزا بلاد سعد فى تغلب وكذلك غزاها الحوفزان فى بكر ابن وائل فلما التقى الجيشان سار الحوفزان تحت لواء الهذيل . متضائل : متصاغر . الجران : مقدّم عنق البعير ، وضرب بجرانه : برك .

أحبَبْنَ تغلبَ إذ هَبطْنَ بِلادَهُمْ   لمَّا سَمِنَّ وكُنَّ غيرَ سِمانِ
يَمْشِينَ بِالفَضلاتِ وسْطَ شُرُوبِهِمْ   يَتْبَعْنَ كُلَّ عَقِيرَةٍ ودُخانِ (١)
يَتَبَايَعُونَ إذا انْتَشَوْا بِبَنَاتِكُمْ   عِنْدَ الإيابِ بِأوْكَسِ الأثْمانِ (٢)
واسْأَلْ بِتَغْلِبَ كيفَ كَانَ قَدِيمُها   وَقَدِيمُ قَومِكَ أولَ الأزْمَانِ
قومٌ هُمُو قَتَلُوا ابنَ هِنْدٍ عَنْوَةً   عَمْراً، وَهُمْ قَسَطُوا على النُّعْمَانِ (٣)
قَتَلُوا الصنائِعَ والملوكَ، وَأَوْقَدُوا   نَارَيْنِ قد عَلَتَا على النيرانِ (٤)
لَوْلا فَوَارِسُ تَغْلِبَ ابنةِ وَائِلٍ   نَزَلَ العدُوُّ عَلَيْكَ كُلَّ مَكَانِ
حَبَسُوا ابنَ قَيْصَرَ وابْتَنَوْا بِرِمَاحِهِمْ   يَوْمَ الكُلابِ كأكرمِ البُنْيَانِ (٥)
إنَّ الأَرَاقِمَ لَنْ يَنَالَ قَدِيمَها   كَلْبٌ عَوَى مُتَهَتِّمُ الأسْنَانِ (٦)
قوم اذا وُزِنُوا بقوم فُضِّلوا   مِثْلَيْ مُوازِنِهِم على الميزانِ

---

(١) الفضلات: الخور أى يسقين الرجال ويخدمنهم . الشروب : القوم يشربون الخمر . يتبعن كل عقيرة : يتسمعن الغناء . دخان أى موضع الطبخ والشواء .

(٢) انتشوا : سكروا .

(٣) ابن هند عمرو بن هند : ملك الحيرة . يروون أن عمرو بن كلثوم التغلبي قتله فى قصة مشهورة . قسطوا : جاروا . النعمان بن المنذر من ملوك الحيرة أيضا .

(٤) صنائع الملوك : أنصارهم ، المفرد صنيعة . أوقدوا نارين : اشارة الى يوم خزازى لتغلب على كندة وعلى بكر بن وائل .

(٥) يوم الكلاب الأول حيث قتلوا شرحبيل بن الحرث الكندى عم امرئ القيس .

(٦) الأراقم : حى من تغلب . متهتم متكسر والمراد بالكلب جرير الذى يهجوهم .

وقال[1]، يمدح سعيد بن العاص بالمدينة وقد فر اليه لما طلبه زياد بالعراق بسبب هجوه الشائع :

وَكُومٍ تُنعِمُ الأَضْيَافَ عَيْناً ... وتُصبِحُ فى مَبَارِكِهَا ثِقَالَا (١)

حَوَاسَاتِ العَشَاءِ خُبَعْثِنَاتٍ ... إذَا النكبَاءُ رَاوَحَتِ الشَّمالَا (٢)

كَأَنَّ فِصَالَهَا حَبَشٌ جِعَادٌ ... تَخَالُ على مَبَارِكِهَا جُفَالَا (٣)

لِأَكْلَفَ أُمُّهُ دَهْمَاءُ مِنْهَا ... كأَنَّ عَلَيْهِ مِنْ جَلَدٍ جِلَالَا (٤)

أَرِقْتُ فَلَمْ أَنَمْ لَيْلًا طَوِيلًا ... أُرَاقِبُ هَلْ أرى النَّسْرَيْنِ زَالَا (٥)

فأَرَّقَنِي نوائبُ مِنْ هُمُومٍ ... عَلَيَّ، ولم يَكُنْ أَمرِى عِيَالَا (٦)

وكان قِرَى الهُمُومِ إذَا اعتَرَتْنِي ... زَمَاعًا لا أُرِيدُ بِهِ بِدَالَا (٧)

---

(١) الكوم : الجمال ذات السنام الضخم، الواحد أكوم . تنعم : تقر وتسر . المبارك : جمع مبرك موضع البروك . ثقالا : ضخاما . كوم مبتدأ بعد واو ربّ، خبره محذوف أى لهذا الممدوح .

(٢) الحواسات بضم الحاء : الإبل المجتمعة والكثيرة الأكل . خبعثنات : ضخام شديدات، المفرد خبعثنة . النكباء : ريح انحرفت عن مهاب الرياح . راوحت : عارضت . الشمال : ريح تهب ما بين مطلع الشمس و بنات نعش .

(٣) الفصال، جمع فصيل : ولد الناقة اذا فصل عنها . الجعاد جمع جعد : عكس المسترسل

(٤) الأكلف : الفحل المائل الى السواد . دهماء : سوداء الجلد : جلد البو . الجلال جمع جل : وهو للدابة كالثوب للإنسان .

(٥) أرقت : سهرت . النسران : كوكبان . يقال لأحدهما النسر الطائر، وللآخر النسر الواقع يقول : أرى هل زالا فيطلع الصباح، وذلك بسبب همه .

(٦) أرقنى : أسهرنى . النوائب المصائب المفرد نائبة . عيالا جمع عيل ، أى ليس همى بسبب أبنائى الذين أعولهم .

(٧) قرى : اكرام . الزماع : المضاء والعزم . بدال : عوض .

فعادلْتُ المَسَالِكَ نصفَ حَوْلٍ ... وَحَوْلًا بعـــدَهُ حَتَّى أَحَالَا (١)

فَقَالَ لِيَ الَّذِى يَعْنِيــهِ شَأْنِى ... نَصِيحَةَ قَـــوْلِهِ سِرًّا وقالا : (٢)

عَلَيْكَ بَنِى أُمَيَّـةَ، فَاستَجِرْهُمْ ... وخُذْ مِنهـمْ لِمَـا تَخْشَى حِبَالا (٣)

فإنَّ بَنِى أُمَيَّـــةَ فِى قُرَيْشٍ ... بَنَوْا لِبُيوتِهـمْ عَمَـــدًا طِوَالا (٤)

فَرَوَّحْتُ القَلوصَ إلى سَـعيدٍ ... إذَا مَا النَّـاءُ فى الأَرْطَاةِ قَالَا (٥)

تَخَطَّى الحَــرَّةَ الرَّجْلاءَ لَيْــلًا ... وتَقْطَـعُ فى مَخَارِمِها نِعَالا (٦)

حلفتُ بِمَنْ أَتَى كَثَبَى حِرَاءٍ ... ومَنْ [illegible] حِجَتِــهِ إلَالَا (٧)

إذا رَفَعُوا تَبِعْتَ لهــم عَجِيجًا ... عَجِيجَ [illegible] نِهَالَا (٨)

وَمَن سَمَـكَ السماءَ [illegible] فَقَامَتْ ... وَسَخَّــر [illegible] داودَ الشَّمَالَا (٩)

---

(١) عادلت [illegible] : وازنت بين المسالك لا أدرى لأيها أسير ، أحال : انقضى حول .

(٢) يعنيه : يهمه ، شأنى : [illegible] .

(٣) عليك بنى أمية : اقصدهم ، وسعيد بن العاص [illegible] : [illegible] حبل : [illegible] .

(٤) العمد : جمع عمود ما يقوم عليه البيت ، والمراد [illegible] .

(٥) روحت : سقت ، القلوص من الإبل : [illegible] الإبل [illegible] خصة ، قال : [illegible] متصف النهار ، [illegible] .

(٦) الحرة : أرض ذات حجارة [illegible] المخارم : [illegible] ، [illegible] .

(٧) الكثب : الطل أو الجانب ، حراء : غار خارج مكة كان يتحنث فيه رسول الله و يتعبد قبل الرسالة ، وفيه نزل عليــه الوحى لأول مرة ، إلال : جبل بعرفات حيث يقف الحاج . والمعنى أنه الذى ظهر [illegible] فى مكة ، يحلف بالنبى وبالحجيج .

(٨) أى رفعوا أيديهم وأصواتهم بالتلبية . العجيج : رفع الصوت والصياح . المحلىء هنا : مانع الإبل من الماء . [illegible] : لا إلى . النهال : العطاش ، واحدها : ناهل يشبه صوت الحاج بصوت المحلىء ... الخ

(٩) سمك : رفع [illegible] ابن داود : هو سيدنا سليمان . الشمال : الريح . يشير إلى معجزة سليمان وتسخير [illegible]

وَمَنْ نَجَّى مِنَ الغَمَرَاتِ نُوحًا ... وأرْسَى فى مَوَاضِعِها الجِبَالا (١)
لَئِنْ عَافَيْتَنِي وَنَظَرتَ حِلْمِي ... لَأَعْتَنَنْ إِنِ الحدثان آلا (٢)
إِلَيْكَ فَرَرْتُ مِنكَ ومن زِيادٍ ... ولم أحسبْ دَمِي لَكُمَا حَلَالَا (٣)
ولكنّى هجوتُ، وقد هَجَتْنِى ... مَعَاشِر قد رَضَخْتُ لهم سِجَالا (٤)
فإنْ يكن الهجاءُ أحَلَّ قَتْلِي ... فقد قُلْنَا لِشَاعِرِهِمْ وقَالَا (٥)
وان تَكُ فى الهِجاءِ تُرِيد قَتْلِي ... فَلَمْ تُدْرِكْ لِمُنْتَصِرٍ مَقَالا (٦)
تَرَى الشُّمَّ الجَحَاجِحَ من قُرَيشٍ ... إذا مَا الأَمرُ فى الحَدَثانِ عَالَا (٧)
بَنِي عَمِّ النَّبى ورَهْط عَمْرٍو ... وعُثمانَ الذينَ عَلَوْا فَعَالَا (٨)
قِيامًا يَنْظُرون إلى سَعِيدٍ ... كَأَنَّهم يَرَوْنَ بِهِ هِلَالَا (٩)
ضَروبٌ لِلقَوانِسِ غيرُ هَدٍّ ... إذا خَطَرَتْ مُسَوَّمَةٌ رِعَالَا (١٠)

---

(١) الغمرات: جمع غمرة معظم البحر. نوح الرسول وفى عهده كان الطوفان.

(٢) عافيتنى: دفعت عنى البلاء والسوء وكان الشاعر فارا من زياد حاكم العراق. نظرت حلمى: راعيت عقلى وأناتى. اعتنن: اشتدّ وقوى. الحدثان النوائب. آل: رجع.

(٣) زياد ابن أبيه: والى العراق، وقد طلب الفرزدق حين رفع أمره اليه لشدة هجائه، ولكن الشاعر فر الى سعيد هذا.

(٤) رضخت لهم: أعطيتهم قليلا من هجائى. السجال جمع سجل: الدلو العظيمة. ويقال الحرب بينهم سجال أى تارة لهم وتارة عليهم.

(٥) قلنا لشاعرهم وقال أى تهاجينا، فلم أقتل أنا دونه؟

(٦) فى الهجاء أى بسببه. ومعنى الشطر الثانى: فلم تسمع مقال المستجير. المنتصر: المستظهر على عدوه

(٧) الشم جمع أشم وهو السيد العزيز. الجحاجح جمع جحجح: السيد. عال: اشتد وتداقم.

(٨) الرهط: قوم الرجل. الفعال: الفعل الحسن.

(٩) قياما: حال من مفعول ترى فى البيت الذى قبل السابق ومعنى يرون به يرونه فالباء التجريد.

(١٠) القوانس: أعالى البيض من الحديد، المفرد قونس. الهد: الرجل الضعيف. المسومة: الخيل

وقال يهجو جريرا :

إنَّ الذي سَمَكَ السماءَ بنَى لنا ... بيْتًا دعائمُه أعزُّ وأطولُ(١)
بَيْتًا بناهُ لنا المليكُ ، وما بَنَى ... حَكَمُ السماءِ فإنَّهُ لا يُنْقَلُ(٢)
بيْتًا زُرارَةُ مُحْتَبٍ بِفِنائِهِ ... ومُجاشِعٌ وأبو الفوارِسِ نَهْشَلُ
يَلِجُونَ بَيْتَ مُجاشِعٍ وإذا احْتَبَوْا ... بَرَزُوا كأنهمُ الجِبالُ المُثَّلُ
لا يَحْتَبِي بِفِناءِ بيْتِكَ مِثلُهُمْ ... أَبدًا إذا عُدَّ الفَعَالُ الأفضلُ
مِنْ عِزِّهِمْ جَحَرتْ كُلَيْبٌ بيْتَها ... زَرْبًا كأنَّهمُ لديْهِ القُمَّلُ
ضَرَبَتْ عليكَ العنكبوتُ بنَسْجِها ، ... وقَضَى عليكَ بهِ الكِتابُ المُنْزَلُ
أينَ الذينَ بِهِمْ تُسامِي دارِمًا ... أَمْ مَنْ إلى سَلَفَيْ طُهَيَّةَ تَجْعَلُ ؟
يَمْشُونَ فى حَلَقِ الحَدِيدِ كما مشَتْ ... جُرْبُ الجِمالِ بِهَا الكُحَيْلُ المُشْعَلُ
والمانِعُونَ إذَا النِّسَاءُ ترادفَتْ ... حَذَرَ السِّباءِ جِمَالَهَا لا تُرحَلُ

---

(١) سمك : رفع . الدعائم : جمع دعامة وهى عمود البيت . أعز : أقوى .
(٢) المليك : الله جل جلاله . حكم السماء : أي القوى المقتدر . لا ينقل : لا يزول . يريد بيت شرف وعز .
(٣) زرارة ومجاشع ونهشل : أولاد دارم جدّ عشيرة الفرزدق يفخر بهم على جرير .
(٤) يلجون : يدخلون . احتبوا : اشتملوا بالثوب . المثل : الراسيات ، جمع ماثل .
(٥) فناء البيت : الساحة أمامه . الفعال بفتح الفاء : الفعل الحسن والخطاب لجرير ، أى ليس لك رجال أشراف كهؤلاء المعدودين تفاخرنى بهم .
(٦) كليب : قوم جرير . جحرت : دخلت زربا كأنه الجحر . الزرب : حفيرة تتخذ لحبس الجداء . القمل : جمع قملة ، كالجرادة وأقل منها .
(٧) يعنى أن بيت جرير فى الوهن والذل كبيت العنكبوت . والشطر الثانى إشارة إلى الآية الكريمة " وإن أوهن البيوت لبيت العنكبوت " .
(٨) تسامى : تفاخر . طهيــة : أم جماعة من قوم الفرزدق يفخر بهم على جرير . تجعل هنا : معناها تقرن بهم وتباهى .
(٩) الحلق : جمع حلقة وهى الدرع . جرب الجمال : أى الجمال المصابة بداء الجرب . الكحيل : القطران . المشعل : الكثير . يشبه الرجال فى عظمهم ولون الحديد عليهم بالجمال المهنوءة بالقطران
(١٠) ترادفت : ركب بعضهن خلف بعض . السباء : الأسر فى الغارات . لا ترحل : لا توضع عليها
[illegible]

يَحمِى إذا اخترِطَ السيوفُ نساءَنا ضَرْبٌ تَخِرُّ له السواعِدُ أَرْعَلُ (١)
ومُعَصَّب بالتاجِ يَخفِقُ فوقَهُ خِرَقُ الملوكِ له خَميسٌ جَحْفَلُ (٢)
مَلِكٌ تَسوقُ له الرماحَ أكفُّنَا منه تُعَلُّ صُدورُهُنَّ وتُنْهَلُ (٣)
قد مَاتَ فِى أَسَلاتِنَا أو عَضَّهُ عَضْبٌ بِرَونَقِهِ الملوكُ تُقَتَّلُ (٤)
ولَنا قُرَاسِيَةٌ تَظَلُّ خَواضِعًا منه مَخَافَتَهُ القُرومُ البُزَّلُ (٥)
مُتَخَمِّطٌ قَطِمٌ لَهُ عَادِيَةٌ فِيهَا الفَراقِدُ والسِّماكُ الأعزَلُ (٦)
ضَخمُ المَناكِبِ تَحتَ شَجْرِ شُئُونِهِ نَابٌ إذا ضَغَمَ الفُحُولَةَ مِقْصَلُ (٧)
وإذا دَعَوتُ بنى فُقَيْمٍ جاءَنِى مَجْرٌ لَهُ العَدَدُ الذى لا يُعدَلُ (٨)

---

(١) اخترط : سل . تخر : تسقط . أرعل : مسترخ مائل وهو صفة لضرب . وإنما يريد أنه يميل ما قطع فيسترخى .

(٢) معصب : متوج ، والواو واو رب . وما بعدها : مبتدأ ، وقد مات : خبره — يعنى حسان وقابوس ابنى المنذر . خرق الملوك : الرايات . الخميس : الجيش الضخم . الجحفل : الكثير الخيل .

(٣) منه : أى من الملك — تعل وتنهل من الدم ، والإنهال : الطعن الأول ، والعلل : الطعن الثانى .

(٤) الأسلات : الرماح ، المفرد أسلة . العضب : السيف القاطع . رونقه : فرنده وجوهره .

(٥) القراسية : الضخم الغليظ من الإبل . يقول : لنا عز قديم شبيه بالفحل وهو القراسية . القروم : جمع قرم ، وهو السيد أو الفحل الكريم . البزل : جمع بازل ، وهو الذى نبت نابه .

(٦) متخمط : متغضب فى كبر . قطم : هائج . عادية أولية قديمة ، وأصل الفرقد نجم يهتدى به والسماك الأعزل يكون فى نوء المطر ، أى لنا عز وشرف عال كمكان النجوم التى لا تنال ، بعضنا يقتدى به والبعض كريم يستقى منه .

(٧) الشجر : مجتمع اللحيين . الشئون : ملتقى قبائل الرأس ، الواحد شأن . ضغم : عض . مقصل : قاطع .

(٨) فقيم من دارم : عشيرة الشاعر . المجر : الجيش الكثير العدد — لا يعدل : ليس له عدل من غيره أى نظير .

وَإذا الرّبائــع جاءَنى دُفّاعُها ... مَوْجًا كأنهمُ الجــرادُ المُرْسَــلُ (١)
هَـــذا وفى عَـدَوِيّتِى جُرثومــةٌ ... صَعْبٌ مَناكِبُها نِيــافٌ عَيْطَــلُ (٢)
وإذا البَراجِمُ بالقُــرومِ تخاطَــرُوا ... حَــوْلى بأغلبَ عِزُّهُ لا يُــنْزَلُ (٣)
واذا بَــذَخْتُ ورايَتى يَمْشى بِهـا ... سُفْيانُ أو عُدُسُ الفَعالِ وجَنْـدَلُ (٤)
الأكثرونَ إذا يُعَــدُّ حَصاهُمُ ... والأكرمُونَ إذا يُعَــدّ الأوّلُ (٥)
وزَحَلْتَ عن عَتَبِ الطريقِ ولم تجِدْ ... قَدمَاكَ حيثُ تَقُومُ سُـدَّ المَنْقَـلُ (٦)
إنَّ الزِّحامَ لِغَــيرِكم فتحيَّنُــوا ... وِرْدَ العَشِيِّ؛ إليه يَخْلُ المَنْهَــلُ (٧)
حُلَلُ الملوكِ لِبَاسُــنا فى أهْلِنَـا ... والسابغــاتِ إلى الوغَى نَتَسَرْبَلُ (٨)

---

(١) الربائع : جمع ربيعـة وهى ربيعة الكبرى والصغرى والوسطى . الدفاع : دفاع السيل حين يكثر ويمتد . شبه كثرة الرجال بالسيل حين يدفع .

(٢) العـدوية : فكيهة بنت مالك من زيد مناة نسب اليها بنوها . الجرثومة . الأصـل والتراب يجتمع فى أصـل الشجرة فيرتفع على ما حوله . صعب مناكبها : يعنى نواحيها . نياف طويلة مشرفة . عيطل : طويلة .

(٣) البراجم فى الأصـل : رءوس الأشاجع التى هى أصول الأصابع ، والمراد هنـا : بنو حنظلة ابن مالك ، وهم خمسة تبرجموا على سائر إخوتهم . القروم : الفحول . تخاطروا كما تخطر الفحول بأذنابها إذا تهدد بعضها بعضا . الأغلب : الغليظ العنق .

(٤) بذخت : فخرت فى كبر . والأسماء المذكورة فى البيت من بنى دارم .

(٥) حصاهم : عددهم . الأول يعنى من الآباء والأجداد أو من المساعى والأفعال .

(٦) زحلت : نحيت ، والخطاب لجرير . العتب : الغلظ فى ارتفاع أى عن وضح الطريق . المنقل : الطريق فى الجبل . يقول اذا سلكنا نحيت لنا ، وسدّ عليك الطريق ، فلم تدر أين تسير ، وتضع قدميك .

(٧) ورد العشى : ورود الماء ليلا . يقول إنكم لضعفكم ومهانتكم لاقبـل لكم بالزحام بل تشربون من فضل غيركم .

(٨) الحلة : إزار ورداء . السابغات : الدروع . الوغى : الحرب . نتسربل : نتقمص . فهم فى السلم ملوك ، وفى الحرب ليوث .

أَحلامُنا تَزِنُ الجبالَ رَزانَةً ... وتَخالُنا جِنًّا إذا ما نَجْهَلُ (١)
فادْفَعْ بِكَفِّكَ إنْ أَرَدْتَ بِناءَنا ... ثَهلانَ ذا الهَضَباتِ، هَلْ يَتَحَلْحَلُ (٢)
وأَنَا ابنُ حَنْظَلَةَ الأَغَرِّ وإنَّنِي ... فى آلِ ضَبَّةَ لَلْمُعِمُّ المُخْوِلُ (٣)
فَرْعانِ قد بَلَغَ السَّماءَ ذُراهُما ... وإليهِما مِنْ كُلِّ خَوْفٍ يُعْقَلُ (٤)
فَلَئِنْ فَخَرْتُ بِهِمْ لِمِثْلِ قَدِيمِهِمْ ... أَعْلُو الحُزُونَ بِهِ، ولا أَتَسَهَّلُ (٥)
زَيْدُ الفَوارِسِ، وابنُ زَيْدٍ مِنْهُمُ ... وأَبُو قَبِيصَةَ، والرَّئِيسُ الأَوَّلُ (٦)
أَوْصَى عُشَيَّةَ حِينَ فارَقَ رَهْطَهُ ... عِنْدَ الشَّهادَةِ فى الصَّحِيفَةِ دَغْفَلُ (٧)
أَنَّ ابنَ ضَبَّةَ كانَ خَيْراً والِدًا ... وأَتَمَّ فى حَسَبِ الكِرامِ وأَفْضَلُ (٨)
مِمَّنْ يَكُونُ بَنُو كُلَيْبٍ رَهْطَهُ ... أو مَنْ يَكُونُ إلَيْهِمُ يَتَحَوَّلُ (٩)

---

(١) الأحلام : جمع حلم : الصبر والأناة أو العقل . وصفة الجبال واسعة . رزانة . وقارا .

(٢) ثهلان : جبل عظيم بنجد . الهضبات : جمع هضبة الجبل الصغير . هل يتحلحل : أى هل يزول ويتحرك ؟ فكذلك [illegible] .

(٣) حنظلة : هو ابن مالك بن زيد من رهط الشاعر [illegible] بن ضبة . الأغر : [illegible] شرف . المعم المخول : الكريم الأعمام والأخوال .

(٤) ذروة كل شىء : أعلاه . معقل : ملجأ . أى [illegible] .

(٥) [illegible]

(٦) زيد الفوارس : هو زيد بن حصين سمى بذلك [illegible] حصين . [illegible] وأبو قبيصة ضرار بن عمرو [illegible] الرئيس [illegible] بن ضبة .

(٧) رهط الرجل : قومه الأدنون . دغفل : هو ابن حنظلة النسابة من وائل . [illegible] .

(٨) بنو ضبة رهط الشاعر لأمه . الحسب : مفاخر الآباء .

(٩) بنو كليب : رهط جرير . يتحول : من التحول ، أى يدعيهم أخوالا . فهو فى هذه الأبيات يفضل نفسه نسبا وحسبا على جرير .

وَهُمُ عَلَى ابنِ مُزَيْقِياءَ تَنَازَلُوا   والخيلُ بَيْنَ عَجَاجَتَيْهَا القَسْطَلُ (١)
وهُمُ الذينَ عَلَى الأُمَيلِ تداركوا   نَعَمًا يُشَلُّ إلَى الرئيس ويُعْكَلُ (٢)
ومُحَرِّقًا صَفَدُوا إليهِ يَمِينَهُ   بِصِفادِ مقتسرٍ أخوهُ مُكَبَّلُ (٣)
مَلِكَانِ يومَ بُزَاخَةٍ قتلوهُمَا   وكِلاهُمَا تاجٌ عَلَيْهِ مُكَلَّلُ (٤)
وَهُمُ الذينَ عَلَوْا عُمَارةَ ضَرْبَةً   فَوْهاءَ فَوْقَ شُئُونِهِ لا تُوصَلُ (٥)
وَهُمُ اذا اقتُسِمَ الأكابِرُ رَدَّهُمْ   وَافٍ لِضَبَّةَ ، والرِّكابُ تُشَلَّلُ (٦)
جَارٌ إذا غَدَرَ اللِئَامُ وفَى بِهِ   حَسَبٌ ودَعْوَةُ مَاجِدٍ لا يُخْذَلُ (٧)
وعَشِيَّةَ الجَمَلِ المُجَلَّلِ ضَارَبُوا   ضَرْبًا شُئُونُ فَرَاشِهِ تَتَزَيَّلُ (٨)

---

(١) ابن مزيقياء هو الحارث عمرو بن عامر قتله أحد بنى ضبة ، وابناه : محرق وزياد قتلهما زيد الفوارس . تنازلوا : نزلوا فى ساحة القتال فتضاربوا . العجاجتان : مثنى عجاجة : الدخان والغبار . القسطل : الغبار . والمقصود أن الغبار ثائر بين الجيشين المتحاربين .

(٢) الأميل : رمل يعرض ويستطيل مسيرة يوم أو يومين ؛ وهو كذلك اسم يوم لبنى ضبة على بنى شيبان . وذلك أن بسطام بن قيس بن مسعود الشيبانى أغار على بنى ضبة ، فاستاق ألف بعير لمالك بن المنتفق رئيس بنى ضبة ؛ فتداركت ضبة الخيل وردّت النعم . يشلّ : يطرد . يعكل : يرد ويحبس .

(٣) محرق : سبق ذكره . صفدوا : جمعوا ؛ أى أسروه ، واستوثقوا منه . الصفاد : القيد أو الحديد الذى قيد فيه . أخوه : صاحبه أى صاحب هذا الصفاد مقتسر ومغتصب .

(٤) بزاخة : وقعة لضبة على غسان . والملكان محرق وزياد كما سبق . مكلل : معقود فوق رأسه .

(٥) عمارة بن زياد العبسى قتله شرحاف الضبى يوم أعيار . فوهاء : واسعة ذات فم واسع . الشئون : ملتقى قبائل الرأس ، الواحد شأن ، ومن الشئون تجرى الدموع . لا توصل : لا تلتئم .

(٦) اقتسم الأكابر : أسروا وتوزعوا . والأكابر شيبان وعامر وجليحة من بنى تيم الله بن ثعلبة ، أجارهم بدر بن حمراء الضبى ، فوفى لهم . تشلل : تطرد .

(٧) جار : يعنى بدر بن حمراء الضبى . الماجد جيرانه من بنى تيم الله الذين التجأ اليهم فى إحدى السنين ، فوفى له .

(٨) الجمل : وقعة الجمل مع السيدة عائشة وقتل من بنى ضبة كثير . الفراش : جمع فراشة كل رقيق من العظم أو الحديد . تتزيل : تتفرق .

* * *

يَا بْنَ المَرَاغَةِ أينَ خالُكَ إنَّنى خَالِى حُبَيْشٌ ذو الفَعَالِ الأفضلُ (١)
خَالِى الذى غَصَبَ الملوكَ نُفُوسَهمْ وإليه كانَ حِباءُ جَفْنَةَ يُنقَلُ (٢)
إنَّا لَنَضْرِبُ رأْسَ كُلِّ قَبِيلَةٍ وأبُوكَ خَلفَ أتَانِه يَتَقَمَّلُ (٣)
وَشُغِلْتَ عن حَسَبِ الكِرَامِ وما بَنَوْا إنَّ اللئيمَ عنِ المَكارِمِ يُشْغَلُ (٤)
إنَّ التِى فُقِئَتْ بِها أبْصارُكُم وَهِىَ التِى دَمَغَتْ أبَاكَ الفَيْصَلُ (٥)

وقال يصف ذئبا صادفه فى أثناء سفره فأطعمه من زاده :

وأطلَسَ عَسَّالٍ وما كانَ صَاحِبًا دَعَوْتُ بنَارِى مَوْهِنًا فَأتَانِى (٦)
فَلَمَّا دَنَا قُلتُ : ادْنُ دونَكَ، إنَّنِى وإيَّاكَ فِى زَادِى لَمُشْتَرِكَانِ (٧)

---

(١) ابن المراغة : جرير . حبيش : من ضبة أسر عمرو بن الحارث الغسانى ، بجز ناصيته ، واشترط عليه أن يبعث اليه كل سنة بحباء حتى يموت .

(٢) الحباء : العطية ، والمراد هنا الضريبة . جفنة من آباء الغساسنة اليه ينسبون ، ويسمون آل جفنة ملوك الشام فى الجاهلية .

(٣) الرأس : الرئيس . الأتان : الحمارة . يتقمل : يكثر قمله .

(٤) اللئيم : الدنىء الأصل والبخيل .

(٥) دمغت : أى بلغت دماغه . الفيصل : مقطع الحق فيما بيننا و بينكم . وهذه القصيدة كانت تسمى الفيصل .

(٦) الأطلس : أغبر اللون . عسال : مضطرب فى مشيه . موهنا : نحو منتصف الليل.

(٧) أدن : اقترب . دونك : أمامك .

فَبِتُّ أَقُدُّ الزَّادَ بَيْنِي وَبَيْنَهُ ... عَلَى ضَوْءِ نَارٍ مَرَّةً وَدُخَانِ (١)

فَقُلْتُ لَهُ لَمَّا تَكَشَّرَ ضَاحِكًا ، ... وَقَائِمُ سَيْفِي من يَدِي بِمَكَانِ : (٢)

تَعَشَّ ، فإنْ وَاثَقْتَنِي لَا تَخُونُنِي ... نَكُنْ مِثْلَ مَنْ (يَاذِئْبُ) يَصْطَحِبَانِ (٣)

وأَنْتَ امْرُؤٌ يا ذئْبُ والغَدرُ كنتُمَا ... أُخَيَّيْنِ كَانَا أُرْضِعَا بِلِبَانِ (٤)

ولو غَيْرَنَا نَبَهْتَ تَلْتَمِسُ القِرَى ... أَتَاكَ بِسَهْمٍ أَوْ شَبَاةِ سِنَانِ (٥)

وكُلُّ رَفِيقَيْ كُلِّ رَحْلٍ ـ وإنْ هُمَا ... تَعَاطَى القَنَا قَوْمَاهُمَا ـ أَخَوَانِ (٦)

فَهَلْ يَرْجِعَنَّ اللهُ نَفْسًا تَشَعَّبَتْ ... عَلَى أَثَرِ الغَادِينَ كُلَّ مَكَانِ (٧)

فَأَصْبَحْتُ لا أدرِي أَأَتْبَعُ ظَاعِنًا ... أَمِ الشَّوْقُ مِنِّي لِلْمُقِيمِ دَعَانِي (٨)

وما مِنْهُمَا إلا تَوَلَّى بِشِقَّةٍ ... من القَلْبِ فالعينَانِ تَبْتَدِرانِ (٩)

---

(١) أقد : أقطع .

(٢) تكشر : كشف عن أسنانه ، قائم السيف : مقبضه .

(٣) واثقتنى : عاهدتنى .

(٤) أخيان : أخوان توءمان .

(٥) شباة سنان : طرف الرمح .

(٦) تعاطى القنا قوما هما : أى تحارب أهلهما . أخوان : خبر كل .

(٧) تشعبت : توزعت فى كل مكان من الهموم . الغادون : الميتون يشير الى بنيه المتوفين .

(٨) ظاعنا : راحلا الى القبر . المقيم : الباقى على قيد الحياة — يصف اضطراب نفسه بين الحزن والحدب .

(٩) تولى بشقة : أخذ ناحية من قلبه ، فشغلها . تبتدران الدمع : تدمعان .

(١٢) وقال جرير(١) يرثى زوجه خالدة بنت سعد :

لَوْلا الحَيـاءُ لهاجَنِي ٱسْتِعبارُ ... ولَزُرتُ قبرَكِ ، والحبيبُ يُزارُ (٢)
ولقد نَظرتُ ، وما تَمَتُّعُ نظرةٍ ... فى اللَّحدِ حيثُ تَمكَّنَ الأحفارُ (٣)
وَلِهَتْ قلبى إذ عَلَتْنِى كَبْرَةٌ ... وذَوُو التمائمِ من بنيكِ صِغارُ (٤)
أرعَى النجومَ ، وقد مَضَتْ غَوْرِيَّةً ... عُصَبُ النُّجومِ كأنَّهُنَّ صُوارُ (٥)
نِعْمَ القَرينُ ، وكنتِ عِلْقَ مَضَنَّةٍ ... وَارَى بِنَعْفِ بَلِيَّةَ الأحجارُ (٦)
عَمَرتْ مُكَرَّمَةَ المَساكِ ، وفارَقَتْ ... ما مَسَّها صَلَفٌ ولا إقتارُ (٧)
فسقَى صدَى جَدَثٍ بِبُرْقَةِ ضاحِكٍ ... هَزِمٌ أَجَشُّ وَدِيمَةٌ مِدْرارُ (٨)

(١) ينتسب أبو حزرة جرير بن عطية بن الخطفى الى يربوع من تميم كما ينتسب الفرزدق الى دارم من تميم كذلك . وقد ولد باليمامة ونشأ فى البادية يأخذ الشعر عن أسرته وغيرها ويتكسب به لدى الخلفاء والولاة حتى اشتبك مع الفرزدق فى التهاجى والسباب لعوامل سياسية واجتماعية . ومات بعد الفرزدق بقليل سنة ١١٠ هـ .

(٢) استعبار : حزن ودمع .

(٣) الأحفار : جمع حفر البئر المتسعة ، وهو هنا القبر .

(٤) ولهت : حيرت من الحزن . كبرة : كبر وضعف . التمائم : جمع تميمة ، وهى العوذة تعلق على الصبى خوف الحسد .

(٥) أرعى النجوم : أراقبها . غورية : غائبة . عصب : جماعات . الصوار : القطيع من بقر الوحش .

(٦) القرين : الزوج والصديق أى أنت . العلق : النفيس أو الجراب . المضنة : ما يضن به . نعف بلية : مكان قبرها .

(٧) عمرت : عاشت . المساك : الإمساك . والمراد البقاء مع زوجها . الصلف : مجاوزة قدر الظرف والادعاء تكبرا . إقتار : بخل .

(٨) الصدى هنا : جثمان الميت . جدث : قبر ، برقة ضاحك : موضع . والبرقة فى الأصل الأرض الغليظة . هزم سحاب راعد ، أجش : غليظ الصوت ، ديمة : مطر يدوم فى سكون . مدرار :

مُتَراكِمٌ زَجِلٌ يُضيءُ وميضُهُ   كالبُلْقِ تحتَ بُطونِها الأمْهارُ (١)

كانتْ مكرَّمةَ العشيرِ ولم يَكن   يَخشى غوائلَ أُمِّ حَزْرَةَ جارُ (٢)

ولقد أراكِ كُسيتِ أجملَ منظرٍ   ومَعَ الجمالِ سكينةٌ ووقارُ (٣)

والريحُ طيِّبةٌ إذا استقبلتِها   والعِرضُ لا دَنِسٌ ولا خَوَّارُ (٤)

وإذا سريتُ رأيتُ نارَكِ نوَّرت   وَجْهًا أغرَّ يَزينُه الإسفارُ (٥)

صَلَّى الملائكةُ الذين تُخُيِّروا   والصالحُون عليكِ والأبْرارُ (٦)

وعَليكِ من صَلَواتِ ربِّكِ كُلَّما   نَصَبَ الحجيجُ مُلَبِّدينَ وغارُوا (٧)

يا نَظرةً لكَ يومَ هاجَتْ عَبرةً   من أُمِّ حَزْرَةَ بالنُّميرةِ دارُ (٨)

تُحيي الروامسُ رَبعَها فتُجِدُّه   بَعدَ البِلَى، وتُميتُه الأمطارُ (٩)

وكأنَّ منزلةً لها بجُلاجِلٍ   وَحْيُ الزَّبورِ تُجِدُّه الأحبارُ (١٠)

---

(١) زجل: رفع صوته. البلق: جمع أبلق فرس فى لونه سواد وبياض. أمهار: جمع مهر.

(٢) الغوائل: مفرده غائلة وهى الشر والفساد والداهية.

(٣) الوقار: الرزانة.

(٤) خوار: مريب.

(٥) سريت: سرت ليلا. أغر: حسن له غرة. الإسفار: كشف الوجه.

(٦) الأبرار: جمع بار الصالح أو كثير الإحسان.

(٧) نصب: جد وتعب. الحجيج: جمع حاج. ملبدين: محرمين ومتخذين صمغا ليتلبد شعرهم. غاروا: نزلوا الغور.

(٨) عبرة: دمعة. النميرة: جبل أو هضبة بين نجد والبصرة.

(٩) الروامس: الرياح الدوافع للآثار. الربع: الدار. تجد: تجدد.

(١٠) جلاجل: موضع أو جبل بالدهناء. الوحى: المكتوب أو الرسالة. الزبور: الكتاب، وغلب على مزامير داود. الأحبار: جمع حبر: العالم الصالح والرئيس الدينى.

لا تُكْثِرَنَّ إذا جعلتَ تلومُني ... لا يَذْهَبَنّ بِحلمكَ الإكثار (١)

كانَ الخليطُ هُمُ الخليطَ فأصبحُوا ... مُتَبَدِّلين وبالديارِ ديار (٢)

لا يُلبِثُ القُرَناءَ أن يَتَفَرَّقوا ... ليلٌ يَكُرُّ عليهمُ ونهار (٣)

وقال جرير يجيب الفرزدق عن قصيدته السالفة التي مطلعها .

إن الذى سمك السماء :

لِمَنِ الديارُ كأنَّها لم تُحلَلِ ... بينَ الكِناسِ وبينَ طَلْحِ الأعزَلِ (٤)

ولقدْ أرى بِكِ، والجديدُ إلى بِلًى، ... موتَ الهوَى وشِفاءَ عَينِ المجتَلِي (٥)

نظرتْ إليكَ بِمثلِ عَيْنَيْ مُغزِلٍ ... قَطَعَتْ حِبالَتَها بأعلى يَلْيَلِ (٦)

وإذا التَمستَ نَوالَها بَخِلتْ بهِ ... وإذا عَرضتَ بِوُدِّها لم تَبخَلِ

ولقد ذكرتُكِ، والمَطِيُّ خواضِعٌ، ... وكأنّهنَّ قَطا فَلاةٍ مَجْهَلِ (٧)

---

(١) الحلم : الصبر والأناة والعقل .

(٢) الخليط : الصحاب . متبدلين : متغيرين . وبالديار الخ مسافرين الى ديار أخرى .

(٣) لا يلبث ... لا يمهلهم حتى يفرقهم . القرناء : جمع قرين العشير أو المصاحب .

(٤) الكناس : موضع من بلاد غنى . طلح : شجر . الأعزل : واد لكليب . كأنها لم تحلل : أى قد درست كأنها لم تكن مسكونة .

(٥) المجتلى : الناظر ، أى كنا بك فكان الهوى مستترا ، فلما تفرقنا ظهرت آثاره بسبب الفراق .

(٦) المغزل : ظبية ذات غزال . حبالتها : مصيدتها . يليل : موضع قرب وادى الصفراء بين الحرمين .

(٧) خواضع : مجدة فى السير . قطا : طير . فلاة : صحراء واسعة مجهل : مفازة لا يهتدى فيها .

يَسقينَ بالأُدَمى فِراخَ تَنُوفــةٍ ... زُغْبًا حواجبهُن حُمــرَ الحوصَلِ (١)

يا أمَّ ناجيــةَ ! السلامُ عليكُمُ ! ... قبلَ الرَّواحِ وقبلَ عَذْلِ العُــذَّلِ (٢)

وإذا غــدوْتِ فباكرتكِ تحيَّـةٌ ... سبقتْ سُروحَ الشاحِجات الحُجَّــلِ (٣)

لو كنتُ أعلمُ أن آخر عهــدِكمْ ... يومَ الرَّحيــلِ فعلتُ ما لم أفعَــلِ (٤)

أو كنتُ أرهَبُ وَشْكَ بَيْنٍ عاجلٍ ... لقنِعْتُ أو لَسألتُ ما لم يُسألِ (٥)

أعْددتُ للشُّعَراء سمًّا ناقِعًا ... فسَقيتُ آخرَهُمْ بِكأسِ الأوَّلِ (٦)

لمَّا وضعتُ على الفرزدقِ مِيسَمى ، ... وضَغا البَعيثُ جَدَعْتُ أنفَ الأخطلِ (٧)

أخزَى الذى سمَكَ السماءَ مُجاشعًا ... وبنَى بِناءَكَ فى الحضيضِ الأسفلِ (٨)

بيتًا يُحَمِّمُ قينُكم بِفِنائه ... دَنِسًا مقاعدُه خَبيثَ المدْخَلِ (٩)

ولقــد بنيتَ أخسَّ بيتٍ يُبتنى ... فهدمتُ بيتَكمُ بِمِثلَى يذبُلِ (١٠)

---

(١) الأدمى : موضع . تنوفة : برية لا ماء فيها ولا أنيس . زغبا : قليلة الريش . والزغب أول ما يبدو من الشعر أو الريش .

(٢) الرواح : الذهاب عشية . وربما كان الأولى يا آل ناجية .

(٣) الشاحجات : الغربان تشحج فى صياحها . الحجل : تحجل فى مشيها .

(٤) عهدكم : لقائكم .

(٥) وشك : قرب . قنعت بالقليل من الود دون الطمع و بعد الأمل الذى قضى عليه الفراق .

(٦) ناقعا : قاتلا (هجاء مرا) .

(٧) الميسم : المكوى ، يريد الشعر . ضغا : تذلل . جدع الأنف : قطعه .

(٨) سمك : رفع . مجاشع : قوم الفرزدق . الحضيض : أسفل الجبل .

(٩) يحمم : يدخن فيه فيسوّده . القين : الحداد ، يرمى الفرزدق بأن قومه حدادون .

(١٠) يذبل : جبل مشهور بنجد يشبه به مجده .

أَنّى بَنَى لِى فى المَكارِمِ أَوَّلِى ‏ ‏ ‏ ‏ وَنَفَخْتَ كِيرَكَ فى الزَّمانِ الأَوَّلِ (١)

أَعَيْنَــكَ مَأْثُرةُ القُيُــونِ مُجَاشِعٍ ‏ ‏ ‏ ‏ فانْظُر لعلَّكَ تَدَّعِى من نَهْشَــلِ (٢)

وامْــدَحْ سَراةَ بنى فُقَيْــمٍ إنهــمْ ‏ ‏ ‏ ‏ قَتَــلُوا أَبَاكَ وثأرُه لم يُقْتَــلِ (٣)

ودَعِ البَراجِمَ إِنَّ شِرْبكَ فيهــمُ ‏ ‏ ‏ ‏ مُرٌّ مَذَاقَتُه كَطَعْمِ الحَنظَــلِ (٤)

إِنِّى انْصَبَبْتُ من السماءِ عليكُمُ ‏ ‏ ‏ ‏ حتى اختطفْتُك يا فَرَزْدَقُ من عَلِ (٥)

مِن بعــدِ صَكِّى البَعيثَ كأنّهُ ‏ ‏ ‏ ‏ خَرَبٌ تَنَفَّجَ مِنْ حِذارِ الأَجدَلِ (٦)

ولقــد وسمْتُكَ يا بَعيثُ بِمِيسَمى ‏ ‏ ‏ ‏ وضَغَا الفرزدقُ تحت حَدِّ الكَلْكَلِ (٧)

أَنّى إلى جَبَــلَىْ تميمٍ مَعقِــلى ‏ ‏ ‏ ‏ ومَحَلُّ بيْتِى فى اليَفَاعِ الأَطــوَلِ (٨)

أَحلامُنَــا تَزِنُ الجبالَ رَزانَةً ‏ ‏ ‏ ‏ ويَفُوقُ جاهِلُنَــا فَعَالَ الجُهَّــلِ (٩)

فارجع إلى حَكَمَىْ قُرَيْشٍ؛ إنهـــم ‏ ‏ ‏ ‏ أهــلُ النُّبــوَّةِ والكتابِ المُنْــزَلِ (١٠)

---

(١) أولى: آبائى. (٢) مأثرة: مكرمة، أى لا مكرمة لك فى مجاشع. تدعى: تنتسب. نهشل ومجاشع: أخوان من تميم.

(٣) سراة: جمع سرى وهو الشريف. بنو فقيم: من دارم. الثأر: القاتل، وكان ذكوان الفقيمى سبب موت أبى الفرزدق، وقد عقر بعيرى أمه وأخته جعثن فى قصة طويلة.

(٤) البراجم: قوم من أولاد حنظلة بن مالك كما سبق. الشرب: هنا الحظ والنصيب.

(٥) عل: أعلى.

(٦) الصك: الضرب الشديد. الخرب: ذكر الحبارى طائر كالديك. تنفج: تنفش ريشه خوفا. الأجدل: الصقر.

(٧) الكلكل: الصدر. الحدّ: الصلابة.

(٨) المعقل: الملجأ أو الجبل المرتفع، والمراد الشرف. اليفاع: ما ارتفع من الأرض.

(٩) الجاهل: السفيه.

(١٠) حكما قريش: هاشم وعبد مناف.

فَسَالَ إذا خرج الخِـدامُ وأُحمِشَتْ ‏ ‏ حربٌ تُضرَّم كالحريق المُشْـعَلِ (١)

والخيل تَحِطُّ بالكُماة ، وقـد رأوْا ‏ ‏ لمَعَ الرَّبِيئَـةِ في النِّيَافِ العَيْطَلِ (٢)

أبَنـو طُهَيَّـةَ يَعْـدِلُون فوارسي ‏ ‏ وبنُو خَضاف ، وذاك ما لم يُعْدَلِ (٣)

وإذا غَضِبتُ رمَى وَرَائي بالحَصى ‏ ‏ أبنـاءُ جَنْـدلَتِي كَخَيْرِ الجنـدَلِ (٤)

عَمْرٌو وسـعْدٌ يا فرزدقُ فيهـمُ ‏ ‏ زُهْرُ النُّجُومِ وَبَاذِخاتُ الأَجْبُـلِ (٥)

كانَ الفـرَزْدقُ إذْ يَعُـوذُ بخَالِه ‏ ‏ مِثْلَ الذليـلِ يَعُوذُ تحت القَرْمَلِ (٦)

وافخـرْ بضـبّةَ إنَّ أُمَّك منهـمُ ‏ ‏ ليس ابنُ ضَـبَّةَ بالمُعِمِّ المُخْوِلِ (٧)

وقَضَتْ لنـا مُضَرٌ عليك بِفَضْلِنَا ‏ ‏ وقَضَتْ رَبيعةُ بالقَضاءِ الفَيْصَـلِ (٨)

إن الذى سَمَكَ السَّماءَ بنَى لنَـا ‏ ‏ عِزًّا عَلاكَ فمـا لَه من منْقَـلِ (٩)

أبلـغْ بني وَقْبَان أَنَّ حُلُومَهُـمْ ‏ ‏ خَفَّتْ ، فَلَا يَزِنُونَ حَبَّـةَ خَرْدَلِ (١٠)

---

(١) الخدام : الفرس المحجل ، يعنى فى الغارة . أحمشت : أوقدت . تضرم : تشتعل .

(٢) تحط : تصوت من الإعياء والتعب . الكماة : جمع كمى : المدجج بالسلاح . الربيئة : طليعة الجيش . النياف : الطويل من الإبل . العيطل : الطويل العنق .

(٣) طهية : أم جماعة من تميم منهم مجاشع ونهشل ودارم . خضاف : هم بنو مجاشع .

(٤) الحصى : العدد الكثير . جندلة : بنت تيم الأدرم ، وهى أم يربوع قوم جرير .

(٥) عمرو وسعد : حليفا عشيرة جرير . زهر النجوم : النابهون . باذخ : عظيم . الأجبل : جمع جبل ، والمراد عظماء الرجال .

(٦) يعوذ : يحتمى . القرمل : شجر ضعيف بلا شوك ، ومنه المثل ذليل عاذ بقرملة .

(٧) ضبة : من طابخة أخوال الفرزدق . المعم : الكريم الأعمام ، والمخول : كريم الأخوال .

(٨) ربيعة ومضر : شعبا عدنان العظيمان . الفيصل : الفاصل بين الحق والباطل .

(٩) منقل : متحول وانتقال .

(١٠) وقبان : لقب مجاشع ، معناه الحمق . حلوم : جمع حلم : العقل والرزانة .

وقال يمدح عبد الملك بن مروان :

أتصحو ، أم فؤادك غير صاحِ ... عشيّة همّ صحبك بالرّواحِ (١)
تقول العاذلات : علاك شيبٌ ! ... أهذا الشيب يمنعني مِراحي ؟ (٢)
يُكلّفني فؤادي من هواه ... ظعائنَ يجتزعن على رِماحِ (٣)
ظعائنَ لم يَدِنَّ مع النّصارى ... ولا يدرين ما سَمَكُ القُراحِ (٤)
فبعضُ الماء ماءُ ربابِ مُزْنٍ ... وبعضُ الماءِ من سَبَخٍ مِلاحِ (٥)
سَيَكفيك العواذلَ أرحبيٌّ ... هِجانُ اللون كالفَرَد اللَّياحِ (٦)
يَعُزُّ على الطريق بمَنكِبيه ... كما ابترك الخليعُ على القِداحِ (٧)

---

(١) تصحو : تترك الباطل . الرواح : الذهاب عشية . و يصح أن تكون أم بمعنى بل أى للإضراب .

(٢) المراح : الاختيال والتبختر .

(٣) الظعائن جمع ظعينة : المرأة فى الهودج . يجتزعن يتمدود كالرماح .

(٤) القراح : قرية بين النهر ، وربما كانت للنصارى .

(٥) الرباب جمع ربابة : السحابة البيضاء . المزن البرد أو السحاب ذو الماء . السبخ مفرده سبخة : أرض ذات نز وملح . ملاح : مالحة .

(٦) يكفيك : يكف عنك . أرحبي : جمل منسوب الى أرحب بطن من همدان . هجان : أبيض كريم . الفرد : الثور المنفرد ، واللياح : الأبيض ، أى سأستريح من العواذل بهذا الجمل أركبه الى الخليفة .

(٧) يعز : يشتد . ابترك : حنا للركب . الخليع : المقامر . القداح جمع قدح : سهم الميسر .

تعــزَّت أمُّ حَزْرَةَ ثُم قالتْ : رأيتُ الواردينَ ذوى امتناح (١)
تُعــلِّلُ وهْى ســاغِبةٌ بَنيهـا بأنفـاسٍ من الشَّبِمِ القَـراح (٢)
سَأَمْتَـاحُ البحـورَ فَجنِّبينى أذاةَ اللـومِ وانتـظرى امتياحى (٣)
ثِقِى بِاللهِ ليسَ لَـهُ شَـريك ومِن عنـدِ الخَليفـةِ بِالنجاح
أغِثْنِى — يا فِداكَ أبى وأُمى — بِسَيْبٍ مِنكَ ؛ إنكَ ذُو ارتِيـاح (٤)
فإنِّى قـد رأيتُ علىَّ حَقًّـا زِيارَتِىَ الخليفـةَ وامتِـداحى
سَأشكُرُ إنْ رَدَدتَ علىَّ رِيشى وأنبَتَّ القَـوادِمَ فى جَناحى (٥)
ألَسْتُمْ خيرَ مَنْ رَكِبَ المَطَايا وأندَى العـالَمِينَ بُطونَ رَاح (٦)
وقَومٍ قـد سَمَوتَ لهم فـدانُوا بِدُهْـمٍ فى مُلَمْلَمـةٍ رَداح (٧)
أبَحْتَ حِمى تِهـامةَ بعـد نَجْـد وما شىءٌ حَمَيْتَ بِمُسْتَبَاح (٨)

---

(١) أم حزرة : زوج جرير . امتناح : عطاء .

(٢) تعلل : تشغل وتلهى . ساغبة : جائعة . الشبم : البارد من الماء . القراح الصافى .

(٣) امتاح الماء : استقاه واستخرجه من البئر، والمراد العطاء الذى يناله من عبد الملك بن مروان المشبه بالبحر عطاء .

(٤) السيب : العطاء . ذو ارتياح أى الى الكرم .

(٥) القوادم جمع قادمة : الريش فى مقدم الجناح وهى كبار الريش وضدها الخوافى . والمراد إن أعززتنى .

(٦) المطايا : جمع مطية . الراح جمع راحة : بطن الكف .

(٧) سموت لهم : خرجت اليهم محاربا . دانوا : خضعوا . دهم : خيل سود، الواحد أدهم . الململة : الكثيرة المجتمعة . رداح : كتيبة ثقيلة .

(٨) أبحت : حللت . الحمى : ما يحميه الإنسان ويمنعه إشارة الى حروبه فى بلاد العرب .

لكُمْ شُمُّ الجبالِ من الرواسي ... وأعظمُ سَيلِ مُعْتلجِ البِطاحِ (١)

دعوتَ الملحدينَ أبا خُبَيب ... جِماحًا هل شُفيتَ من الجماحِ؟ (٢)

فقد وَجدوا الخليفةَ هِبْرِزيًّا ... ألَفَّ العِيصِ ليسَ من النواحي (٣)

فما شَجَراتُ عِيصِكَ فى قُرَيشٍ ... بِعَشَّاتِ الفُروعِ ولا ضَواحي (٤)

رأى الناسُ البَصيرةَ فاستقاموا ... وبُيِّنَت المِراضُ من الصِحاحِ (٥)

(١٣) وقال عُبيد الله بن قَيسٌ الرُّقَيَّات (٦) يمدح عبد العزيز بن مروان :

لم يَصْحُ هذا الفؤادُ من طَرَبِهْ ... ومَيلِهِ فى الهوى وفى لَعِبِهْ (٧)

أهلًا وسهلًا بمن أتاكَ من الرَّ ... قَّةِ يسرى اليكَ فى سُخُبِهْ (٨)

---

(١) شم الجبال : أعاليها . اعتلجت الأرض : طال نبتها ، والأمواج : التطمت . البطاح : جمع بطحاء مسيل واسع فيه حصى دقيق . يشير الى عظم سلطانه .

(٢) الملحد : المائل عن الدين الطاعن فيه . أبو خبيب عبد الله بن الزبير الخارج على بنى أمية . جماحا : نافرين . والاستفهام تقريرى .

(٣) هبرزيا : أسدا . والهبرزى : الأسوار من أساورة الفرس . ألف : كثير ملتف . العيص : الشجر الكثير أو الأصل . النواحى : البعداء . والمعنى أنهم وجدوك ذا بأس كريم الأصل .

(٤) عشات الفروع : لثيات أصول نبتها . ضواح : بادت ظلها لعدم الورق .

(٥) البصيرة أيضا : العبرة والفطنة . و بينت : تبينت المراض جمع مريض : الباطل والمعوج ضدّه الصحيح .

(٦) عبيد الله بن قيس الرقيات القرشى من شعراء الغزل والسياسة نشأ فى قريش حريصا على سيادتهم ناقما على بنى أمية اعتزازهم باليمن متنصرا لابن الزبير ، حتى اذا قتل واستقر الحكم للأمويين اطمأن اليهم وكان أول أمره مطاردا من الخلفاء يتنقل مختفيا بين الكوفة والمدينة حتى نال الأمان ولزم عبد العزيز ابن مروان والى مصر إلى أن مات سنة ٧٥ هـ . وابن الرقيات سهل الشعر رقيق المعانى ولا سيا فى الغزل والرثاء وقد يرجع ذلك الى مزاجه الصافى والى الموضوعات التى يعالجها .

(٧) يصحو : يفيق . الطرب : الاهتزاز فرحا . يصف فؤاده بالعشق والهيام

(٨) الرقة : بلدة على الفرات . وأخرى غربى بغداد وغيرهما . السخب : جمع سخاب قلادة من قرنفل وغيره . والخطاب فى البيت لنفسه او لفؤاده ملتفتا إليه . ومن أتاه من الرقة هو طيف الحبيب .

بَاتَتْ بِحُلوانَ تَبْتَغِيكَ كَمَا ... أرسل أهْلُ الوليدِ فى طَلَبه (١)
فَدَلَّهَا الحُبُّ فَاشْتَفيت كما ... تَشفِي دماءُ الملوكِ من كَلَبِهِ (٢)
سَقْيًا لِحُلوانَ ذِى الكُرومِ وما ... صُنِّفَ من تينه ومن عِنَبه
نخل مواقِيرُ بالفِناءِ من الـ ... ـبَرْنِيِّ غُلْبٌ يهتَزُّ فى شَرَبه (٣)
أسْوَدُ سُكّانه الحَمَام فما ... تَنْفَكُّ غِربانُه على رُطَبِه
لِتَهْنِه مصرُ والعراقُ وما ... بالشأم من بَزِّه ومن ذَهَبه (٤)
فيهم بَهاءٌ اذا أتيتَهُمُ ... ونائل لا يَغِيضُ من حَلَبِه (٥)
أثْنِ على الطَّيِّبِ ابن ليلى اذا ... أثْنَيْتَ فى دينه وفى حَسَبه (٦)
من يَصدُقُ الوعدَ والقتالَ ويخـ ... ـشى الله فى حِلْمِه وفى غَضَبِه (٧)
ومَن تُفيض الندى يداه ومَن ... يَنْتَهِبُ الحمدَ عندَ مُنتَهَبِه (٨)
أُمُّكَ بيضاءُ من قُضاعةَ فى الـ ... ـبيتِ الذى يُستظَلُّ فى طُنُبِه (٩)

---

(١) حلوان مصر هى المرادة هنا . تبتغيك : تطلبك . الوليد : الصبي .

(٢) الكلب : داء عضة الكلب يشفى بدماء الملوك فى زعمهم .

(٣) مواقير : جمع موقر . النخلة الثقيلة الحمل . البرنى : التمر . غلب جمع غلباء : الحديقة المتكاثفة . الشرب حوض صغير حول النخلة يسع ريها .

(٤) تهنه : تسره . البز : الثياب ؛ من الكتان والقطن .

(٥) بهاء : حسن وظرف . نائل : عطاء . يغيض : ينقص . حلب : لبن محلوب أو استخراج ما فى الضرع . والمراد العطاء الدائم .

(٦) ابن ليلى : الممدوح . الحسب : الشرف .

(٧) يصدق القتال : يظهر بسالة فيه . (٨) ينتهب الحمد : يسبق اليه .

(٩) قبيلة عظيمة تنسب الى قحطان أحيانا والى عدنان أخرى . الطنب : حبل يشد به سرادق البيت والمراد يحتمي به .

وأنتَ فى الجوهرِ المهذَّب من ... عَبـدِ منافٍ، يداكَ فى سَبَبه (١)
يَخْلُفُكَ البيضُ من بَنِيـكَ كما ... يُخلِف عودُ النُّضارِ فى شُـعَبِه (٢)
لَيْسُوا من الخروعِ الضَّعيفِ كما ... جَلَّت صُقُورُ الصُّلَيبِ من حَدَبِه (٣)
نحنُ على بيعـةِ الرسولِ وما ... أعطَى مِن عُجمِـه ومِن عَرَبِه (٤)
بهـا نُصِرنَا على العـدُو ونَرْ ... عَى الغيبَ فى نأيِهِ وفى قُربِه (٥)
نأتِى اذا ما دَعوتَ فى الحَلَقِ الـ ... ـمَاذِى أبـدانه وفى جُبَبِـه (٦)
نُهدى رِعالًا أمامَ أرعَنَ لا ... يُعرفُ وجهُ البَلْقاءِ فى لَجَبِـه (٧)
فيهـم كُرَيبٌ يقـودُ حـيرَلا ... يَعدِلُ أهلُ القضاءِ عن خُطَبِه (٨)
وعارضٌ كالجبالِ من مُضرِ الـ ... ـحمراءِ يَشفِى ذَا العُرِّ من جَرَبِه (٩)
وابنـا نِزارٍ اذا هُمـا اجتمعا ... لم يَتركـا هارباً على هَرَبِه (١٠)

---

(١) الجوهر : الطبيعة والجبلة . عبد مناف أصل بنى أمية . السبب : الحبل .

(٢) النضار : الأثل أو الطويل المستقيم الغصون . الشعب : الغصون .

(٣) الخروع : نبت معروف يعظم قرب المياه . الصليب : جبل . حدبه : أعلاه . تظرت : أى ليسوا مستضعفين فى تذلم قوى . بل هم كالجبل تنظر من قنه الطيور .

(٤) ما أعطى : أى على العهد الذى عاهده جميع الناس عليه .

(٥) نرعى الغيب : نحفظ العهد .

(٦) الحلق : جمع حلقة وهى الدرع . الماذى : الدرع اللينة أو السلاح كله . الجبب جمع جبة : ومى من السنان ما دخل فيه الرمح .

(٧) رعال جمع رعلة : القطعة من الخيل أو البقر . الأرعن : الجيش الكثيف . البلقاء : بلد بالشام . والمراد أننا نجيب دعوتك لما بجيش ضخم يساعدك .

(٨) كريب : يطلق على جماعة من الأشراف والعلماء والمقصود واحد بعينه .

(٩) العارض : الجيش . مضر الحمراء : هو مضر بن نزار أبو قبيلة عدنانية تعرف به . العر : الجرب والمراد الزيغ .

(١٠) ابنا نزار ربيعة ومضر .

وقال من قصيدة يمدح مصعب بن الزبير و يفتخر بقريش :

حبّذا العَيشُ حين قَوْمى جَميعٌ   لم تُفَرِّقْ أمورَها الأهْــواءُ
قبل أن تطمع القبائل فى ملـ   ـك قُريشٍ وتَشمَتَ الأعداء
أيُّها المشتهى فَناءَ قُريشٍ   بِيَــد اللهِ عُمـرُها والفَنـاءُ
إن تُوَدِّع من البِـلادِ قُريشٌ   لا يَكُنْ بعـدَهمْ لِحَيٍّ بَقاء (١)
لو تقفّى وتَترُكُ النـاسَ كانوا   غنمَ الذئبِ غَابَ عنهـا الرِّعاء (٢)
هـل تَرى مِن مُخَلَّدٍ غير أن الـ   ـلهَ يَبقَى وتذهبُ الأشيـاء
يأمُلُ الناسُ فى غدٍ رُغَبَ الدهـ   ـرِ، ألا فى غَدٍ يكون القضاء (٣)
لم نَزَلْ آمنيـنَ يحسُدنا النـا   سُ ويَجرى لنـا بذاك الثَّراءُ (٤)
فَرضينا ، فَمُتْ بِدائك غمّـا   لا تُميتَنَّ غـيرَكَ الأدواءُ
لَو بَكتْ هـذه السماءُ على قو   مٍ كِرامٍ بكت علينـا السماء

* * *

إنمـا مُصعبٌ شهاب من اللـ   ـهِ تجلّتْ عن وجههِ الظَّلْمـاءُ (٥)
مُلكه مُلكُ قُوّة ليس فيــه   جَـبَرُوتٌ ولا بِهِ كِبرِياء
يتّقِى اللهَ فى الأمور وقـد أفـ   ـلَحَ من كان هَمَّهُ الاتِّقاء

* * *

عينُ فابكى على قريش وهل يُر   جَعُ ما فات إن بكيتِ البكاءُ

---

(١) تودع : تهلك . البلاء : الغم والوهن .

(٢) تقفى : تذهب . الرعاء : جمع راع . يقول لو ذهبت قريش كان الناس كالغنم تكون طعمة الذئاب اذا تركها الرعاة .

(٣) رغب الدهر : رغائبه .   (٤) الثراء : الخير .

(٥) الشهاب : الكوكب . تجلت : انكشفت .

مَعْشَرٌ حَتْفُهُـمْ سيوفُ بَنِى العَـ ... ـلاتِ يخشَون أن يضيعَ اللِّواء (١)
تركَ الرأسَ كالثَّغامَةِ مِنِّى ... نَكَبَاتٌ تَسرِى بها الأنْبَـاء (٢)
مِثلُ وقْعِ القَدُومِ حَلَّ بِنَا فالنـ ... ـاسُ ممـا أصابَنَا أخْــلاءُ (٣)
ليسَ لِلهِ حُرمةٌ مثــلُ بَيتٍ ... نحن حُجّابُه عليـه المُــلاء (٤)
خَصَّـــهُ اللهُ بالكرامةِ فالبـا ... دُون والعاكِفُونَ فيـه سواءُ (٥)
حَرَقَتــهُ رِجَال لَخْمٍ وعَــكٌّ ... وجُذامٌ وحِميَــرٌ وصُـــداءُ (٦)
فَبَنَيناهُ بعـــدَ مَا حَرَّقــوهُ ... فاستَوى السَّمكُ واستقلَّ البناء (٧)
كَيفَ نَومِى على الفِراشِ ولَـمَّا ... يَشْـمل الشَّامَ غارةٌ شَـعْوَاءُ (٨)
تُذهِلُ الشيخَ عن بَنيـهِ وتُبدِى ... عن بُراها العقيلةُ العَذْراء (٩)

---

(١) الحتف : الموت . بنو العلات : الأقارب . والأصل فيهم بنو أمهات شتى من أب واحد . يقول : إن قريشا منقسمة على أنفسها فى سبيل الملك ، فمن هلك منها فبيد بنيها .

(٢) الثغامة : شجرة بيضاء الزهر ، أى أشيب . تسرى : تسير ليلا .

(٣) أخلاء جمع خلو : أى خال أى ليس عليهم وزر فيما نحن فيه من شقاق .

(٤) الحرمة : المهابة والذمة وما لا يحل انتهاكه . الملاء جمع ملاءة : الريطة والثوب يلبس على الأفخاذ .

(٥) العاكف : المقيم فى المسجد . البادى : من هو خارجه ، والمراد من فى مكة وخارجها .

(٦) لخم وجذام وصداء وحمير من اليمن وعك من نزار .

(٧) السمك : السقف والقامة من كل شىء طويل مخين . استقل : ارتفع .

(٨) غارة شعواء : حملة متفرقة ، يقصد حرب الأمويين وكانت دمشق الشام حاضرتهم .

(٩) تذهل : تنسى . البرى : حلقات السوار والقرط والخلخال ، المفرد برة . العقيلة : الكريمة المخدرة من النساء . العذراء : البكر . ولا تسفر البكر إلا وقت الهول والفزع .

أَنَا عنكمْ بَنِي أُمَيَّـةَ مُزْوَرٌ ، وأنتمْ فى نفسِيَ الأعـداء (١)
إنّ قَتْلَى بالطَّفِ قـد أوجعَتْنِي كان منكمْ لئن قُتِلْتُمْ شِفاء (٢)

وقال يمدح عبد الملك بن مروان :

عَادَ لَهُ مِن كَثيرةَ الطَّـرَبُ فَعينُـه بالدُّموعِ تَنْسكِبُ (٣)
كُوفِيَّـةٌ نازِحٌ مَحَلَّتُهَـا لَا أَمَمٌ دَارُها ولا صَـقَبُ (٤)
واللهِ ما إنْ صَبَتْ إلَيَّ ، ولا يُعْـلَمُ بيْـنِي وبيْنَهـا سبَبُ (٥)
إلّا الذى أَوْرثَتْ كَثيرةُ فِي الْـ قَلْبِ ، وللْحُبِّ سَـوْرةٌ عَجَبُ (٦)
لا باركَ اللهُ فى الْغَـوَانى فَمَـا يُصْبِحْنَ إلا لَهُنَّ مُطَّلَبُ (٧)
أَبْصَرْنَ شَيْبًا عَلَا الذُّؤَابَةَ فى الرَّ أْسِ حـدِيثًـا كأنه الْعَطَبُ (٨)
فَهُنَّ يُنْكِرْنَ مَا رأَيْنَ ، وَلَا يُعْـرَفُ لِي فى لِدَاتِيَ اللَّعِبُ (٩)
ما ضَـرَّهَا لو غدا بِحَاجتنا غَادٍ كَرِيمٌ أو زائرٌ جُنُبُ (١٠)

---

(١) مزور : مائل وكاره .

(٢) الطف : موضع قرب مكة دار فيه القتال بين بنى أمية وآل الزبيريين وترى فى الأبيات حدبه على قريش عامة وكرهه بنى أمية وذلك قبل استقرار الحكومة فيهم .

(٣) كثيرة : امرأة آوت الشاعر بالكوفة حين أهدر الخليفة دمه . تنسكب : تسيل .

(٤) نازح محلتها : بعيد منزلها . أمم : قريبة . صقب : مجاورة .

(٥) صبت : حنت . سبب : صلة .

(٦) سورة : حدة . (٧) مطلب : مطلب وحاجة .

(٨) الذؤابة : الناصية : شعر مقدم الرأس . العطب : الهلاك .

(٩) ينكرن : يعبن . لداتى : أقرانى ، جمع لدة .

(١٠) غاد : مبكر . جنب : غريب أو صاحب سفر — يريد ما يضرها لو زرتها .

لم يأتِ عن ريبـــةٍ وأجْشَمَه الـ ... حبُّ فأمسى وقلبـــه وَصِبُ (١)
يا حبَّـــذا يـــثْربُ ولذَّتُهـــا ... من قبـــلِ أنْ يَهْلِكوا ويحْتَرِبوا (٢)
وقبْـــل أنْ يخرُجَ الذين لَهُمْ ... فيهـــا السَّـــنَاءُ العظيمُ والحَسَب (٣)
بَغَتْ عليهـــمْ بِهـــا عشـــيرتُهُمْ ... فَعوجِلُوا بالجَـــزاء واطُّلِبُـــوا (٤)

(١٤) قَطرىّ بن الفُجاءة (٥)

قال فى الحماسة :

لا يَركَنَـــنْ أحدٌ إلى الإحْجَام ... يومَ الوَغَى مُتَخوِّفا لِحِمامِ (٦)
فَلَقَـــد أرانى للرِّماح دَرِيئَـــةً ... مِنْ عَنْ يَمينِى مَرَّةً وأَمَامِى (٧)
حتى خَضَبْتُ بمـــا تَحَدَّرَ مِنْ دَمِى ... أكْنَافَ سَرْجِى أو عنَانَ لِجَامِى (٨)

---

(١) ريبة : تهمة . أجشمه : كلفه الأصب . وصب : مريض .

(٢) يثرب : المدينة . يحتربوا : يتحاربوا ، والضمير يعود على حزب ابن الزبير والذين حاربوهم من الأمويين ، وكان الشاعر زبيريا أكثر حياته .

(٣) السناء : الرفعة . الحسب : الشرف .

(٤) بغت : عدت . اطلبوا : أخذوا .

(٥) هو قطرى بن الفجاءة المازنى من زعماء الخوارج الشعراء والخطباء ، قضى مدة طويلة فى حرب مع الأمويين حتى قتل بطبرستان سنة ٧٩ هـ .

(٦) الإحجام : . الوغى : الحرب . الحمام : الموت .

(٧) الدريئة : الحلقة يتعلم الرمى عليها .

(٨) تحدر : سال . أكناف ، جمع كنف : الجانب ، العنان : سير اللجام .

ثم آنصرفتُ، وقد أصبْتُ ولم أُصَبْ ... جَذَعَ البَصيرةِ قارِحَ الإقدامِ (١)

وقال :

أقولُ لها وقد طارَتْ شَعاعًا ... من الأبطالِ : وَيْحَكِ! لن تُراعى (٢)

فإنكِ لو سألتِ بقاءَ يومٍ ... على الأَجَلِ الذى لكِ لم تُطاعى (٣)

فصَبْرًا فى مَجالِ الموت صَبْرًا ... فما نيلُ الخلودِ بمُستَطاعِ (٤)

ولا ثوْبُ البقاءِ بثَوْب عِزٍّ ... فيُطوَى عن أخى الخَنْعِ اليَراعِ (٥)

سبيلُ الموت غايةُ كلِّ حىٍّ ... فداعيهِ لأهلِ الأرضِ داعِ (٦)

ومن لا يُعتَبَطْ يَسأمْ ويهرمْ ... وتُسلِمْه المَنُونُ الى انقِطاعِ (٧)

وما للمرءِ خيرٌ فى حَياةٍ ... إذا ما عُدَّ من سَقَطِ المَتاعِ (٨)

---

(١) جذع : شاب . البصيرة : العقل والفطنة والحجة . القارح من ذى الحافر : ماشق نابه وطلع ، والمراد القوى .

(٢) لها : لنفسه . طارت شعاعا : تبددت من الخوف . ويحك ! : رحمة لك منصوبة باضمار فعل . تراعى : تفزعى .

(٣) الأجل : غاية العمر .

(٤) مجال الموت : ميدانه .

(٥) الخنع : اللين ، وبالضم الذل . اليراع : الجبان .

(٦) داعى الموت : سببه من فناء العمر .

(٧) يعتبط : يموت شابا . تسلم : تترك .

(٨) سقط المتاع : رديئه .

(١٥) وقال عمران بن حطّان (١) أحد شعراء الخوارج يخاطب روح بن زنباع لمـا دعاه لمقاتلة عبدالملك بن مروان، فارتحل تاركًا له هذه الأبيات.

يا رَوْحُ كم مِن أخى مَثْوًى نزلتُ به — قد ظَنّ ظَنّك من لَخمٍ وغَسّانِ (٢)
حتى إذا خِفتُــه فارقتُ مــنزلَه — من بعدِ ما قيلَ : عِمرانُ بن حِطّان! (٣)
قد كنتُ جارَك حولًا ما تُروّعُني — فيــهِ روائعُ من إنسٍ ومن جانِ (٤)
حتى أردتَ بىَ العُظمى فأدركني — ما أدركَ الناسَ من خوفِ ابنِ مَرْوانِ (٥)
فاعذِر أخاكَ (ابنَ زِنبـاعٍ) فإنّ لَه — فى النّائبات خُطــوبا ذاتَ ألوانِ (٦)
يومًا يَمانٍ إذا لاقيتُ ذا يَمَنٍ — وإن لَقيتُ مَعَــدِّيًا فَعَــدْنانى (٧)
لو كنت مستغفرًا يوما لطاغيــةٍ — كنتَ المقدّمَ فى سِرّى وإعلانى (٨)
لكنْ أبتْ لِىَ آياتٌ مُطَهّــرةٌ — عنــدَ الوِلاية فى طــهَ وعِمرانِ (٩)

(١) نشأ عمران بن حطان السدوسى بالبصرة حيث تعلم وتأدب، وأصبح شاعرا مجيـدا صادقا فى شعره دينا وورعا . ثم اعتنق مذهب الشراة من الخوارج فطارده الحكام . وأخذ ينتقل بين العراق والشام وعمان متخفيا حتى مات بالكوفة سنة ٨٩هـ . ولشعره منزلة سامية لصدق الشعور وحسن الأداء وقوة العقيدة .

(٢) المثوى : منزل الضيافة . أخو : صاحب . ظن ظنك : رأى فى رأيك من أنى رجل هين . لخم وغسان من اليمن من كهلان .

(٣) أى من بعد ما عرفته حقيقتى تركته . (٤) تروعنى : تفزعنى .

(٥) العظمى : لقاء عبد الملك بن مروان الخليفة الأموى . وكان حربا على الخوارج .

(٦) الخطوب : جمع خطب، الأمر العظيم .

(٧) يمان : أى أنا يمان أنتسب الى اليمن . وكان عمران أثناء هربه ينتسب لمن ينزل به مما يلائمه فهو عند ابن زنباع أزدى، وعند زفر بن الحارث أوزاعى . (٨) الطاغية : الجبار .

(٩) أبت : منعتنى الاستغفار لك . آيات جمع آية : كلام من القرآن منفصل بفاصل لفظى . الولاية : السياسة . طه وعمران : سورتان فى القرآن . وكان الخوارج يعتقدون أن غيرهم على ضلال .

وقال يخاطب زُفَر بن الحارث الكلابى، وكان قد نزل به بعد روح بن زِنباع مُخفيا نسبه؛ فلما حاول زفر معرفته هرب وخلّف له رُقعة فيها :

إنّ التى أصبحَتْ يَعيَا بها زُفَرٌ ... أَعْيَتْ عَياءً على رَوحِ بنِ زِنباعِ (١)

ما زالَ يَسألُنى حَولًا لِأُخبرَه ... والناسُ من بَينِ مخدُوعٍ وَخَدّاعِ (٢)

حتى إذا انقطَعَتْ عَنِّى وسائلُه ... كَفَّ السؤالَ ولم يُولَع بإهلاعِ (٣)

فاكفُف كما كفَّ عنى إنّنى رَجُل: ... إمّا صَميمٌ، وإما فَقْعَةُ القَاعِ (٤)

واكفُف لسانَكَ عَنْ لَومِى ومسألَتى ... ماذا تُريد إلى شيخٍ لأَوْزَاعِ! (٥)

أما الصلاةُ فإنى غيرُ تارِكِها ... كُلُّ امرئٍ للذى يُعنَى به ساعِ (٦)

أكرِم برَوحِ بنِ زِنباعٍ وأُسرتِهِ ... قومٌ دعا أَوّلِيهِم للعُلا دَاعِ (٧)

جَاوَرْتُهمْ سَنةً فيما أُسَرُّ به ... عِرضِى صحيحٌ ونَومى غيرُ تَهْجَاعِ (٨)

فاعمَلْ؛ فإنك مَنْعِيٌّ بِواحدةٍ ... حَسبُ اللبيبِ بهذا الشيبِ من نَاعِ (٩)

---

(١) يعيا بها : يعجز عنها . أعيت عليه : أعجزته . والمراد معرفة ذاته .

(٢) مخدوع : مصدق ما أقول . خداع : ماكر محتال .

(٣) الوسائل جمع وسيلة : السبب . يولع بالشيء : يحبه و يتعلق به جدا . إهلاعى : إفزاعى .

(٤) صميم : خالص النسب الى قومه . القفعة : الكمأة البيضاء لاعروق لها ولا أغصان . القاع : أرض سهلة . فقعة القاع : لا أصل له .

(٥) الأوزاع : الجماعات . وبطن من همدان

(٦) يعنى به : يهتم به .

(٧) أوليهم جمع أول : أى آباءهم، فهم أمجاد .

(٨) فيما أسر به : من الأنس والكرم . تهجاع : نوم خفيف .

(٩) منعى : مخبر بوفاتك . حسب : يكفى . ناع : هو . هذا : فاعل . الشيب : بدل .

وقال يرثى أبا بلال مِرداس بن أُدَيّة من الخوارج :

لقـد زادَ الحيـاةَ إلىّ بُغْضـا ... وحُبًّـا للخُـروج أبُو بِـلال (١)

أحاذِرُ أن أَمـوتَ على فِراشى ... وأرجُو الموتَ تحت ذَرَا العَوالى (٢)

ولو أنِّى علِمتُ بأنّ حَتْـفِى ... كحَتْـفِ أبى بـلالٍ لم أُبالِ (٣)

فمَن يَكُ هَمُّهُ الدنيـا فإنِّى ... لهـا واللهِ ربِّ البيت قالِى (٤)

وقال فيه أيضا :

ياعينُ بَكِّى لِمِرْداسٍ ومَصرَعِهِ ... يَاربَّ مِرداسٍ آجعلنِى كمرداسِ (٥)

تركْتَنِى هائمـا أبكى لِمـرزِئَتى ... فى مَنزِلٍ مُوحِشٍ من بَعدِ إيناسِ (٦)

أنكرتُ بعدَك ما قد كنتُ أعرِفُهُ ... ما الناسُ بعدكَ يامِرداسُ بِالناسِ (٧)

---

(١) الخروج : الانضمام الى الخوارج فى القتال .

(٢) ذرا : ظل . العوالى : جمع عالية ، أعلى القناة .

(٣) الحتف : الموت .

(٤) قال : كاره .

(٥) المصرع : الطرح على الأرض ، يقصد قتله .

(٦) هائما : حائرا . المرزئة : المصيبة العظيمة .

(٧) أنكرت الشىء : أبغضته لأنه تغير الى حال سيئة .

إمّا شَرِبْتَ بكأسٍ دارَ أوّلُها ، على القُرونِ فذاقُوا جُرْعةَ الكأسِ (١)
فَكُلُّ من لم يَذُقْها شارِبٌ عجِلًا منها بأنفاسِ وِرْدٍ بعدَ أنفاسِ (٢)

(١٦) قال الطِّرِمّاح بن حَكيم من الخوارج : (٣)

وإنّي لمُقْتادٌ جَوادي وقاذِفٌ به وبِنفْسي العامَ إحدَى المَقاذِفِ (٤)
لِأَكسِبَ مالًا أوأَؤُولَ إلى غِنًى من اللهِ يَكفيني عُداةَ الخَلائفِ (٥)
فيارَبِّ إن حَانتْ وَفاتِي فلا تكُنْ علَى شَرْجَعٍ يُعْلَى بخُضْرِ المطارِفِ (٦)
ولكنّ قبْري بَطنُ نَسْرٍ مَقِيلُه بِجوِّ السماءِ في نُسورٍ عَواكِفِ (٧)
وأُمسِي شهيدًا ثاوِيًا في عِصابةٍ يُصابُون في فجٍّ من الأرضِ خائفِ (٨)

---

(١) جرعة : بلعة . إما مركبة من أن الشرطية وما الزائدة ، والبيت التالى دليل الجواب أى فلا تحزن .

(٢) أنفاس : جمع نفس . الورد : الماء الذى يورد والمقصود الموت .

(٣) الطرماح بن حكيم الطائى شامى النشأة يجيد الفخر والمدح ، ورد الكوفة فى جيوش الشام ، واتصل بأحد الشراة من الخوارج ، فدعاه هذا الى مذهبه حتى اعتقده أشدّ اعتقاد وأصحه ومات خارجيا سنة ١٠٠ هـ .

(٤) مقتاد : قائد . قاذف : رام . المقاذف : الأماكن البعيدة .

(٥) أؤول : أصير . عداة : جمع عاد وهو العدوّ . الخلائف : جمع خليفة . وكان خلفاء بنى أمية حربا على الخوارج .

(٦) حانت : قربت . الشرجع : السرير أو النعش . المطارف : جمع مطرف : رداء من خزمربع ذو أعلام .

(٧) مقيله : موضع قيلولته . عكفت الطير حول القتيل : استدارت .

(٨) ثاويا : مقيما . العصابة : الجماعة من الرجال أو الخيل أو الطير . الفج : الطريق الواسع بين جبلين . خائف : راق أو مخوف .

(١٧) قال الكُميت فى بَنى هَاشم : (١)

طَرِبتُ وما شوقًا الى البيضِ أطرَبُ ... ولا لَعِبًا مِنّى وذو الشَّيبِ يَلْعَبُ؟ (٢)

ولم يُلهِنِى دارٌ ولا رَسمُ مَنزلٍ ... ولم يَتَطرَّبنِى بنَانٌ مُخَضَّبُ (٣)

ولا أنا مِمّن يَزجُرُ الطيرَ همُّه : ... أَصاحَ غُراب أم تَعَرَّض ثَعلب (٤)

ولا السانِحاتُ البارِحاتُ عَشِيّةً ... أَمَرَّ سَلِيمُ القَرنِ أم مرّ أَعْضَبُ (٥)

ولكن إلى أهلِ الفَضائِلِ والنُّهى ... وخيرِ بَنِى حَوَّاءَ، والخيرُ يُطلَبُ (٦)

إلى النَّفرِ البيضِ الذين بِحُبهم ... إلى اللهِ فيما نَالَنِى أَتقَرَّبُ (٧)

بَنى هَاشِم رهطِ النبى ؛ فإنّنى ... بِهِم وَلَهُم أَرضَى مِرارًا وأغضَبُ (٨)

(١) كان الكميت بن زيد الأسدى شاعرا خطيبا نشأ فى الكوفة وتأدب على علمائها وأخذ عن الأعراب وعالج الشعر حتى نبه شأنه واتصل بالولاة والهاشميين يمدحهم وينال جوائزهم . وقد لقى فى سبيل مذهبه الشيعى والعدنانى بلاء كثيرا وتوفى سنة ١٢٦ ه . وتلمح فى شعر الكميت آثار الحفظ الكثير لأشعار سابقيه مع صبك حسن وإخلاص لرأيه حتى أثار الفتنة بين عدنان وقحطان وفتح للشيعة طريق مناظرة خصومهم بالشعر كما ترى ذلك فى هذه القصيدة التى نشرحها .

(٢) البيض : جمع بيضاء يريد النساء . اللعب : العبث .

(٣) رسم : أثر . يتطربنى : يحملنى على الطرب .

(٤) الزجر : الاستدلال بأصوات الحيوان وحركاته وأحواله على الحوادث المستقبلة .

(٥) السانحات جمع سانح : الطير يمر من اليسار الى اليمين وهذا فأل حسن عند العرب . البارحات : عكس السانحات . الأعضب : المكسور القرن . يقول فيما سبق : ليست تعنينى هذه الأمور التى تشغل الناس والشعراء وإنما هى أهل الفضائل الخ .

(٦) النهى جمع نهية : العقل .

(٧) البيض : المشهورون من الأشراف .

(٨) الرهط : القوم والقبيله .

خفضتُ لهم منّى جناحَىْ مودّةٍ إلى كَنَفٍ عِطفاهُ أهلٌ ومرحبُ(١)
وكنتُ لهم من هؤلاءِ وهؤلا مِجَنًّا على أنّى أُذَمّ وأُقصَبُ(٢)
وأُرمَى وأَرمِى بالعداوةِ أهلَها وإنى لأُوذَى فيهمُ وأُؤنَّبُ
فما ساءنى قول امرئٍ ذى عداوةٍ بِعوراءَ فيهمْ يَجتَدِينى فأَجذبُ(٣)
فقُل للذى فى ظِلِّ عمياءَ جَونةٍ: ترى الجَور عدلا أينَ (لا أينَ) تذهبُ!(٤)
بأىِّ كتابٍ أم بأيةِ سُنّةٍ ترى حُبَّهُم عاراً علىَّ وتحسبُ؟(٥)

* * *

يُشيرون بالأيدى إلىَّ وقولُهم: ألا خابَ هذا، والمشيرون أخيَبُ
فطائفةٌ قد كفّرتْنى بحُبّكُمْ وطائفةٌ قالوا: مُسِىءٌ ومُذنِب
فما ساءَنى تكفيرُ هاتيكَ منهم ولا عيبُ هاتيكَ التى هىَ أعيَبُ
يعيبوننى من خِبّهم وضلالِهم على حُبّكُمْ بل يَسخَرون وأَعجَبُ(٦)
وقالوا: تُرابِىٌّ هَواهُ ورأيُه، بذلك أُدعى فيهمُ وأُلَقَّبُ(٧)
على ذاكَ إجريّاىَ، فيكم ضَريبتى ولو جمعوا طُرًّا علىَّ وأجلَبوا(٨)

---

(١) الكنف: الجانب والظل. عطفاه: جانباه، أى أهل لى مرحبون بى.
(٢) المجن: الترس وما يتقى به. أقصب: أشتم.
(٣) العوراء: الكلمة أو الفعلة القبيحة. يجتدينى: يطلب منى اتباعه.
(٤) عمياء: ضلالة. جونة: سوداء.
(٥) كتاب: قرآن. سنة: كلام الرسول، والمراد بأى حق.
(٦) الخب: الخبث.
(٧) ترابى نسبة الى على بن أبى طالب الملقب بأبى تراب
(٨) اجرياى: خلق. طبيعتى: ستى. ضريبتى: طبيعتى. أجلبوا: جمعوا الجموع أو توعدوا بالشر.

وأحمِلُ أحقادَ الأقارب فيكمُ ... ويُنصَبُ لِي فى الأَبعدين فأنصَبُ(١)

بخاتمكم غصبًا تجوزُ أمورُهم ... فلم أر غصبًا مثلَه يتغصَّبُ(٢)

بحقكُمُ أمست قُريشٌ تقُودنا ... وبالفَذِّ منها والرديفَين تركَبُ(٣)

إذا اتَّضعونا كارهين لبيعةٍ ... أناخُوا لأخرى والأزِمَّةُ تُجذَبُ(٤)

رِدافًا علينا لم يُسيمُوا رَعيَّةً ... وهمُّهمُ أن يمتَرُوها فيَحلُبوا(٥)

لِيَنتِجوها فِتنةً بعد فِتنةٍ ... فيفتَعِلُوا أفلاءَها ثم يَركبوا(٦)

أقارِبُنا الأدنَون منكم لعلَّةٍ ... وساستُنا منهم ضِباع وأذؤُبُ(٧)

لنَا قائدٌ منهم عَنيفٌ وسائقٌ ... يُقَحِّمُنا تلكَ الجرائمَ مُتعِبُ(٨)

---

(١) نصب له : عاداه وحاربه .

(٢) الخاتم : مايختم به الملك أو سواه . تجوز : تسير وتنفذ يتغصب : يغتصب . يقول : إنهم يحكمون الناس بحكم الذى استلبوه .

(٣) الفذ : الفرد وأول سهام الميسر . الرديفان : مثنى رديف وهو كل ما تبع شيئا أو الراكب خلف الراكب . والمعنى أنها تحكم مطمئنة وإن كانت دخيلة فى الحكم بلا حق .

(٤) اتضعونا : حكمونا وأصله اتضع البعير خفض رأسه ليضع قدمه على عنقه فيركب . أناخوا لأخرى : دبروا لمسألة أخرى . الأزمة : جمع زمام . والمعنى والأمور تسير .

(٥) ردافا : متتابعين . يسيم الماشية : يخرجها إلى المرعى . يمترى الناقة : يمسح ضرعها لتدر . والمعنى أنهم (بنى أمية) يحكمون الناس لينعموا بخيرات الملك دون أن يعنوا بصالح الرعية .

(٦) نتج الفرس : ولي نتاجها حتى تضع . افلاء جمع فلو : الجحش أو المهر الصغير . افتعل : اختلق . والمعنى انهم يدبرون الفتن ليحكموا .

(٧) أذؤب جمع ذئب .

(٨) يقحم الفرس راكبه : يرميه فى وجهه [illegible] : أدخله فيه من غير روية . الجرائم جمع جريمة . وهى الأصل أو قرية [illegible] . متعب : صفة سائق (خليفة) .

وقالوا : ورِثنَاها أبانا وأمَّنـا ، وَمَا ورَّثتهـمْ ذاك أُمٌّ ولا أبُ ! (١)
يَرون لهم حَقًّا على النـاسِ واجبـا سَـفاهًا ، وحقُّ الهاشميِّين أوجَبُ (٢)

(١٨) قال جَميل بنُ مَعْمَر (٣) :

ألا ليْت أيامَ الصـفاءِ جَـديدُ ودَهْرًا تولى يا بُثَيْنَ يعـود
فنغنَى كما كُنّا نكونُ وأنتمُ صـديقٌ وإذ ما تبذُلين زهيـدُ (٤)
وما أنسَ مِ الأشياءِ لا أنْسَ قَوْلَهَا وقـد قرَّبَتْ نِضوِي أمِصرَ تُرِيدُ؟ (٥)
ولا قولَهـا : لولا العُيونُ التي تَرَى أتيتُكَ ، فاعذِرْني . فَدَتْكَ جُدُودُ ! (٦)
خليلَيَّ ما أُخْفِي من الوجْدِ ظاهِرٌ ودَمعي بمـا أُخفِي الغَداةَ شَهيـدُ (٧)
ألا قد أرَى واللهِ أنْ رُبَّ عَبْرَةٍ إذَا الدَّارُ شَـطَّتْ بَيْنَنـا سَتَزِيدُ (٨)

---

(١) ورثناها : أى الخلافة . (٢) سفاها : جهلا و باطلا

(٣) يعد جميل بن عبد الله بن معمر العذرى مثال الغزل البدوى العفيف ، نشأ فى البادية وأحب ابنة عمه بثينة ، وعرف بها ، وقال فيها شعرا كثيرا يدل على شعور صادق وحب عفيف طاهر . وقد لقى فى سبيل حبه العنت والنفى حتى لجأ الى مصر أيام ولاية عبد العزيز بن مروان حيث مات سنة ٨٢ هـ وشعر جميل حسن الأسلوب يجمع بين السهولة والرصانة و يعده النقاد فى البادية نظير عمر بن أبى ربيعة فى الحاضرة وكلاهما حجازى خضعا لعوامل متقاربة .

(٤) نغنى : نقيم . نكون : نوجد . ما تبذلين : أى ما تنيلين من الوصل .

(٥) مِ الأشياء : من الأشياء . النضو : المهزول من الحيوان : يريد ناقته . يقول مهما أنس من شىء فلست أنسى قولها لى وقد قربت ناقتى أتريد مصر .

(٦) الجدود جمع جد بالفتح : وهو أبو الأب تدعو له بالسلامة وتفتديه بالأهل .

(٧) الوجد : الحب الشديد . الغداة : ما بين الفجر وطلوع الشمس .

(٨) العبرة : الدمعة أو الحزن من غير بكاء . شطت : بعدت . أى سيكثر بكائى إذا افترقنا . ستزيد خبر عبرة والجملة خبر أن المخففة .

إذا قُلتُ : مَابِي يا بُثَيْنَــةُ قاتِلِي ... من الحُبِّ ! قالتْ : ثابِتٌ ويَزِيدُ ! (١)

وإنْ قُلْتُ : رُدِّي بعضَ عقْلِي أَعِشْ بِهِ ... مع الناس ، قالت : ذاكَ منك بَعِيدُ

فلا أنا مَرْدُودٌ بمـا جِئْتُ طالِبًا ... ولا حُبُّهـا فِيمَا يَبِيــدُ يَبِيــدُ (٢)

جَزَتْكِ الجَوازِي يا بُثَيْنَ مَلامَةً ... إذا ما خَلِيـلٌ بَانَ وهُوَ حَمِيــدُ ! (٣)

وقُلتُ لهـا : بَيْنِي و بَيْنَكِ فاعْلَمِي ... من الله مِيثاقٌ لَهُ وعُهُـودُ

وقــد كان حُبِّيكُمْ طَرِيفًـا وتَالِدًا ... وما الحُبُّ إلا طارِفٌ وتَلِيدُ (٤)

و إنَّ عَرُوضَ الوصلِ بيني و بَيْنَهَا ... و إنْ سَهَّلَتْــه بالمُنَى لَصَعُودُ (٥)

فأفنيتُ عَيْشِي بانتظارِي نَوَالَهـا ... وأَبْلَيْتُ ذاكَ الدَّهرَ وهْوَ جَدِيدُ

* * *

أَلَا لَيْتَ شِـعْرِي هل أَبِيتَنَّ ليلةً ... بِوادِي القُـرَى إِنِّي إذًا لَسَـعِيدُ (٦)

وهل أَهْبِطَنْ أرضًا تَظَلُّ رِياحُهَا ... لهـا بالثَّنَايا القَاوِيات وَئِيــدُ (٧)

---

(١) أى إذا قلت لها إن الحب سيقتلني قالت : إنه باق ، وسيزيد أيضا

(٢) أى فلم أنل ما طلبت من بعض عقلى ولا الحب يفنى لأستريح .

(٣) الجوازى : جمع جازية وهى المكافئة . يقول : اذا جوزى الأحبة بالثناء عليهم وقت الفراق فليس لك فى نفسى الا العتب واللوم والبيت فى الأصل جملة دعائية

(٤) الطريف : الجديد ، وضده التليد .

(٥) العروض : الطريق فى عرض الجبل . صعود : مرتفع . والمعنى أن الوصل صعب المنال مهما تسهله بالوعود .

(٦) وادى القرى : بالحجاز شمالى المدينة . ليت شعرى : أى ليتنى أعرف ، جواب هذا الاستفهام المذكور بعد . يتمنى المبيت بهذا الوادى حيث كان يقيم الأحبة .

(٧) الثنايا جمع ثنية : وهى طريق فى الجبل أو الجبل نفسه . القاويات : الخاليات . وئيد : صوت شديد . أى هل أحيا ثانية فى تلك الأرض الخالية التى تعرف فيها الرياح حيث كنت أعيش ناعما بالهوى العذرى .

وهل أَلْقَيَنْ سُعْدَى من الدَّهرِ مرّةً ... وما رَثَّ من حبل الصَّفاءِ جَدِيد (١)
وقد تَلْتَقِي الأهواءُ من بعـد يأسةٍ ... وقد تُطْلَبُ الحاجاتُ وهي بَعِيدُ
وهـل أزجُرَنْ حَرْفًا عَلاةً شِمِـلَّةً ... بِخَرقٍ تُبارِيهـا سَـوَاهِمُ سُـودُ (٢)
على ظَهْر مَرْهوبٍ كأن نُشُـوزَهُ ... إذا جازَ هُـلَّاكُ الطريق رُقُـودُ (٣)
سَبَتْنِي بِعَيْنَيْ جُؤْذُرٍ وسْطَ رَبْرَب ... وصَـدْرٍ كفاثُور اللُّجَيْن وجِيـدُ (٤)
فمن يُعْطَ في الدُّنيا قَرِينًا كَمِثْلِها ... فذلك في عَيْش الحياةِ رَشِـيدُ (٥)
يموت الهَوَى مِنِّي إذا ما لَقِيتُهـا ... ويحيـا إذا فارقْتُهـا فَيَعُـودُ
يقولون: جاهِـدْ يا جميلُ بِغَزْوَةٍ ... وأيَّ جِهـادٍ غيرهُنَّ أُرِيدُ؟
لكُلِّ حديثٍ بَيْنَهُنَّ بَشَاشَـةٌ ... وكُلُّ قتيـلٍ بينهُنَّ شَهِيـدُ (٦)
ومن كان في حُبِّي بُثَيْنَةَ يَمْتَرِي ... فبَرْقاءُ ذِي ضَـالٍ عَلَيَّ شَهِيدُ (٧)
ألم تَعْلَمِي يا أُمَّ ذِي الوَدْعِ أنَّنِي ... أُضاحِكُ ذِكْراكُمْ وأنْتِ صَـلُودُ (٨)

---

(١) رث : بلى . ما مبتدأ خبره جديد .

(٢) أزجر الناقة : أصيح بها لتسرع . الحرف : الناقة الضامرة أو المهزولة أو العظيمة . العلاة . الناقة الطويلة . والشملة : السريعة . الخرق : القفر والأرض الواسعة تخرق فيها الرياح . تباريها : تسابقها . سواهم : جمع ساهمة وهي الناقة الضامرة .

(٣) مرهوب : طريق مخوف . نشوز جمع نشز : المكان المرتفع . رقود : نيام . هلاك الطريق : الذين ضلوه . رقود خبر كأن . (٤) سبتنى : أسرتني . الجؤذر : ولد البقرة الوحشية . الربرب : القطيع من بقر الوحش . الفاثور : الطست والجفنة . اللجين : الفضة . الجيد : العنق وهو بالرفع على أنه مبتدأ خبره (لها) محذوف .

(٥) القرين : الصاحب ، والزوج . رشيد : موفق . (٦) بشاشة : سرور وبهجة .

(٧) يمترى : يشك . البرقاء : أرض غليظة ذات حجارة ورمل وطين أو كل شيء فيه سواد وبياض . وبرقاء ذي ضال إحدى برق بلاد العرب ، يتخذ من مواقفه فيها شاهدا على حبه الشديد .

(٨) ذو الودع : طفلها يعلق عليه الودع وقاية ، وهو محار صغير أبيض معروف . صلود : بخيلة .

(١٩) وقال عمر بن أبي ربيعة : [١]

قال لى صاحبي ليَعْـلمَ ما بى: أتُحبُّ القَتُولَ أُختَ الرَّباب؟ [٢]
قلتُ: وجْدى بها كَوجدِك بالعذْ ب إذا ما مُنِعتَ طَعْمَ الشَّراب [٣]
مَنْ رَسُولى الى الثُّرَيَّا بأنّى ضِقتُ ذَرْعا بهجرها؟ والكتّاب! [٤]
أزهَقتْ أُمُّ نوفَـل إذْ دَعَتْهـا مُهجتى، ما لِقاتِلى من مَتَاب [٥]
حين قالت لها: أجيبى! فقالتْ: مَنْ دعانى؟ قالت: أبو الخطّاب [٦]
فأجابت عنـد الدُّعاءِ كما لَبَّ ى رجالٌ يرجون حُسْنَ الثَّواب [٧]
أبْرَزُوها مِثْلَ المَهاةِ تَهادَى بَيْنَ خَمْسٍ كَواعِبٍ أتْراب [٨]

---

(١) ولد أبو الخطاب عمر بن أبي ربيعة القرشي بالمدينة فى بيت ترف ومجد متأثرا بالطبيعة الحجازية الرقيقة وبعوامل سياسية واقتصادية أنضجت الغزل والغناء بالحجاز . فكان عمر غزلا زعيم الغزلين جميعا . يمتاز شعره بسلاسة الأسلوب والافتنان فى الغـزل ولا سيما نوعه القصصى الذى تناول به نساء الأشراف فى مواسم الحج وغيره حتى تأذى به الناس ونفاه عمر بن عبد العزيز لذلك وكانت وفاته سنة ٩٣ هـ .

(٢) القتول : القاتلة . الرباب : جمع ربابة : وهى السحابة البيضاء ، وبها سميت المرأة .

(٣) كوجدك بالعذب الخ : أى كشوقك الى المـاء العذب حين تعطش جدا .

(٤) الثريا بنت على : إحدى صواحبات الشاعر . ضقت ذرعا بهجرها : لا أحتمله . والكتّاب : أيقسم به .

(٥) أزهقت : أهلكت . مهجتى: روحى . (٦) أبو الخطاب : كنية الشاعر .

(٧) أى أجابت إجابة الحاج يبغى الجزاء الجميل .

(٨) المهاة : البقرة الوحشية . تهادى : تمشى متمايلة . الكواعب جمع كاعب : وهى الفتاة الناهدة الثدى . أتراب : جمع ترب ، وهو من ولد معك ، فهو فى سنك .

وهى مَكْنونةٌ تَحَيَّرَ منها | فى أديم الخدَّين ماءُ الشباب (١)
دُميةٌ عندَ راهب ذِى اجتهادِ | صَوَّرُوهَا فى جَانب المحراب (٢)
ثم قالُوا : تُحبُّها؟ قلتُ بَهْرًا ! | عَدَدَ النجم والحصَى والتُّراب ! (٣)
حين شَبَّ القتولَ والجيد منها | حُسنُ لون يَرِفُّ كالزِّرْيَاب (٤)
أذكَرَتني من بَهجةِ الشَّمس لما | طَلَعتْ مِن دُجُنَّةٍ وسَحاب (٥)
فَارْجَحَنَّتْ فى حُسنِ خَلقٍ عَميم | تَتَهادى فى مَشيِها كالحُباب (٦)
غَصَبتْنِي مُجَاجَةُ المِسك عقلِي | فسلُوها مَاذا أحلَّ اغتصابى (٧)
قلَّدُوهَا من القَرَنفُل والدر | رِ سِخاباً واهًا لَه مِن سِخَاب (٨)

***

أَلم تَسأل الأطـلال والمُتَربَّعـا | ببَطنِ حُلَيَّات دَوارسَ بَلقعَا (٩)
إلى الشَّرْيِ من وادِى المُغمَّس بُدِّلَتْ | معالِمُــه وَبْلا ونكباءَ زَعزعا (١٠)

---

(١) مكنونة : مصونة مستورة . تحير : اجتمع وتردد . أديم الخدين : بياضهما أو صفحتهما . ماء الشباب : رونقه و بهجته (٢) الدمية : الصورة البديعة . الراهب : المنقطع للعبادة . المحراب : القبلة أو صدر البيت . (٣) بهرا : حبا قو يا . (٤) شبها : زادفى حسنها ، وأظهر جمالها يرف : يلمع . الزرياب : الذهب . (٥) البهجة : الحسن . الدجنة : الظلمة .

(٦) ارجحنت : مالت واهتزت : عميم : تام . الحباب : الحية . تتهادى : تمايل .

(٧) مجاجة المسك : ينتشر منها أريجه . (٨) السخاب : قلادة من قرنفل وغيره . القرنفل : نبات طيب الرائحة . واها له : عجبا من حسنه على جيدها .

(٩) الاطلال جمع طلل . وهو الشاخص من آثار الديار . المتربع : مكان إقامة الربيع . بطن حليات : موضع يظهر أنه قرب مكة . دوارس جمع دارس : أى زائل . بلقعا : قفرا . دوارس بلقعا حالان من الأطلال والمتربع . (١٠) الشرى : النخيل . المغمس : موضع بطريق الطائف . معالمه : معاهده جمع معلم . الوبل : المطر الشديد . النكباء : ريح انحرفت عن مهب الرياح . زعزعا : شديدة . يقول : تلك الأطلال بناحية هذا الوادى الذى بدلت بمعالمه أمطار ورياح .

فيبخلن أو يُخبرنَ بالعلم بعد ما   نكأْنَ فؤادًا كان قِدمًا مُفَجّعا(١)

بهند وأتراب لهند إذِ الهوَى   جَميعٌ وإذ لم نَخْشَ أن يتصدّعا(٢)

واذ نحن مثلُ الماءِ كان مزاجُه   كما صفّق الساقى الرحيقَ المشَعشَعا(٣)

وإذ لا نُطيعُ العاذلينَ ولا نَرى   لواش لدينا يطلبُ الصَّرمَ مَطمعا(٤)

تُنُوعتنَ حتى عاودَ القلبَ سُقمُه   وحَتّى تذكرتُ الحديثَ المودَّعا(٥)

فقلتُ لمطريهنّ بالحُسنِ : إنما   ضَرَرْتَ ، فهلْ تَسْطيعُ نَفعًا فتَنفعا؟(٦)

وأَشريتَ فاستَشْرَى وإن كان قد صحا   فُؤادٌ بأمثالِ المَها كانَ مُوزَعا(٧)

وهَيّجتَ قلبًا كان قد ودَّع الصِّبا   وأشياعَهُ ، فاشفعْ عسَى أن تُشَفَّعا(٨)

لئن كانَ ماحدَّثتَ حقًّا فما أرى   كمثلِ الأُلَى أطريتَ فى الناسِ أربعَا(٩)

فقالَ : تعالَ انظر . فقلتُ : وكيفَ بِى   أخافُ مُقاما أن يَشيعَ فيَشْنُعا؟(١٠)

---

(١) نكأ الجرح : قشره قبل برئه فندى . مفجعا : موجعا بهند وأترابها .

(٢) جميع : مجتمع . يتصدّع : يتفرّق .

(٣) مزاجه : ما يمزج به . صفق : حول الشراب ممزوجا من إناء الى آخر ليصفو . الرحيق : الخمر أو أفضلها . المشعشع : الممزوج . يقول : كنا ممتزجين امتزاج الماء بالخمر فى الشدّة والصفاء .

(٤) العاذلون جمع عاذل : وهو اللائم . الواشى : النمام . الصرم : القطيعة .

(٥) تنوعتن : تووصفن . أى أن كلا وصفت لصاحبتها ما تراه فيها من المحاسن . سقم القلب : مرضه من الحب . المودّع : الماضى .

(٦) المطرى : المادح المبالغ . ضررت : باذكاء الغرام فى نفسى . النفع هنا : صلته بهنّ .

(٧) أشريت فؤادى : حركته الى الهوى فتحرّك . صحا : ترك الباطل . موزعا : مولعا .

(٨) الصبا : جهلة الفتوة . الأشياع : جمع شيعة بالكسر وهى الفرقة . تشفع : تقبل شفاعتك فيصلنى .

(٩) أربع نسوة : أى لا أجد فى الناس أربع نسوة كاللواتى وصفت جمالا .

(١٠) مقاما : إقامة معهن . يشنع : يقبح .

فقالَ : اكتفِل، ثم التثم، فأْتِ باغيا ... فسلِّم، ولا تُكثر بأن تتورّعا(١)
فإنى سأُخفى العينَ عنكَ فلا تُرى ... مخافةَ أن يَفْشُو الحديثُ فيُسمَعا
فأقبلْتُ أهوِى مثلَ ما قالَ صاحبِى ... لِموعِده أُزجى قَعُودًا مُوَقَّعا(٢)
فلمَّا تواقفْنا، وسلَّمتُ أشرقَتْ ... وُجوهٌ زهاهَا الحسنُ أن تتقنَّعا(٣)
تبالَهْنَ بالعِرفانِ لمَّا عرفنَنِى ... وقُلْنَ : امرُؤٌ باغٍ أكَلَّ وأوضَعا(٤)
وقرَّبْنَ أسبابَ الهَوى لمُتَيَّمٍ ... يَقيس ذِراعًا كُلَّما قِسنَ إصبَعا(٥)
فلمَّا تنازعْنَا الأحاديثَ قُلْن لِي : ... أخِفتَ علينَا أن نُغَرَّ ونُخدَعا؟(٦)
فبالأمسِ أرسلنَا بذلك خالدًا ... إليكَ، وبيَّنَّا لهُ الشأنَ أجمعَا(٧)
فما جئتَنا إلا على وَفْقِ موعِدٍ ... على مَلإٍ منّا خرجْنَا له معَا(٨)

---

(١) اكتفل : استتر بالكفل وهو فى الأصل كساء يدار حول سنام البعير . التثم : اتخذ اللثام : وهو ما كان على الأنف وما حوله من ثوب أو نقاب . باغيا : طالبا . تورّع : تحشم .

(٢) أهوى : أسرع . أزجى : أسوق . القعود من الإبل : ما يقتعده الراعى فى كل حاجة . الموقع : الذى ظهرت به آثار الدبر لكثرة ما حمل عليه .

(٣) تواقفنا : تقابلنا . زهاها الحسن : استخفها الجمال . أن تتقنع : عن أن تلبس القناع فأسفرت معجبة بجمالها .

(٤) تبالهن : ادّعين البله ، وهو الغفلة . العرفان : المعرفة . باغ : طالب . أكل : أعيا وتعب . أوضع : حمل ناقته على السير السريع .

(٥) المتيم : الذى دلّهه الحب .

(٦) تنازعنا : تبادلنا .

(٧) الشأن أجمعا : الأمر جميعه أى رسمنا له الخطة

(٨) الوفق : المصادفة . الملأ : الجماعة .

رأينا خلاء من عيون ومجلسا دميث الربا سهل المحلة ممرعا (١)
وقلن : كريم نال وصل كرائم فحق له في اليوم أن يتمتعا

قال :

ليت هندا أنجزتنا ما تعد وشفت أنفسنا مما تجد (٢)
واستبدت مرة واحدة إنما العاجز من لا يستبد
زعموها سألت جاراتها ، وتعرت ذات يوم تبترد (٣)
أكما ينعتني تبصرنني ؟ عمركن الله ! أم لا يقتصد ! (٤)
فتضاحكن ، وقد قلن لها : حسن في كل عين من تود ! (٥)
حسدا حملنه من شأنها وقديما كان في الناس الحسد

---

(١) الدميث : اللين ذو الرمل . الربا : جمع ربوة ، وهي ما ارتفع من الأرض . ممرع : مخصب .

(٢) أنجزتنا ما تعد : وفت بوعدها . مما تجد : أي من الوجد .

(٣) تبترد : قصب الماء البارد على رأسها .

(٤) ينعتني : يصفني . عمركن الله : أي أذكركن الله . يقتصد : يعتدل ، فلا يبالغ .

(٥) أي أن من تحبه تعتقد أنه حسن لدى جميع الناس .

غادةٌ تَفْــتَرُّ عن أشنَبِهــا حينَ تجــلُوه أقاحٍ أو بَرَد (١)
ولهــا عينَانِ فى طرفَيهمــا حَوَرٌ منها، وفى الجيــدِ غَيَد (٢)
قلتُ: مَنْ أنتِ؟ فقالتْ: أنا مَنْ شَــفَّهُ الوجْدُ، وأبلاهُ الكَمَد (٣)
نحنُ أهلُ الخَيْفِ من أهل مِنًى ما لِمقْتُــولٍ قتلناهُ قَــوَد (٤)
قلتُ: أهــلًا! أنتمُ بُغْيَتُنــا، فتَسمَّيْنَ! فقالَتْ: أنا هِنــد! (٥)
إنَّمــا ضَــلَّلَ قلْبِى فاحتَــوَى صَــعْدَةٌ فى سَابِرِىٍّ تطَّــرِد (٦)
إنمــا أهــلُكِ جِيرانٌ لنَــا إنمــا نحنُ وهُمْ شىءٌ أَحَــد (٧)
حَــدَّثُونا أنَّهَــا لِى نفَثَتْ عُقَدًا، يا حبَّــذا تلك العُقَد! (٨)
كُلَّمــا قلتُ: متى ميعَادُنا؟ ضحِكتْ هندٌ، وقالتْ: بعدَ غد!

---

(١) الغادة: المرأة اللينة. تفتر: تظهر. الأشنب: الفم فى أسنانه ماء ورقة وعذوبة. تجلوه تكشفه. الأقاح: جمع أقحوان وهو البابونج البرى من نبات الربيع له نور أبيض. البرد: ماء الغمام يسقط جامداً.

(٢) الحور: شدة سواد العين مع شدة بياضها. الجيد: العنق. غيد: نعومة.

(٣) شفه الوجد: أهزله الحب. الكمد: الحزن الشديد.

(٤) الخيف: ناحية من منى عند مكة. القود: القصاص.

(٥) بغيتنا: مطلبنا.

(٦) ضلل: صار ضالا لا يهتدى. احتوى: اشتمل. الصعدة: القناة تنبت مستقيمة لا تحتاج الى مثقف، شبه بها محبوبته فى اعتدال قدها. السابرى: الثوب الرقيق الجيد. تطرد: تمشى مستقيمة.

(٧) شىء أحد: أى شىء واحد.

(٨) نفثت عقدا: سحرتنى، والنفث: النفخ، والعقد تكون من خيوط وينفث فيها قصد السحر.

(٢٠) قال كُثَيِّر عَزة (١) :

خَليلَيَّ هــذا رَبعُ عَزةَ فاعقِـلا … قَلوصيكما ثم ابكيَا حيثُ حَلَّتِ (٢)

وما كنتُ أدرِي قبلَ عزَّةَ ما الهوى … ولا مُوجِعاتِ الحزنِ حتى تَوَلَّتِ

فَقد حلَفَتْ جَهدا بِمـا نَحرتْ لَهُ … قُرَيشٌ غَدَاةَ المأزِمَــينِ وصَلَّتِ (٣)

أُنادِيـكِ ما حجَّ الحجيــجُ وكبَّرت … بِفَيْفَا غَــزالٍ رُفقَــةٌ وأَهلَّتِ (٤)

وكانَتْ بِقطعِ الحَبلِ بيني و بينهـا … كَناذرةٍ نَــذْرا فأوفت وحَلَّتِ (٥)

---

(١) لم يكن لكثير بن عبد الرحمن من المكانة فى الشرف والشعر الغزلى ما كان لجميل أو عمر أو سواهما من الغزلين ؛ فقد كان فيما يظهر دعيا فى الحب غير مرغوب فيه لقبح صورته وهوان شخصيته فوق تهافته السياسى وترَدّده بين الشيعة و بنى أمية ، أخذ يشهر بعزة بنت حميد الضمرى حتى عرف بها وكانت وفاته سنة ١٠٥ هـ وما بقى من شــعر كثير يدل على أسلوب جيد وصنعة حسنة وان كان لا يبلغ فى صــدق الشعور مبلغ أضرابه الغزلين .

(٢) الربع : الدار . عقل البعير : شدّ وظيفه الى ذراعه (قيده) . القلوص : الناقة الشابة أو الطويلة القوائم . يدعو صاحبيه المزعومين الى المكث عند ربع صاحبته والبكاء عنده وفاء لها .

(٣) الجهد : الطاقة . حلفت جهدا : بالغت فى اليمين . نحرت : ذبحت الضحايا . المأزم ، و يقال المأزمان : مضيق بين جمع وعرفة وآخر بين مكة ومنى . والمعنى أقسمت بالله لتقطعنى .

(٤) أناديك : أجالسك من النادى والندىّ وهما المجلس كما فى الأمالى . الحجيج : جمع حاج وهو قاصد مكة للنسك . فيفاء الغزال : مكان بمكة لا ماء فيــه . الرفقة : مثلثة الراء : الأصحاب . أهلت : رفعت أصواتها بالتلبية والدعاء .

(٥) الحبل : الوصل . أوفت النذر : أدّته ولم تغدر . حلت : خرجت من عهدته لما أوفته .

فَقُلْتُ لها : يا عَزَّ كلُّ مُصيبةٍ إذا وُطِّنَتْ يومًا لها النفسُ ذَلَّت (١)
ولم يَلقَ إنسان من الحُب مَيْعةً تَعُم ولا غَمَّاءَ إلا تَجلَّت (٢)
كأنى أنادى صَخْرةً حين أعرضَت من الصُّمِّ لو تَمشى بها العُصم زَلَّت (٣)
صَفوحًا فَما تلقَاكَ إلا بَخيلةً فمن مَلَّ منها ذلكَ الوصلَ ملَّت (٤)
أباحَتْ حِمًى لم يَرْعَهُ الناسُ قَبلَها وحَلَّتْ تِلاعًا لم تكنْ قَبلُ حُلَّت (٥)
فليتَ قَلوصِى عندَ عَزة قُيِّدت بحبْلٍ ضعيفٍ عُرَّ منها فَضَلَّت (٦)
وغُودِرَ فى الحىِّ المقيمينَ رَحلُها وكانَ لها باغٍ سِوَاى فبَلَّت (٧)
وكنتُ كذى رِجلَينِ رجلٍ صَحيحةٍ ورجلٍ رَمَى فيهَا الزمان فَشَلَّت (٨)
وكنتُ كذاتِ الظَّلع لما تحامَلت على ظَلعِها بعد العثار استَقَلَّت (٩)

(١) وطنت : مهدت وأعدّت . ذلت : مهلت ولانت .

(٢) الميعة : الشدّة وأوّل الشىء وأصله . الغماء : الكرب تجلت : انكشفت وزالت .

(٣) الصم : جمع أصم : الصلب . العصم : جمع أعصم وهو الوعل فى ذراعيه أو إحداهما بياض وسائره أسود أو أحمر . زلت : زلقت يقول : لما أعرضت عنى لا تجيب ندائى كأنى أدعو صخرة صلبة عظيمة ملساء لا تستقر عليها الوعول .

(٤) الصفوح : المرأة المعرضة الهاجرة . بخيلة بالوصل : لا تبذله .

(٥) الحمى : ما يحمى ويدفع عنه والمراد قلب الشاعر الذى احتلته . يرعاه الناس يدخلون اليه . التلاع : جمع تلعة وهى الأرض المرتفعة أو المنخفضة ، و يريد أنها ملكت عليه همه بالحب حين لم يستطع ذلك سواها

(٦) عر منها : قطع .

(٧) رحل الناقة : ما يوضع على ظهرها كالسرج . باغ : طالب . بلت : نجت وذهبت .

(٨) رمى فيها الزمان : أصابها بالتلف . شلت : قطعت أو يبست

(٩) الظلع : العيب والغمز فى المشى . تحاملت على ظلعها : تكلفت الناقة السير على رغمها . استقلت : استقام مشيها . يتمنى لو أتيح له ما يعطل سفره فيبق مع عزة .

أريدُ الثواءَ عِنـــدها ، وأظنُّهـا ‏ ‏ إذا ما أطلْنا عِندها المكْثَ ملَّت (١)
فمـا أنصفتْ : أما النساء فَبَغَّضت ‏ ‏ إلَيَّ ، وأمّا بالنـــوالِ فَضَنَّت (٢)
فإن تَكن العُتْبَى فاهلًا ومرحبًا ! ‏ ‏ وحقَّت لهـا العُتبَى لدينـا وقلّت (٣)
وان تكُن الأخرى فإنَّ وراءنا ‏ ‏ مَنادِحَ لو سارت بها العيسُ كلَّت (٤)
خليليّ إن الحـاجبيّة طلَّحت ‏ ‏ قلوصيكما ونَاقتِي قـــد أكلّت (٥)
فوالله ثم اللهِ ما حَـــلَّ قبلَهـا ‏ ‏ ولا بعدَها مِن خُلةٍ حيث حَلَّتِ
وما مرَّ مِن يومٍ عليَّ كيومِها ‏ ‏ وإن عظُمت أيامُ أخرَى وجَلَّت
وأضحتْ بأعلَى شاهقٍ من فؤادِه ‏ ‏ فلا القلب يسلاها ولا العينُ ملَّتِ (٦)
فيَاعجبًا للقلبِ كيفَ اعترافُه ‏ ‏ وللنفس لمّا وُطِّنت كيفَ ذلَّت (٧)
وإنى وتَهيامِي بِعـــزةَ بعـــد مَا ‏ ‏ تخلّيتُ ممـــا بينَنـا وتخلَّت (٨)
لكا لمرتجِى ظِـــلَّ الغَمامَةِ كلّما ‏ ‏ تبـــوأ منهـا للمَقيـــل اضمحلّتِ (٩)

---

(١) الثواء : الاقامة . ‏ ‏ (٢) ضنت : بخلت .

(٣) العتبى : الإعتاب ، يقال عاتبنى فلان فأعتبته إذا نزعت عما عاتبنى عليه . أى إذا عدلت عن القطيعة والصد سررنا وأعتبناها كذلك . قلت : أى هى شىء قليل محتمل .

(٤) الأخرى : يقصد القطيعة والهجر . المنادح : الواسعة البعيدة من الأرض . العيس : الإبل البيض يخالط بياضها شقرة . كلت : أعيت من السير .

(٥) طلحت : أكلت وأتعبت . والحاجبية : لعله لقب عزة .

(٦) الشاهق : المرتفع من الجبال والأبنية وغيرها .

(٧) اعترافه : صبره ، يريد قوة صبره على أهوال الحب . وخضوع نفسه لو يلاته .

(٨) التهيام : كالجنون من العشق . تخلى من الشىء : تركه .

(٩) الغمامة : السحابة أو البيضاء خاصة . تبوأ المكان : نزل فيه . المقيل : النوم نصف النهار . اضمحلت : انقشعت . يشبه تعلقه بعزة بعد القطيعة باللاجئ الى ظل سحابة ، ووجه الشبه الطمع فى غير مطمع .

كأنى وإياها سحابةُ مُمحلٍ ... رجاها فلمّا جاوزته استهلّت (١)

فإن سأل الواشون : فيم هجرتها ... فقل : نفسُ حرٍّ سُلّيت فتسلّت!

(ج) النـثر

(١) من آثار رسول الله صلى الله عليه وسلم

كتب الى هرقل ملك الروم :

من محمد رسولِ الله الى هِرَقْل عظيمِ الروم ، سلام على مَن اتّبَعَ الهُدى . أما بعدُ فإنّى أدعوك بدعايةِ الإسلامِ ، أَسْلِمْ تَسْلَمْ يُؤتِكَ اللهُ أجْرَكَ مرّتين . فإنْ تولّيتَ فإنّ عليك إثمَ الأريسيّين (٢) . و يـٰأهلَ الكتاب تعالَوْا إلى كلمةٍ سواءٍ بيننا وبينكم ألّا نعبُدَ إلا الله ولا نُشرِكَ به شيئًا ولا يتّخذَ بعضُنا بعضًا أرْبابًا مِن دُونِ الله فإنْ تولّوا فقولُوا اشهدُوا بأنّا مُسلمُون .

وكُتِبَ فى صلح الحُدَيْبِيَةِ (٣) بينه وبين قريش :

باسمِكَ اللّهمّ ، هذا ما صالحَ عليه محمدُ بنُ عبدالله ، سُهَيلَ بْنَ عمرو ، اصطلحا على وَضْعِ الحروب عَنِ الناسِ عَشْرَ سِنينَ ، يَأْمَنُ فيهنّ النّاسُ ويَكُفُّ بعضُهم عن بعض على أنّ مَنْ أتَى محمدًا مِن قُريش بغير إذْنِ وَلِيّه رَدّهُ عليهِمْ ، ومن جاء قريشا مِمّن مع

---

(١) الممحل : المجدب يعوزه المطر . جاوزته : بعدت عنه . استهلت : أمطرت .

(٢) الأريسيون : الفلاحون والعمال لأنهم تبع لساداتهم وكبرائهم .

(٣) الحديبية : قرية صغيرة بينها و بين مكة مرحلة نزل بها النبي عليه السلام سنة ست للهجرة قاصدا مكة لزيارة الكعبة معتمرا فأرادت قريش منعه الدخول مخافة العار و بعد تراسل بينهما تصالحا على ما فى هذه الصحيفة .

محمدٍ لم يردُّوه عليه، وأن بينَنـا عَيْبَةً مَكْفُوفةً(١)، وأنه لا إِسْلَالَ ولا إِغْلَالَ(٢)، وأنه مَن أحب أن يدخل فى عَقْـد محمد وعَهْدِهِ دخل فيه، ومن أَحَبَّ أن يدخل فى عَقْد قُرَيش وعهدِهم دخل فيه، وأنك تَرْجِعُ عنَّـا عامَك هذا فلا تَدخُل علينا مكة، فإذا كان عام قابل خَرَجْنَا عنهـا فدَخَلْتَهَا بأَصحابك، فأقمتَ بها ثلاثاً، وإنَّ معكَ سلاحَ الرَّاكب والسُّيُوفَ فى الرُّكُب؛ فلا تَدْخُلها بغيرِ هَذا .

خطبته يوم فتح مكة

وقَفَ على بَاب الكعبة ثم قال :

لَا إِلَهَ إلا اللهُ وحدَهُ لا شريكَ لَهُ ، صـدق اللهُ وَعْدَهُ(٣)، ونَصَرَ عبْـدَه وهزَم الأحزَابَ وحدَه ، أَلَا كُلُّ مأْثَرَةٍ أو دَمٍ أو مالٍ يُدَّعَى فهـو تحتَ قَدَمَيَّ هَاتين(٤) . إلا سدانة البيت وسقاية الحاج(٥)، ألا وقتيل الخطأ شبه العمد بالسوط والعصا فيه الدية مُغَلَّظَةً فيها أربعون خَلِفَةً(٦)، فى بطونها أولادُهَا . يَا معْشَر قُرَيش إنَّ اللهَ قد أذهب عنكم نَخْوَةَ الجاهلية(٧) وتَعظُّمَهَا بالآباء . الناس من آدمَ وآدمُ خُلِق من تُرابٍ . ثم تَلا هذه الآية : ﴿ يأيها النـاسُ إنَّا خلقناكم من ذَكرٍ وأُنثَى وجعلناكُمْ شُـعُوبا وقبائلَ لتَعَارَفُوا إن أكرمكم عندَ الله أتقاكم إنَّ اللهَ عليمٌ خبيرٌ ﴾ .

---

(١) العيبة : موضع السر أو الخريطة للابس والمراد الأمن .

(٢) الإسلال : السرقة الخفية والرشوة . الإغلال : الخيانة .

(٣) ماوعدهم به من فتح مكة وهزيمة الأحزاب أعدائه .

(٤) المأثرة : الجميل . الدم : القتل .

(٥) سدانة الكعبة : خدمتها . سقاية الحاج وسدانة الكعبة : كانا من عمل الهاشميين مند الجاهلية .

(٦) الخلفة : الناقة الحامل . (٧) نخوة الجاهلية : جهالتها وسفهها .

يا معشرَ قريش ! ما ترَوْن أنى فاعلٌ بكم ؟

قالوا : خيراً ، أخٌ كريمٌ وابنُ أخٍ كريمٍ .

قال : اذهَبُوا فانتم الطُّلقاءُ (١) .

ومن خطبته فى حجة الوداع (٢)

الحمدُ للهِ نحمَدُه ونستعينُه ونستغفرُه ، ونتوبُ إليه ، ونعوذُ بالله من شُرور أنفسنا ، ومن سيئات أعمالنا . من يَهدِ الله فلا مُضلَّ له ، ومن يُضلل فلا هادىَ له . وأشهدُ أن لَا إلهَ إلا اللهُ وحدَه لا شريك له ، وأشهد أن محمدا عبده ورسوله ، أوصيكم عبادَ الله بتقوى اللهِ ، وأحُثُّكُمْ على طاعَتِه ، وأستَفتِحُ بالذى هو خيرٌ « أما بعدُ » أيها النّاس اسمعوا مِنِّى أُبيِّنْ لَكُمْ ، فإنِّى لَا أَدرِى لَعلِّى لَا أَلْقاكُمْ بعدَ عَامِى هذا ، فى موقِفِى هذا . أيُّهَا النّاسُ إنَّ دماءَكم وأموالَكم حَرامٌ (٣) عليكُمْ الى أن تلقَوا ربَّكم ، كحُرْمَةِ يَوْمِكُمْ هذا فى شَهرِكُمْ هذا فى بَلَدِكم هذا ، أَلَا هل بَلَّغْتُ ؟ اللَّهُمَّ اشْهَدْ ! فمن كانتْ عندَهُ أمانةٌ فليُؤدِّها إلى من ائتَمَنَهُ عليها . وإن رِبَا الجاهلية مَوضُوعٌ (٤) ، وإن أول رِبًا أبدأ به ربا عَمِّى العباسِ بن عبد المطلب . وإن دماءَ الجاهلِيَّة موضوعة ، وإن أولَ دمٍ أَبدأُ به دمُ عامر بن ربيعة بن الحارث بن عبد المطلب ، وإن مآثرَ الجاهلية موضُوعَةٌ

---

(١) الطلقاء : جمع طليق ، وهو الرجل الذى يؤسر ثم يخلى عنه .

(٢) آخر حجة له .

(٣) حرام سفك الدماء واغتصاب الأموال .

(٤) موضوع : ساقط لا حساب عليه .

غير السِّدَانَةِ والسِّقَايَة . والعَمْدُ قَوَدٌ(١)، وشِبْهُ العمد ما قُتِلَ بالعصا والحجر، وفيه مائةُ بَعيرٍ، فمن زادَ فهو مِنْ أهل الجاهليَّة . أيها النَّاس : إن الشيطان قد يَئِس أن يُعْبَدَ في أرضِكُم هذه، ولكنَّهُ قد رَضِيَ أن يُطَاعَ فيما سِوَى ذلك مما تَحْقِرُون من أعمالكم.

أيها الناس إن لِنِسائكم عليكم حَقًّا ولكم عليهن حقٌّ . لكم عليهن ألا يُوطِئْنَ فُرُشَكُمْ غَيْرَكُمْ ، ولا يُدْخِلْنَ أحدًا تَكْرَهونَه بُيُوتَكُمْ إلا بإذنكم، ولا يَأْتِينَ بِفَاحِشَةٍ، فإن فَعَلْنَ فإن اللهَ قد أَذِنَ لكم أن تَعْضُلُوهُنَّ(٢) وتَهْجُرُوهُنَّ في المضاجع وتَضْرِبُوهُنَّ ضَرْبًا غيرَ مُبَرِّحٍ(٣)، فإن انتهين وأطعنكُمْ فعليكم رِزْقُهُنَّ وكسوتُهُنَّ بالمعروفِ، فاتَّقُوا اللهَ في النساءِ، واستَوْصُوا بِهِنَّ خيرا ، ألَا هل بلَّغتُ؟ اللهُمَّ اشهد ! أيها الناسُ إنما المؤمنون إخوة ، فلا يَحِلُّ لامرئٍ مالُ أخيه إلا عَنْ طِيبِ نفس مِنه ، ألا هل بلَّغتُ ؟ اللهمَّ اشهَد ! فلا تَرْجِعُنَّ بعدِي كُفَّارًا يَضرِبُ بعضُكم رِقَابَ بعض، فإني قد تركتُ فيكم ما إِنْ أخذتُمْ به لم تَضِلُّوا بعده : كتَابَ الله . ألا هل بلغت؟ اللهم اشهد! أيها الناس إن ربكم واحد وإن أباكم واحد، كلكم لآدم، وآدم من تراب، أكرمكم عند الله أَتْقَاكُمْ، وليس لعربى على عجمى فضلٌ إلا بالتقوى . ألا هل بلغتُ؟ اللهم اشهد! قالوا : نعم! قال فَلْيُبَلِّغِ الشَّاهِدُ الغائبَ . والسلام عليكم ورحمة الله !

---

(١) القود : القصاص . والمراد بالعمد : القتل عمدا .

(٢) العضل : التضييق .

(٣) الضرب المبرح : الشديد الأذى .

ومن أحاديثه عليه الصلاة والسلام :

إن مَثَلَ ما بَعَثَنِي الله به من الهُـدَى والعِلم كَمَثَلِ غَيْث أصابَ أرضًا فكان منها طائفةٌ طيِّبـةٌ قَبِلَتِ المَـاءَ ، فَأَنْبَتَت الْكلأَ والعُشْبَ الكثيرَ، وكان منهـا أَجَادِبُ (١) أمسكتِ المَـاءَ، فنفع الله تعالى بها النَاسَ فشربُوا منها وسَقَوْا وزَرَعُوا، وأصاب طائفةً منها أخرى إنمـا هي قِيعانٌ (٢) لاتُمْسِكُ ماءً ولا تُنْبِتُ كَلأً (٣)؛ فذلك مثل من فَقِه في دِين الله تعالى ونَفَعه ما بَعَثَنِي الله تعالى به فَعلِم وعَلَّم ، ومَثَلُ (٤) من لم يرْفَعْ بذلك رأسًا ، ولم يَقْبَلْ هُدَى الله الذى أرْسلْتُ به .

إنمـا مَثَلِي ومَثَلُكُمْ كَمَثَلِ رَجُلٍ اسْتَوْقَدَ (٥) نارًا، فلما أضاءَتْ ماحَوْلَهُ جعل الفَرَاشُ وهذه الدَوابُّ التى تَقَعُ فى النَّارِ تَقَعُ فيهـا ،فَجَعَلَ يَنْزِعُهُنَّ و يَغْلِبنَه فَيَقْتَحِمْنَ (٦) فيهـا ؛ فأنا آخُذُ بِحُجَزِكُمْ (٧) عن النَّارِ، وأنتم تَقْتَحِمُونَ فيها .

أَدِّ الأَمَانةَ إلى من ائْتَمَنك ؛ ولا تَخُنْ مَنْ خَانَكَ .

إن النـاسَ إذا رَأَوْا الظَّالِمَ فَلَمْ يَأْخُذُوا على يَدِهِ أَوْشَـكَ أن يَعُمَّهُم الله تعالى بعقـاب (٨) .

مَثَلُ المُؤْمنينَ فى تَوَادِّهِمْ وَتَراحُمِهِمْ وتَعاطُفِهِمْ مثلُ الجسد اذا اشتكى مِنهُ عُضْوٌ تَدَاعَى (٩) له سائرالجسد بالسَّهرِ والحُمَّى .

---

(١) أجادب : قيل جمع أجدب ، جمع جدب : القفر الصماء . (٢) القيعان جمع قاع : أرض سهلة مطمئنة انفـرحت عنها الجبال . (٣) ذلك اشارة الى المثـل الاول : الطائفة الطيبة . (٤) اشارة الى المثل الأخير . (٥) استوقد : أشعل . (٦) اقتحم فى الشيء : دخل فيه من غير روية . (٧) الحجز : جمع حجزة : معقد الازار . (٨) يدل هذا الحديث على قيمة التناهى عن الشر فى الجماعات والشعوب . (٩) دعا بعضها بعضا لمشاركته فى الألم .

انْصُر أخاكَ ظَالِمًا أو مَظْلُومًا : قيل : أَنْصُرُه إذا كان مظلومًا ، فكيف أَنْصُره ظالمًا ؟ قال : تَحْجِزُهُ عن الظُّلمِ ؛ فإن ذلك نَصْرُه .

ما أَكْرَمَ شابٌّ شيخًا لِسِنِّه إلا قَيَّضَ الله تعالى له مَنْ يُكْرِمُهُ عِنْدَ سِنِّهِ .

مَنْ يُرِدِ اللهُ به خيرا يُفَقِّهْهُ فى الدين .

نَضَّرَ اللهُ امرأً سمع مِنَّا شيئًا فَبَلَّغَهُ كما سمعه ؛ فَرُبَّ مُبَلَّغٍ أوعى مِنْ سَامِعٍ .

وَيْلٌ للَّذِى يُحَدِّثُ بالحديث لِيَضْحَكَ منه القوم فيَكْذِبَ ويلٌ له ، وَيلٌ له (١) !

لا يكن أحدُكُمْ إِمَّعَةً (٢) : يَقُولُ : أنا معَ الناسِ ، إن أحسن الناسُ أحسنتُ ، وإن أساءوا أَسأْتُ ، ولكنْ وَطِّنُوا أنفُسَكُمْ إنْ أحسن النَّاسُ أن تُحْسِنُوا ، وإن أساءوا أن تَجْتَنِبُوا إِسَاءَتَهُمْ .

لا يؤمن أحدكم (٣) حتى يحب لِأخِيهِ ما يحب لِنفسه .

المسلمُ مَنْ سلِمَ المُسْلِمُونَ مِنْ لِسَانه وَيَدِه (٤) ، والمؤمن من أَمِنَهُ النَّاسُ على دمائِهِم وأَمْوالِهِم .

من لا يَشْكُرُ النَّاسَ لا يَشْكُرُ اللهَ (٥) .

---

(١) ويل له : أى شر أو هلاك يحل به ، تستعمل فى التهويل والإنذار .

(٢) الإمعة : المتردد لا يثبت على رأى كما يفسر ذلك سائر الحديث .

(٣) أى لا يكمل إيمان الشخص إلا بذلك .

(٤) أى من شر قوله وعمله .

(٥) أى من لا يشكر الناس على المعروف فكأنه لم يشكر الله تعالى عليه لأن الناس وسيلة الخير إليه .

لاحَسدَ إلَّا فى اثنتين : رجلٍ آتاه اللهُ الحِكْمة ، فهُو يقضِى بهـا ويُعلِّمها ، ورجلٍ آتاه الله مالا ، فسلَّطه على هلَكَتِه فى الحقِّ .

يَهرم ابنُ آدَمَ ويشُبُّ فيه اثنَتَان : الحِرصُ علَى المـال والحِرصُ على العُمُر .

إنَّ مِن أحبكم إلىَّ وأقربكُم مِنِّى مجلِسًا يومَ القِيامَةِ أحاسِـنكم أخلاقا ، وإن أبغضَكم إلىَّ وأبعدَكم مِنى مجلِسًا يوم القِيامةِ الثرثارون والمتشدقون (١) والمتفيهقون قالُوا : يارسولَ الله : ماالمُتَفيهِقُون ؟ قالَ : المتكبِّرونَ .

كُلُّكُمْ رَاعٍ وكُلُّكُمْ مَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِه : فالإِمَامُ رَاعٍ وَمَسْئولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ ، والرَّجُلُ رَاعٍ فى أَهْلِه ، وَهُوَ مَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ . والمرأة فى بَيْت زَوْجها راعيةٌ ، وهِىَ مَسْئُولَةٌ عن رعيَّتها ، والخَادِمُ فى مَالِ سيِّده رَاعٍ ، وهُوَ مَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّته .

بينما رجلٌ يمشى بطريقٍ اشْتَدَّ عَلَيْـهِ العَطَشُ ، فوَجَد بئرًا فنَزَل فِيها فَشرِبَ ثمَّ خَرَج ، وإذا كَلْبٌ يَلْهَثُ (٢) يأْكُلُ الثَّرى منَ العَطَشِ ! فقَال الرَّجُلُ : لَقَدْ بلَغَ هَذا الكَلْبَ مِن العَطَشِ مِثلَ الَّذى كان بَلَغ منى . فنَزَل البِئْرَ ، فملأَ خُفَّه ماءً ثم أَمْسكه بِفِيهِ حتى رَقِى ، فَسَقَى الكَلْبَ ، فشَكَرَالله تعالى لَه ، فغفَرَلَه !

من يُحرَمِ الرِّفْقَ يُحْرمِ الخيرَ كُلَّه .

خَيْرُ الصَّدَقَة ما كان عَن ظَهْرِ غِنًى . وابدا بمن تَعُولُ .

إِذَا كَانوا ثَلاثة (٣) فلا يَتَنَاجَى (٤) اثْنانِ دُون الثَّالِث ، فإنَّ ذَلك يُحْزِنُه .

---

(١) الثرثار : الذى يكثر الكلام تكلفا ومجاوزا وخروجا عن الحق ، المتشدق : الذى يلوى شدقه تعظما .

(٢) يلهث : يخرج لسانه من التنفس الشديد عطشا أو إعياء .

(٣) أى الجمع أو الجلوس . (٤) يتناجى : يتسار .

القضاة ثلاثة : واحد فى الجنة ، واثنانِ فى النارِ . فأما الذى فى الجنة فرجل عَرَفَ الحق فقضى به ، ورجلٌ عَرَف الحق وجار فى الحكم فهو فى النار ، ورجل قضى للنَّاسِ على جَهْلٍ فهو فى النار .

لَأَنْ يَأْخُذَ أَحَدُكُمْ أَحْبُلَه ، ثم يأتِى الجبل ، فيأتِى بحُزمة على ظهرِهِ فيبيعها خيرٌ له مِن أن يَسأل النَّاس : أَعْطَوه أو مَنَعُوه .

(٢) نموذج من كلام أبى بكر الصديق [١]

لما تُوفى الرسولُ عليه السلامُ واضْطَربَ النَّاسُ خَطَبَهم فقال :

أيُّها النَّاسُ : من كَانَ يَعْبُد محمداً فإنَّ محمدا قد ماتَ ، ومن كان يَعْبد الله فإن الله حَىٌّ لا يموت ، وإن الله قد تقدم إليكم فِى أمرِهِ [٢] فلا تدعوه جزعا ، وإن الله قد اختار لنبِيه ما عِنده على ما عِندكم وقبضه إلى ثوابِهِ ، وخلَّف فيكم كتابه وسُنَّة نبيِّه ، فمن أخَذَ بهمَا عَرف ، ومَن فرَّق بينهما أنكر . يأيُّها الذين آمنوا كونوا قوّامِينَ بِالقِسطِ [٣] ولا يشغلنكم الشيطان بموتِ نبيكم ، ولا يفتننكم عن دينكم فعاجلوه بالذى تُعجِزُونَه ولا تَستَنْظِروه [٤] فَيَلْحَق بكُم .

---

(١) هو عبد الله بن أبى قحافة القرشى نشأ عالما كريما حليما ، وكان أسبق الرجال إسلاما وأشدهم بلاء فى نصرة رسول الله . ولى شئون المسلمين بعد رسول الله فساسهم بحكمة ولين حتى توفى سنة ١٢ هـ .

(٢) أظهركم على نهايته بوفاته فلا تعرضوا عن قضاء الله جزعا .

(٣) القسط : العدل .

(٤) لا تستنظروه : أى لا تتأنوا عليه بل عاجلوه باعتزام الخير وإنفاذه .

خطبـــة له أخرى

وقد جاء مالٌ من البَحْرَيْنِ ساوَى فيه بين الناس فغضب الأنصار (١) .

فَحَمِدَ اللهَ وأثنَى عليه وصلَّى على النبي صلى الله عليه وسلم ثم قال :.

يامَعْشَرَ الأَنْصَارِ ، إنْ شِئْتُم أن تَقُولُوا : إِنَّا آوينَاكم فى ظِلَالنا ، وشَاطرْنا كُم فى أمْوالِنا ، ونَصرناكم بأنفُسنا — قلتم ، وإنَّ لَكُمْ مِنَ الفَضْل مالا يُحصيه العَدَد وإنْ طَالَ به الأمدُ ، فَنحنُ وأنتُم كما قال طُفيل الغَنوِيُّ (٢) :

جَزَى اللهُ عنَّا جَعْفرا حِينَ أَزْلَقَتْ ... بنا نعلُنا فى الواطِئِين فزلَّتِ(٣)

أَبَوْا أن يَمَلُّونا ، وَلَوْ أَنَّ أُمَّنَا ... تُلَاقى الَّذى يَلْقَوْنَ مِنَّا لَمَلَّتِ

هُمُ أسكَنونَا فِى ظِلَالِ بُيوتِهِمْ ... ظلَال بُيُوتٍ أَدْفأتْ وَأَظَلَّتِ

خُطبتُه يومَ السقيفَة (٤)

حَمِد اللهَ وأثنَى عليه ثمَّ قال :

أَيُّها النَّاسُ : نَحْنُ المُهاجِرُون، أولُ النَّاس إسْلامًا ، وأكْرَمُهم أحْسَابًا (٥) وأوْسَطُهُم دَارًا ، وأَحْسَنُهم وُجُوهًا ، وأكثرُ النَّاس ولادةً فى العَرب ، وأمَسُّهم رَحِمًا برسُولِ اللهِ

---

(١) الأنصار : الذين نصروا الرسول بعد الهجرة الى المدينة وأكثرهم من الأوس والخزرج ، فقابلهم المهاجرون الذين يتحدث أبو بكر بلسانهم .

(٢) شاعر جاهلى من قيس .

(٣) كناية عن الحاجة وسوء الحال .

(٤) يوم السقيفة : يوم اجتماع العرب فى سقيفة بنى ساعدة عقب وفاة الرسول عليه السلام للنظر فيمن يخلفه ، وتنافس فى ذلك المهاجرون والأنصار .

(٥) الحسب : مفاخر الآباء .

صلى الله عليه وسلّمَ . أَسْلَمْنَا قبلكم ، وقُدِّمْنا فى القرآن عليكُمْ ، فقال تبارك وتعالى (والسابقُون الأولونَ من المهاجرين والأنصارِ والذين اتَّبعوهُم بإحسانٍ) فنحنُ المهاجِرُون، وأنتم الأنصارُ، إخوانُنا فى الدِّينِ وشُركاؤنا فى الفَىْءِ(١) وأنصارُنا على العَدُوِّ . آوَيْتُمْ وَوَاسَيْتُمْ . فجزاكم الله خيرا ! فنحنُ الأمراءُ وأنتم الوزراءُ . لاتَدِين العربُ إلا لهذا الحىِّ من قريش ؛ فلا تَنْفَسُوا(٢) على إخوانِكُمْ المهاجرينَ ما منَحهم الله من فضله .

وصيته عند وفاته لعمر بن الخطاب

إنى مُسْتَخْلِفُكَ مِنْ بعدِى ومُوصِيكَ بتقوى الله . إن لِلّهِ عملا بالليل لا يقبلَه بالنهار ، وعملا بالنهار لا يقبلُه بالليل . وإنَّه لا تُقْبَلُ نافلةٌ(٣) حتى تُؤدَّى الفريضةُ ؛ فإنما ثَقُلَت موازينُ من ثَقُلَتْ موازينه يوم القيامة باتِّباعِهِمْ الحق فى الدُّنيا وثِقلهِ عليهِمْ، وحُقَّ لِميزانٍ لا يُوضَع فيه إلا الحقُّ أن يكون ثقيلًا ، وإنما خَفَّتْ موازينُ مَنْ خَفَّتْ موازينه يومَ القِيَامَةِ باتباعهم الباطلَ وخِفَّتِهِ عليهم، وحُقَّ لميزانٍ لا يوضع فيه إلا الباطلُ أن يكون خفيفا . إن الله ذَكَرَ أهل الجنة فذكرهم بأحسن أعمالهم وتَجاوزَ عن سيئاتهم؛ فإذا ذكرتهم قُلْتَ : إنى أخاف ألَّا أكونَ مِن هؤلاءِ، وذَكَرَ أهل النار فذكَرَهُمْ بأسوإِ أعمالهم ولم يذكر حَسَنَاتِهِمْ، فإذا ذَكَرْتَهُمْ قلت:إنى لأرجو ألا أكون من هؤلاء، وذَكَرَ آيةَ الرحمة مع آية العذاب ليكون العبد راغبا راهبا ،

---

(١) الفىء : الغنيمة والخراج .

(٢) لا تنفسوا عليهم : لا تحسدوهم .

(٣) النافلة : السنة التى لايلزم أداؤها بل يستحب . والفريضة : ما يلزم أداؤها من أمور الدين .

ولا يتمنى على الله غير الحق ، ولا يُلْقِ بيــده إلى التَّهْلُكَةِ (١) ، فإذا حفظت وصيتى فلا يَكُنْ غائبٌ أحبَّ اليكَ من الموت وهو آتيكَ ، وإن ضَيَّعْتَ وَصِيتِي فلا يكن غائب (٢) أبغض إليك من الموتِ ولست بِمُعْجِز الله .

ودخل عليه عبد الرحمن بن عوف فى علته التى مات فيها فقال له أراك بارئا ياخليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال :

أَمَا إِنِّى على ذلكَ (٣) لشديدُ الوجَعِ ، ولَمَّا (٤) لَقِيتُ منكم يا معشر المهاجرينَ أَشَدُّ علَىَّ من وجَعِى . إنى وَلَّيتُ أمورَكُم خيرَكُم فى نفسى ، فَكُلُّكُم وَرِمَ أنفــه (٥) أن يكونَ له الأمرُ من دُونِه . والله لتتخذُنَّ نَضائِدَ الدِّيباج (٦) وسُتُورَ الحرير ، ولتَأْلَمُنَّ النومَ على الصُّوفِ الأذْرِبِيِّ (٧) كما يَأْلَمُ أحدُكم النومَ على حَسَكِ السَّعْدَانِ (٨) . والذى نفسى بيَدِه لأن يُقَــدَّمَ أحدُكم فَتُضْرَبَ عنقُــه فى غير حَدٍّ خيرٌ له من أن يَخُوضَ غمراتِ الدنيــا (٩) . يا هَادِىَ الطريقِ جُرْتَ (١٠) . إنما هو والله الفَجْرُ أو البَجْرُ (١١) .

---

(١) التهلكة : الهلاك .

(٢) يريد أن العمل بالوصية يجعل الموت أحب اليه كما أن تضييعها يبغضه فى الموت مع أنه حتم .

(٣) ذلك اشارة الى البرء من المرض . (٤) اللام للتوكيد وما موصولة مبتدأ خبره أشد .

(٥) ورم أنفــه : أى امتلأ غيظا ، وذكر الأنف . لتأثره بالغضب ، كما يقال شمخ بأنفه للكبر ، أى رفع رأسه . (٦) النضائد : الوسائد ، المفرد نضيدة ، والمراد ما نضد فى البيت من أثاث . الديباج : الثوب سداه ولحمته من حرير ، والمراد الحرير . (٧) الأذربى : نسبة الى أذربيجان .

(٨) الحسك : الشوك . السعدان : نبت كثير الحسك . (٩) غمرات الدنيا : شئونها التى تحير الناس . (١٠) جرت : حدت عن جادة الصواب .

(١١) يقول : ان انتظرت حتى يضىء لك الفجر الطريق أبصرت قصدك ، وان سلكت الظلماء وقعت فى المكروه . وضرب ذلك مثلا لغمرات الدنيا . البجر : الشر والداهية .

(٣) نبذة من كلام عائشة (١)

قالت على قبر أبيها :

نَضَّرَ اللهُ يا أبتِ وَجْهَكَ (٢) وشكَرَ لكَ صالحَ سعيِكَ ، فلقد كنتَ للدنيا مُذِلا بإدْبارِك عنها ، وللآخِرَةِ مُعِزًّا بإقبالك عليها ، ولئن (٣) كان أعظمَ المصائبِ بعدَ رسول الله صلى اللهُ عليه وسلَّمَ رزؤك ، وأكبرَ الأحداث بعدهُ فقدُك — إنَّ كتابَ اللهِ عزَّ وجلَّ لَيَعِدُنا بالصَّبرِ عنْكَ حُسْنَ العِوَضِ منكَ ، وأنا مُسْتَنجِزَةٌ (٤) منَ اللهِ مَوْعِدَه منكَ بالصبرِ عَنْكَ ، ومستعينةٌ كثرةَ الاستغفارِ لكَ . فسَلامُ اللهُ عليكَ توديعَ غيرِ قاليةٍ (٥) لِحَياتِكَ ، ولا زاريَةٍ على القضاءِ فيك .

(٤) من آثار عمر بن الخطاب (٦)

رسالته فى القضاء الى أبى موسى الأشعرى (٧)

بسم الله الرحمن الرحيم

مِنْ عبدِ اللهِ عُمَرَ بنِ الخطَّاب أمير المؤمنين إلى عبد الله بن قيس . سلامٌ عليك ، أما بعدُ فإنَّ القضاءَ فَريضةٌ مُحكَمَةٌ وسُنَّةٌ متَّبَعةٌ . فافهَمْ إذا أُدْلِيَ اليكَ (٨) ؛ فإنه

---

(١) هى السيدة عائشة بنت أبى بكر وزوج الرسول عليه السلام تزوّجها صغيرة ، فنشأت راوية للحديث عالمة بالدين متأدبة بالأدب العالى . وقد كان لها فى الأحداث السياسية بعد وفاة الرسول مواقف مشهورة . (٢) نضر وجهك . جعله ناضرا ، أى حسنا جميلا ، كناية عن حسن المثوبة .

(٣) إن : شرطية . أى إن عظم رزؤك وفقدك فإن كتاب الله الخ .

(٤) مستنجزة : طالبة الانجاز والوفاء . (٥) قالية : كارهة . زارية : عاتبة أو عائبة

(٦) هو أمير المؤمنين عمر بن الخطاب القرشى ولد فى الجاهلية وربى فيها وعرف بالشجاعة والحزم والسيادة وقد هداه الله الى الاسلام بعد عداوة قوية ، فكان من أعظم أنصاره . فلما ولى الخلافة بعد أبى بكر قام بأعبائها خير قيام حتى قتل غيلة سنة ٢٣ هـ . ويعد عمر بن الخطاب من أبلغ الناس وأفواهم أسلوبا وأنقدهم للشعر وأرواهم له .

(٧) من رجال المسلمين الأعلام ، ولى قضاء البصرة حين بعث إليه عمر بهذه الرسالة . وله موقف معروف فى مسألة التحكيم بين على ومعاوية . (٨) أى تقدم اليه المتقاضون بحججهم .

لا ينفعُ تكلُّمٌ بحقٍ لا نفاذَ له . آسِ (١) بينَ الناسِ فى وجهِكَ وعدلِكَ ومجلِسِكَ ، حتى لا يطمعَ شريفٌ فى حيفِكَ (٢) ، ولا ييأسَ ضعيفٌ من عدلك . البيِّنةُ على مَن ادَّعى ، واليمينُ على من أنكرَ . والصُّلحُ جائزٌ بين المسلمينَ إلَّا صلحًا أحلَّ حرامًا أو حرَّم حلالًا . لَا يمنعنَّكَ قضاءٌ قضيتَهُ اليومَ ، فراجعْتَ فيه عقلَكَ ، وهُديتَ فيه لِرُشدِكَ أنْ ترجع الى الحقِ ؛ فإن الحقَّ قديمٌ ، ومراجعةُ الحق خيرٌ من التَّمادِى فى الباطِلِ . الفهمَ الفهمَ فيما تلجلجَ (٣) فى صدرِكَ مِمَّا ليسَ فى كتابٍ (٤) ولا سُنة . ثم اعرف الأشباهَ والأمثالَ ؛ فقِس الأمورَ عندَ ذلك ، واعمِدْ الى أقربِها الى الله ، وأشبهِها بالحقِّ . واجْعل لمن ادَّعى حقًّا غائبًا أو بيِّنةً أمدًا ينتهى اليــه ، فاذا أحضر بيِّنتَه أخذْتَ له بحقِّه ، وإلا استحلَلْتَ عليه القضيةَ ؛ فإنه أنفَى لِلشَّكِ وأجْلَى للعمى . المسلمونَ عُدولٌ بعضهمْ على بعضٍ إلا مجلودًا فى حدٍّ أو مُجرَّبًا عليــه شهادةُ زُورٍ أو ظَنينًا فى وَلاءٍ أو نسَبٍ (٥) ؛ فإنَّ الله تولَّى منكم السَّرائرَ ودرأ (٦) بالبيِّنات والأيمانِ . وإياكَ والقلقَ والضجرَ (٧) والتأذِّى بالخصُوم والتنكُّر عنــد الخصومات ؛ فإن الحقَّ فى مواطن الحق يُعظِمُ الله به الأجرَ ويُحسِنُ به الذخرَ ؛ فمن صحَّت نيته وأقبلَ على نفسِه كفاهُ الله ما بينَه

(١) آس بين الناس : سو بينهم .

(٢) الحيف : الميل أى ميلك مع اشرفه .

(٣) تلجلج : تردد حتى كان موضع حيرة .

(٤) الكتاب : القرآن الكريم والسنة ما أثر عن النبي من قول أو فعل أو تقرير .

(٥) ظنين : متهم أى ينتسب الى غير أبيه أو يدعى الى غير مواليه ؛ فليس أهلا للشهادة

(٦) درأ : دفع يريد منع المدرد .

(٧) القلق والضجر : ضيق الصدر وقلة الصبر .

وبينَ الناسِ . ومن تَخَلّق (١) للناس بما يعلم الله أنه ليسَ من نفسه شَانَهُ (٢) الله ، فما ظنُّكَ بثوابٍ عند الله عزّ وجلّ فى عَاجِلِ رِزْقِه وخزائن رحمته (٣) ، والسلام .

وكتب الى أبى عبيدة ومعاذ بن جبل جوابا عن رسالتهما اليه ينصحانه :

بِسم الله الرّحمن الرّحيم

من عُمرَ بنِ الخطاب الى أبى عُبيدَة عامر بن الجراح ومُعاذِ بن جَبل ، سلام عليكما فانى أحمد الله الذى لا إلهَ إلّا هُوَ (أما بعد) فقد جَاءنى كتابكما تزعُمانِ أنه بَلَغكما أنى وَلِيتُ أمرَ هذه الأمة أحمرِها وأسودِها (٤) يجلِسُ بين يَدَىَّ الصديقُ والعدُو والشريفُ والوضيعُ ، وكتبتُما أنِ انظُرْ كيفَ أنت يا عُمرُ عند ذلكَ ، وإنّهُ لا حول ولا قُوّةَ لِعمر عندَ ذلك إلا بالله . وكتبتُما تُحَذِّرانى ما حُذِّرَتْ به الأممُ قبلَنا ، وقديما كان اختلافُ الليلِ والنهار بآجالِ الناس (٥) يُقرِّبَانِ كُلَّ بعيد ويُبْلِيان كُلَّ جديد ، ويأتيانِ بكل مَوعُود ، حتى يصير الناسُ الى منازِلهم من الجنةِ أو النار ، ثم تُوَفَّى كلُّ نفس بما كسَبت إن الله سريع الحساب . كتبتُما تزعُمان أن أمرَ هذه الأمة ، يرجع فى آخر زمانها أن يكونَ إخوانُ العَلَانيــة أعْداءَ السريرة ولستم بذلك . وليس هــذا ذلِك الزمان ، ولكنَّ زَمَان ذلك حينَ تظهر الرغبــة والرهبة ؛ فتكون رغبةُ بعض الناس الى بعض

(١) أى أظهر للناس فى خلقه خلاف نيته .

(٢) شانه : ضد زانه والمراد قبحه وأظهر نفاقه .

(٣) يريد ماذا يكون ثواب الناس بجانب رزق الله فى الدنيا و رحمته فى الآخرة .

(٤) الأحمر كناية عن العجم ، والأسود كناية عن العرب والمراد جميع المسلمين .

(٥) اختلافهما بآجال الناس الخ : تعاقبهما على قضاء الأعمار .

إصلاح دينهم ورهبةُ بعض الناسِ إصلاح دُنياهم . وكَتبْتُما تُعوِّذانني بالله أن أُنْزِل كتابكما مِنّي سِوَى المنزل الذى نَزَل من قُلُوبكما . وانما كتبتما نصيحةً لى . وقد صدقتما . فتعهّدانى منكما بكتاب؛ فلا غِنًى بى عنكما . والسلام عليكما !

(٥) من خطب عثمان بن عفّان[١] :

إنّ لكل شىء آفة . وإن لكلّ نعمة عاهةً . وإن آفة هـذه الأمة وعاهة هذه النعمة عَيّابُون طَنّانُون؛ يَظهرون لكم ما تحبون، وَيُسِرُّون ما تَكْرَهُونَ، يقولون لكُم وتَقُولون، طَغَامٌ[٢] مثلُ النَّعام، يتبَعُون أوّلَ ناعق، أحبُّ مواردهم اليهم النازح[٣] . لقد أقررتم لابنِ الخطّاب بأكثرَ ممّا نَقَمْتُم علىَّ، ولكنه وقَمَكُمْ[٤] وقَمَعكُمْ وزجركم زجر النَعامِ المُخَزَّمةِ؛ واللهِ إنى لأقربُ ناصرا وأعزّ نفرا، وأقْمَنُ إن قلتُ هَلُمَّ! أن تجاب دَعْوتى من عُمَر . هل تَفْقِدُون من حُقوقكم شيئا؟ فما لى لا أفعلُ فى الحق ما أشاء؟ إذًا فلِمَ كنتُ إماما ؟

---

(١) هو أمير المؤمنين عثمان بن عفان الأموى القرشى . ولد فى الجاهلية وسبق الى الاسـلام، وأبلى فى نصرته . ثم ولى الخلافة بعد عمر بطريق الانتخاب الشورى وبعد مدة ثار عليه أعراب من مصر والعراق بحجة إيثاره أقاربه . وحاصروه فى داره بالمدينة وقتلوه سنة ٣٥ هـ . وكان من أبلغ الناس وأرزنهم لفظا وأسلسهم أسلوبا بحكم نشأته القرشية ودراسته القرآن الكريم .

(٢) الطغام : أراذل الناس للواحد والجمع .

(٣) النازح : الناضب من نزحت البئر قل ماؤها أو نفد ومن معانيها البعيد جدا .

(٤) وقمكم : قهركم .

كتابُه الى علىّ يستنجده حين أحيط به :

بسم الله الرحمن الرحيم

أما بعدُ فقد بلغ السيلُ الزُّبى(١)، وجاوز الحزامُ الطُّبيين(٢)، وطمع فىّ من لا يدفعُ عن نفسه، ولم يغلبْكَ مثلُ مُغَلَّب(٣) . فأقبلْ إلىَّ صديقًا كنتَ أو عدُوا .

فإن كُنْتُ مأكولًا فكُنْ خيرَ آكلٍ   وإلّا فأدركْني ولمّا أُمَزّقِ

(٦) بلغ علىَّ بن أبى طالبٍ(٤) أن خَيلا لمعاوية وردت الأنبار، فقتلوا عاملا له يقال له حسان بن حسان ، فخرج مُغْضَبا وخطب الناس:

أما بعدُ، فإن الجهادَ بابٌ من أبواب الجنة، فتحه اللهُ لخاصّةِ أوليائه وهو لباسُ التقوى ودِرْعُ اللهِ الحَصينةُ وجُنّتهُ(٥) الوثيقةُ ؛ فمن تركَهُ رغبةً عنه ألْبَسه اللهُ ثوبَ الذُّلّ، وشَمِلَهُ البلاءُ، ودُيِّثَ بالصَّغار(٦) والقَماءة، وضُرِبَ على قلبِهِ بالأسداد ، وأُديلَ

(١) الزبى : جمع زبية : مصيدة الأسد وتكون فى قلة أورابية أو هضبة . والتركيب كناية عن بلوغ الشدة أقصاها كما يصل السيل الزبية .

(٢) الطبيان مثنى طبى والجمع أطباء : مواضع الاخلاف (حلمات الضرع) ومجاوزة الحزام الطبيين كناية عن الإشراف على الهلاك .   (٣) المغلب : الضعيف الذى يغلب كثيرا ، فاذا قدر عليك لا يرجع عنك . وهذا معنى ولم يغلبك مثل مغلب .

(٤) ولد على بن أبى طالب قبيل الاسلام ونشأ فى بيت مجد وشرف وكان أول من أسلم من الصبيان ثم صاحب الدولة الاسلامية فى أوليتها مجاهدا وناصرها بعد وفاة الرسول حتى اذا قتل عثمان وبايعه أهل الحجاز قام فى وجهه معاوية ينازعه الخلافة وكانت بينهما فتن وحروب ومكاتبات الى أن قتل على غيلة سنة ٤٠ ﻫ بمسجد الكوفة وكانت هذه الحياة العنيفة سبب نبوغه فى الخطابة وتملكه زمام البلاغة التى تنطق بها آثاره الصحيحة .   (٥) الجنة : الوقاية .   (٦) ديث : ذلل . والقماءة : الذل والمهانة

الحقُّ منهُ بتضييع الجهاد (١)، وسِيمَ الخسفَ، ومُنِعَ النَّصَفَ (٢). ألا وإنّى قد دعوتُكم إلى قتالِ هؤلاء القومِ ليلاً ونهارا، وسرا وإعلانا، وقلت لكم: اغزُوهُمْ قبل أن يَغزُوكُمْ؛ فوالله ماغُزِىَ قومٌ قط فى عُقْرِ دارهم (٣) إلا ذَلُّوا. فتواكلتم وتخاذلتم (٤) حتى شُنَّتْ الغَارَاتُ عَلَيكُم، ومُلِكَتْ عَلَيْكُمُ الأَوطَانُ. وهذا أخو غَامِدٍ (٥) قد وردت خيلُه الأَنْبَارَ (٦)، وقد قَتَل حَسَّانَ بن حَسَّانَ البَكرِىّ، وأزال خيلَكُمْ عن مَسَالِحِها (٧). ولقد بلَغَنِى أن الرجلَ منهم كان يَدخُل على المرأةِ المسلمةِ والأخرى المُعَاهَدَة، فينتزِعُ حِجْلَهَا (٨) وقُلْبَهَا (٩) وقلائدها ورِعَاثَها (١٠)، ما تمنع عنه إلا بالاسْتِرْجَاعِ (١١) والاسترحام. ثم انصرَفُوا وافِرِين (١٢)، ما نال رجُلا منهم كَلْمٌ (١٣)، ولا أُرِيقَ لهم دم، فلو أن امرءًا مُسْلِمًا مات من بعد هذا أسَفًا ما كان به مَلُومًا، بل كان به عندى

---

(١) أى صارت الدولة للحق بدله.

(٢) النصف: العدل.

(٣) عقر الدار: وسطها وأصلها.

(٤) تواكلتم: اتكل كل على الآخر. وتخاذلتم: خذل كل صاحبه.

(٥) هو سفيان بن عوف بعثه معاوية مغيرا على العراق.

(٦) الأنبار: بلدة على الشاطئ الشرقى للفرات.

(٧) المسالح: جمع مسلحة، وهى الثغر حيث طروق الأعداء.

(٨) الحجل: الخلخال.

(٩) القلب: السوار.

(١٠) الرعاث: جمع رعثة بالفتح وتحرك: القرط.

(١١) الاسترجاع: قول (إنا لله وإنا اليه راجعون).

(١٢) أى لم ينل أحد منهم فى مال أو بدن.

(١٣) الكلم: الجرح.

جَدِيرا . فياعَجبا والله يُميت القلب ويَجْلِبُ الهم : اجتماعُ هؤلاء القوم على باطلهم وتفرُّقُكُم عن حَقِّكم، فقُبْحا لكم وتَرَحا[١] حين صرتم غَرضًا يُرمَى، يُغَار عليكم ولا تُغيرون، وتُغْزَوْنَ ولا تَغزُون . ويُعْصَى اللهُ وتَرْضَوْن ، فإذا أمرتكم بالسير اليهم فى أيام الحرّ قلتم : هذه حَمَارَّةُ[٢] القيظ، أَمهِلنا ينسلخ[٣] عنا الحَرُّ . وإذا أمرتكم بالسيرِ اليهم فى الشتاء قُلتم : هــذه صَبَارَّةُ القُرِّ[٤]، أَمْهِلْنَا يَنْسَلِخْ عنا البردُ . كلُّ هــذا فرارًا من الحر والقُرّ فأنتم والله من السيف أفرّ . يا أشباهَ الرجالِ، ولا رِجَال! حُلُومُ الأطفال، وعُقُولُ رَبَّات الحِجَالِ[٥]. لوددت أنِّى لم أرَكُمْ ولم أعرفْكم! معرفةٌ والله جَرَّتْ نَدَمًا، وأعقبَتْ سَدَمًا[٦] . قاتلكم الله! لقد ملأتُم قلبى قَيْحًا، وشَحَنْتُم صدرى غَيْظًا، وجرعتمونى نُغَبَ التَّهْمَام[٧] أنفاسًا، وأفسدتُم علىَّ رأيِى بالعصيان والخذلان ، حتى لقد قالتْ قُريش : إن ابنَ أبى طالب رجل شجاع ، ولكن لا علْمَ له بالحرب ، لله أبوهم ! وهل أحدٌ منهم أشدُّ لهــا مِرَاسًا وأَقْدمُ فيها مَقامًا منِّى ؟ لقد نَهضتُ فيها وما بلغْتُ العِشْرين وهأنذا قد ذَرَّفْتُ[٨] على الستين، ولكن لا رَأْىَ لمن لا يطاع[٩] .

---

(١) الترح بالتحريك : الهم أو الفقر
(٢) حمارة القيظ : شدة الحر .
(٣) ينسلخ : يخف ويسكن .
(٤) أى شدة البرد .
(٥) ربات الحجال : النساء . والحجال جمع حجلة : القبة ، وموضع يزين بالستور للعروس .
(٦) السدم : الهم أو مع أسف وغيظ .
(٧) النغب : جمع نغبة : الجرعة . التهمام : الهم .
(٨) ذرفت : زدت .
(٩) أى لا ينفع رأى للذى لا يسمع له .

وخطب فى استنفار الناس إلى أهل الشام فقال :

أفٍّ لكم ! لقد سئمتُ عتابكم ، أرضيتم بالحياةِ الدنيا من الآخرة عِوضا ، وبالذُّلِّ من العِزِّ خَلفا . وإذا دعوتُكم إلى جهاد عدوِّكم دارت أعينكم كأنكم مِن الموت فى غمرة ، ومن الذهول فى سكرة . يرتج عليكم حوارِى فتعمهون (١) ، فكأنّ قلوبكم مألُوسَة (٢) فأنتم لا تعقلون ما أنتم لى بثقة سجيسَ (٣) الليالى ولا زوافِرُ (٤) عِزٍّ يُفتقَر إليكُم ، وما أنتم إلا كإبلٍ ضَلَّ رعاتُها ، فكلما جمعت من جانبٍ انتشرت من آخر، لبئس لعمرالله سَعرُ (٥) نارِ الحرب أنتم. تُكادون ولاتَكيدون وتُنْقَصُ أطرافكم فلا تمتعضون ، لا يُنام عنكم وأنتم فى غفلةٍ ساهون . غلِب والله المتخاذلون . وايم الله إنى لأَظُنّ بِكم أن لو حمِسَ الوغَى (٦) واستَحرَّ الموت قد انفرجتم عن ابن أبى طالب انفراج الرأس (٧) . والله إن امرءا يمكِّن عدوه من نفسه ، يَعرُقُ لَحمَهُ (٨) ويهشِم عَظمَه ، ويفرِي جِلدَه — لعظيمٌ عجزُه ، ضعيف ما ضُمَّتْ عليه جوانحُ صَدرِهِ (٩) . أنتَ فكُن ذاك إنْ شئْتَ ، فأمّا أنا فوالله دُون أن أعطِى ذلك ضرب بالمشرَفيةِ يطير منه فَرَاش الهام (١٠) ، وتطيح السواعد والأقدام ، ويفعل الله بعد ذلك مايشاء . أيها الناس إن لى عليكم حقا ، ولكم على حق ، فأمّا حقكم علىّ فالنصيحة لكم ، وتوفير فيئِكم (١١) عليكم ، وتعليمكم كى لاتجهلوا وتأديبكم كيما تعملوا ، وأما حقى عليكم فالوفاء بالبيعة ، والنصيحة فى المشهد والمغيب والإجابة حين أدعوكم ، والطاعة حين آمركم .

---

(١) يرتج عليكم : يغلق فلا تهتدون لفهمه . حوارى : محاورتى .

(٢) مألوسة : مخلوطة . (٣) سجيس الليالى : طول الليالى ، أى أبدا .

(٤) الزوافر : جمع زافرة : عشيرة الرجل أو ركن البناء .

(٥) السعر هنا : الوقود من سعر النار أوقدها .

(٦) حمس الوغى : اشتدت الحرب . استحر : بلغ غاية شدته .

(٧) أى انفراجا لا يلتئم . (٨) أى يأكل لحمه لا يبقى منه شيئا على العظم : و يفرى : يمزق .

(٩) جوانح الصدر : ضلوعه ، والمراد القلب .

(١٠) المشرفية : السيوف تنسب إلى قرى تدنو من الريف مشارف الشام . الهام : الرءوس ، جمع هامة . وفراشها : عظامها الرقيقة . (١١) الفىء : الخراج ومايحويه بيت المال .

وكتب الى مُعاوية جوابا عن كتاب منه (١) :

أمَّا طَلَبُكَ إلىّ الشامَ فإنى لم أكُنْ لأُعطِيَكَ اليوم مامنَعْتُك أمس . وأما قولُكَ إنَّ الحربَ قد أكلَتِ العربَ إلا حُشَاشَاتِ (٢) أنفُسٍ بَقِيَت ، ألَا وَمَنْ أكلَهُ الحقُّ فإلى الجنة ، ومن أكلَهُ الباطلُ فإلى النار . وأما استواؤُنا فى الحربِ والرجال فلستَ بأمضى على الشكِّ مِنّى على اليقين ، وليس أهلُ الشام بأحرصَ على الدُّنيا من أهل العِراقِ على الآخرة . وأما قولُك إنَّا بنو عبد مناف فكذلك نحن ولكن ليس أُميَّةُ كهاشم ، ولا حَرْبٌ (٣) كعبد المطلب ، ولا أبو سفيان كأبى طالب . ولا المهاجر كالطليق (٤) ، ولا الصريح كاللَّصِيقِ (٥) ، ولا المُحقّ كالمُبطِلِ ، ولا المؤمن كالمُدْغِلِ (٦) ، ولبئس الخَلَفُ يتبع سَلَفًا هَوَى فى نَارِ جهنَّم . وفى أيدينا بعدُ فَضْلُ النُّبوَّةِ التى أذللنا بها العزيز ونَعَشْنَا بها الذليلَ . ولمَّا أدخل الله العرب فى دينه أفْوَاجًا أسْلَمَتْ له هذه الأُمَّةُ طوعًا وكَرْهًا ، وكنتم مِمَّن دخل فى الدِّينِ إما رغبة وإما رهْبَةً (٧) ، على حين فازَ أهلُ السَّبقِ بسبقِهم وذهب المهاجرون الأولون بفضلهم ، فلا تَجْعَلْ للشيطان فيك نصيبًا ولا على نفسك سبيلا .

---

(١) كتب معاوية الى على يطلب منه أن يترك له الشام و يدعوه للشفقة على العرب الذين أكلتهم الحروب و يخوّفه و يذكر له أنهما من شجرة واحدة فأجابه على بهذا الكتاب .

(٢) حشاشات : جمع حشاشة : بقية الروح .

(٣) حرب : جدّ معاوية ، وعبد المطلب : جدّ على .

(٤) الطليق : من أسر فأطلق بالمن عليه أو الفدية . ومن ذلك معاوية وأبوه .

(٥) الصريح : صحيح النسب فى ذوى الحسب . واللصيق : من ينتمى اليهم وهو أجنبى .

(٦) المدغل : المفسد .

(٧) أى رغبة فى خير أو خوفا من شر ، أى غير مخلصين

(٧) خطبة معاوية حين قدم المدينة عام الجماعة [١]

حمد الله وأثنى عليه ثم قال :

أما بعد، فإني والله ما وَلِيتُها بمحبة علمتُها منكم، ولا مسرةٍ بولايتي،[٢] ولكن جَالَدْتُكُمْ[٣] بسيفي هذا مُجالَدَةً . ولقد رُضْتُ[٤] لكم نفسي على عمل آبن أبي قُحَافة[٥]، وأردتها على عمل عُمَرَ فنفرت من ذلك نِفارًا شديدًا، وأردتها على سُنَيَّات عثمان فأَبَتْ عليّ . فسلكت بها طريقا لى ولكم فيه منفعةٌ، مؤاكلةٌ حسنة ومشاربة جميلة . فإن لم تجدونى خيرَكم فإني خيرٌ لكم ولاية . والله لا أحمل السيف على من لا سيف له . وإن لم يكن منكم إلا ما يَسْتَشْفِي به القائل بلسانه فقد جعلت ذلك له دبر أذني[٦] وتحت قدمى . وإن لم تجدونى أقومُ بحقكم كلّه فاقبلوا منى بعضَه . فإن أتاكم منى خيرٌ فاقبلوه، فإن السيل إذا جاء أَثرى، وإن قَلَّ أغنى[٧] . وإياكم والفتنةَ فإنها تُفسِدُ المعيشة وتكدِّر النعمة .

---

(١) هو معاوية بن أبي سفيان بن حرب الأموى القرشى ولد إبان ظهور الاسلام وورث من أهله حصافة وحسن حيلة . كان يتطلع الى الملك فلما مات عثمان، وكان هو على الشام نازع عليا الخلافة . وكانت بينهما أحداث وفتن استعان معاوية فيها بدهائه حتى اذا قتل على وخلفه الحسن وشغب عليه جنده صالح الحسن ابن على معاوية عام ٤١ هـ . وقد سمى عام الجماعة ، وبذلك قامت الدولة الأموية على يد معاوية وكان معاوية بليغا وان كان لا يبلغ شأو على ومات سنة ٦٠ هـ .

(٢) أى الخلافة .

(٣) جالدتكم : ضاربتكم .

(٤) ذللتها ومرنتها .

(٥) هو أبو بكر أول الخلفاء .

(٦) دبر أذنى : خلفها ، أى أتركه .

(٧) أثرى الناس : جعلهم أثرياء . وأغناهم جعلهم مكتفين لا يحتاجون

(٨) خطبة زياد[1] البتراء بالبصرة حين قدم واليا عليها من قبل معاوية

أما بعدُ، فإن الجهالةَ الجَهلاءَ[2] . والضلالةَ العَمياء[3]، والغَىَّ المُوفِىَ بأهله على النارِ، ما فيه سُفهاؤكم ويشتملُ عليه حُلَماؤكم[4]، من الأمور العظامِ، ينبُت فيها الصغيرُ، ولا يتحاشى عنها الكبيرُ، كأنكم لم تقرءوا كتابَ الله، ولم تسمَعُوا ما أعد الله من الثَّواب الكريم لأَهلِ طاعتِه ، والعذابِ العظِيم لأهلِ معصيتِه، فى الزمن السَّرْمدى[5] الذى لا يزول . أتكونون كَمَن طرفَتْ عينيْه الدنيا، وسدَّتْ مسامعه الشهواتُ[6] ، واختارَ الفانيةَ على الباقية ، ولا تَذكرون أنكم أحدثتُمْ فى الإسلام الحدَثَ الذى لم تُسبَقوا اليه، مِن ترككم الضعيفَ يُقهر ويؤخذُ مالُه . ما هذه المواخيرُ[7] المنصوبة ، والضعيفةُ المسلوبة فى النهار المبصِر ، والعددُ غيرُ قليل ؟ ألم يكن منكم نُهاةٌ تمنَعُ الغُواةَ عن

---

(١) ينتسب زياد ابن أبيه الى أبى سفيان . ولد فى السنة الأولى للهجرة . وكان منذ صغره ذكيا هماما سديد الرأى ولى بعض الأعمال فكان مثال الصرامة والكياسة . ثم استلحقه معاوية أخا له بعد مقتل على . وبقى من رجال الدولة المعدودين حتى مات سنة ٥٣ هـ وتدل خطبة زياد على شخصية عنيفة فى الدين السياسة ، تعدّ حلقة الاتصال بين عمر بن الخطاب والحجاج ويعتمد فى تأثيره الخطابى على الارهاب والوعيد فى أسلوب جزل . وقالوا : انما سميت خطبته هذه البتراء لعدم بدئها بحمد الله وقيل غير ذلك .

(٢) جهالة جهلاء : شديدة مثل ليلة ليلاء .

(٣) الضلالة العمياء : التى لا هدى معها .

(٤) السفيه : سيئ الخلق وضده الحليم .

(٥) السرمدى : الدائم .

(٦) كناية عن تمكن الشهوات من نفوسهم وانصرافهم الى متاع الدنيا .

(٧) المواخير : جمع ماخور : بيت الريبة والفحش .

دَلَجِ الليل وغارةِ النهار، قرّبتم القرابة، وباعدتُم الدينَ، تعتذِرون بغيرِ العُذر، وتَغُضّون على المختلس، كلُّ امرئٍ منكم يذُبُّ عن سفيهه، صنيعَ مَن لا يخافُ عاقبةً، ولا يرجو معادًا، ما أنتم بالحلماء، ولقد اتّبعتم السفهاء فلم يزَلْ بكم ما ترَون من قيامكم دُونهم (٢) حتى انتهكوا حُرَم الإسلام، ثم أطرقُوا وراءكم كُنوسا فى مَكَانِس الرِّيَب (٣). حرامٌ علىَّ الطعامُ والشَّرابُ حتى أُسَـوِّيَهَا بالأرض هَدْمًا و إحراقًا . إنى رأيت آخر هذا الأمر لا يَصلُح إلا بما صَلَح به أوّلُهُ : لين فى غيرِ ضعف، وشِدّةٌ فى غير عنف . وإنى أُقسِمُ بالله لآخُذَنَّ الوَلِيَّ بالمَوْلَى (٤)، والمُقيمَ بالظَّاعِن، والمُقْبِلَ بالمُدْبِرِ، والمطيعَ بالعاصى، والصحيحَ بالسقيم؛ حتى يلقى الرجلُ منكم أخاه فيقول : انْجُ سَعْدُ فقد هلك سُعَيد (٥) أو تستقيمَ قَنَاتُكمْ (٦) ! إنَّ كِذْبَةَ الأميرِ بلقاءُ مشهورة؛ فاذا تعلّقتم علىَّ بِكَذْبةٍ فقد حلّتْ لكم معصيتى، فاذا سمِعتُموها منى فاغتمزوها فِىَّ (٧)، واعلموا أنَّ عندى أمثالَهَا . مَن نُقِبَ منكم عليه فأنا ضَامِنٌ لمـا ذهب من مَالِه . فإيّاىَ ودَلَجَ الليلِ؛ فإنى لا أُوتَى بمُدلِـجٍ إلا سَفَكْتُ دمه، وقد أجّلْتُكُم فى ذلك بمقدار ما يأتى الخبرُ الكوفةَ و يرجع اليكم . و إياى ودَعْوَى الجاهلية (٨)؛ فإنى لا أجد أحَدًا دعا بها إلا قَطَعْتُ لسَانَهُ . وقد أحدثتم أحداثًا لم تكن؛

---

(١) دلج الليل : السير فيه . والمراد التلصص والفتك .

(٢) قيامكم دونهم : دفاعكم عنهم .

(٣) الكنوس : جمع كانس، وهو الظبي يدخل فى كناسه أى مأواه . والمراد أنهم عكفوا على المعاصى

(٤) الولى : السيد . والمولى : العبد . والمراد أنه يأخذ السيد بذنب عبده . وكذا الباقى .

(٥) مثل يضرب لتتابع الشر . وأصله أن أخوين خرجا فى طلب إبل لهما فرجع سعد ولم يرجع سعيد .

(٦) المراد حتى تستقيموا . وشبههم بالقناة وهى عود الرمح .

(٧) اغتمزوها فى : عدّوها من عيوبى .

[illegible] ، أصلها يا لفلان استغاثة .

وقد أحدثنا لكلِ ذنب عقوبةً؛ فمن غرَّق قومًا أغرقناه، ومن أحرق قومًا أحرقناه، ومَن نَقَبَ بيتاً نقبنا عن قلبه، ومَن نبش قبراً دَفَنَّاه فيه حياً . فكُفُّوا عَنِّي أيديَكُم وألسنتكم أكْفُفْ عنكم يدى ولسانِي . ولا تظهرْ من أحدكم ريبةٌ بخلاف ما عليه عامَّتُكُم إلا ضَربتُ عُنُقَهُ . وقد كانت بَيني وبَينَ أقوامٍ إحَنٌ[1]، فجعلتُ ذلك دَبْرَ أُذُنِي[2] وتحت قَدَمِي . فمَن كان منكم محسنًا فليزدَدْ إحسانًا، ومَنْ كان منكم مُسيئا فلينزِعْ عن إساءته . إنِّى لو علمتُ أنَّ أحدَكم قد قتَلَه السُّل من بُغْضِي لم أكشِف له قِناعا، ولم أهْتِك له سِتْرًا حتى يُبْدِيَ لى صفحته[3]، فإذا فَعَلَ ذلك لم أُناظِرْهُ . فاستأنفوا أموركم، وأعِينُوا على أنْفُسِكُم، فربَّ مُبتَئِسٍ بِقُدُومِنا سيُسَرُّ ومسرورٍ بقدومنا سيَبتَئِس . أيُّها الناس! انَّا أصبحنا لكم ساسةً، وعنكم ذادةً[4] : نَسُوسُكُم بسلطان الله الذى أعطانا، ونَذُود عنكم بِفَيْءِ الله الذى خَوَّلَنَا[5]؛ فلنا عليكم السمعُ والطاعةُ فيما أحْبَبْنَا، ولكم علينا العدلُ فيما وَلِينا؛ فاستوجِبوا عدلنا وفيأنا بمُنَاصَحَتِكُم لنا . واعلموا أنى مهما قصَّرت عنه فلن أقصِّر عن ثلاث : لستُ محتجبًا عن طالِب حاجةٍ منكم، ولو أتانى طارقًا بليل، ولا حابِسًا عطاءً ولا رزقًا عن إبَّانِه[6]، ولا مُجَمِّرًا[7] لكم بعثًا . فادعُوا الله بالصلاح لأئمَّتكم؛ فإنهم ساسَتُكم المؤَدِّبون لكم، وكَهفُكُم الذى اليه تأوون، ومتى يصلُحُوا

(١) الإحن : جمع إحنة : الحقد .

(٢) أى خلفها : والمراد أنى طرحت ذلك .

(٣) صفحة الرجل : عرض وجهه . والمراد حتى يجهر بالعداوة .

(٤) ذادة : حماة، جمع ذائد أى مدافع .

(٥) الفيء : مال الخراج أو الغنيمة و يطلق على الظل كناية عن الحمى .

(٦) إبان الشيء : أوانه .

(٧) تجمير الجند أو البعث حبسهم فى أرض العدو .

تَصلُحُوا . ولا تُشرِبُوا قلوبكم بُغْضَهم فيشتد لذلك غيظُكم ، ويطُول له حُزْنُكم ، ولا تُدرِكُوا حاجتكم ، مع أنه لو استُجيبَ لكم فيهم لكان شرًّا لكم (١) . أسأل الله أن يُعين كُلًّا على كُلّ . وإذا رأيتُمونى أُنفِذُ فيكم الأمر فأَنفذوه على أَذْلالِه (٢) . وآيمُ الله إن لى فيكم لَصَرعَى كثيرةً ، فليحذَرْ كل آمرئ منكم أن يكون من صَرْعاى .

(٩) خطبة عبد الله بن الزُّبير بعدَ أن قُتِل أخوه مُصْعَب (٣)

الحمد لله الذى لَهُ الخَلْقُ والأمر ومُلْكُ الدنيا والآخرة يُعِزُّ مَن يشاء ويذِلُّ من يشاء . ألا إنه لم يَذِلَّ والله مَنْ كانَ الحقُّ مَعَـهُ ، وإن كان مُفْردًا ضَعيفًا ، ولم يَعِزَّ مَن كانَ الباطلُ مَعَهُ ، وإن كانَ فى العُدَّةِ والعَدد والكَثْرة . إنه قد أتانا خبرٌ مِنَ العِراق بلدِ الغَدْرِ والشِّقاقِ ، فساءنا وسرنا : أتانا أنَّ مُصعبًا قُتِلَ ، رحمةُ الله عليه ومغفرتُه ، فأما الذى أحزننا من ذلك فإن لِفراق الحميم لَذْعَةً يجدها حَميمُه عند المصيبة ، ثم يَرْعَوِى (٤) بعدُ ذُو الرأى والدين الى جَميل الصبر ، وأما الذى سرَّنا منه فإنا قد علِمنا أن قَتلَهُ شهادةٌ لَهُ وأنه عز وجل جاعلٌ ذلك لنا ولهذخيرة إن شاء اللهُ تعالى . إن أهلَ

---

(١) أى لو دعوتم عليهم فهلكوا لا تجدون عوضا عنهم .

(٢) أى على طرقه ووجوهه .

(٣) هو عبد الله بن الزبير بن العوام يكنى أبا بكر وأبا خبيب . ولد بعد الهجرة بقليل ، وكان شجاعا باسلا خرج على بنى أمية وطلب لنفسه الخلافة . واستمر تسع سنين استولى فيها على الحجاز والعراق واليمن ومصر واستمر يناجز جيوش الدولة حتى أرسل اليه عبد الملك بن مروان الحجاج فحاصره بمكة مدة حتى قتل ابن الزبير سنة ٧٤ هـ . وكان مصعب أخوه واليا على العراق من قبله حتى دهمته جيوش عبد الملك وقتلته نحو السنة الثانية والسبعين للهجرة .

(٤) يرعوى : يرجع .

العِراقِ أسلموه ، وباعوه بأقل ثمن . لقد قُتِلَ أبوهُ وعمُّه وأخوه وكانوا خِيار الصالحين . إنّا والله ما نموت حَتْفَ أُنُوفِنا (١) ، ما نموتُ إلا قتلا ، قَعْصًا بالرِّماح (٢) وتحت ظِلال السُّيوف ، وليس كما يموت بنو مروان ، والله ما قُتِل منهم رجل فى جاهلية ولا إسلامٍ قَطُّ . وإنما الدنيا عارِيةٌ (٣) من الملكِ القهار الذى لا يزول سلطانه ، ولا يَبيدُ مُلْكُه ، وإن تُقْبِلِ الدنيا علىّ لا آخُذْهَا أخذ الأَشِرِ البَطِرِ (٤) ، وإن تُدْبِرْ عنى لا أبْكِ عليها بكاءَ الخرِفِ المهينِ (٥) .

(١٠) خطبة لِقَطَرِيِّ بن الفُجاءة (٦)

حمد الله وأثنى عليه ثم قال :

أمّا بعدُ ، فإنى أُحَذِّرُكُمُ الدُّنيا فإنها حُلْوَةٌ خَضِرةٌ ، حُفَّتْ بالشهوات ، وراقَتْ بالقَليل (٧) وتَحَبَّبتْ بالعاجِلة ، وحَلِيَتْ بالآمال ، وتَزَيَّنَتْ بالغرور . لا تَدُوم حَبْرتُها (٨) ، ولا تُؤْمَنُ فَجْعَتُها ، غَرّارةٌ ضَرّارة ، خَوّانة غَدّارة ، وحائلة (٩) زائلة ، ونافدةٌ بائدة ، أكّالةٌ غوّالةٌ .

---

(١) مات حتف أنفه : على فراشه .

(٢) قعصه بالرمح : قتله فى مكانه .

(٣) أى شىء مستعار .

(٤) بطر بالنعمة : طغى بها . والأشر : المرح .

(٥) الخرف : فاسد العقل . والمهين : الدليل الوضيع .

(٦) قطرى بن الفجاءة المازنى خطيب شاعر من أبطال الخوارج وقادتهم وبلغائهم . خرج زمن بنى أمية ، ودعا لنفسه بالخلافة عشرين سنة حتى قتل بطبرستان سنة ٧٩ هـ . وقد ترجمنا له فى قسم شعراء السياسة .

(٧) راقت الأعين بقلة متاعها ، وتحببت الى النفوس بكونها عاجلة ليست آجلة كالأخرى .

(٨) حبرتها : نعمتها .   (٩) حائلة : متغيرة .

لا تَعْدُو إذا هى تناهتْ إلى أُمنيَّةِ أهل الرغبةِ فيها والرضا عنها أن تكونَ كما قال الله تعالى ﴿ كماءٍ أنزلناهُ من السماءِ فاختَلَطَ به نباتُ الأرضِ فأَصْبح هَشِيما[1] تَذْرُوهُ الرِّيَاحُ[2] وكان اللهُ على كُلِّ شىءٍ مقتدرا ﴾ مع أنَّ آمرأ لم يكن منها فى حَبْرَةٍ إلَّا أَعْقَبَته بعدها عَبْرةً[3]، ولم يلق من سَرَّائها بَطْناً إلَّا مَنَحَتْهُ من ضَرَّائهَا ظَهْراً[4]، ولم تَطُلَّه فيها غَيْثَةُ رخاء إلا هَطَلت عليه مُزْنَةُ بلاء[5]. وحرِىٌّ إذا أصبحتْ له مُنْتَصِرَةً أن تُمْسىَ له خاذِلة متنكرة، وإنْ جانبٌ منها اعْذَوْذَبَ[6] وَاحْلَولى . أمَرَّ عليه جانب وأوْبا[7] . وإن آتَتْ آمرأً من غَضَارَتِها[8] ورفاهتها نِعَماً أرهقته من نَوائبها نِقَماً . ولم يُمْس امرؤٌ منها فى جناح أمن إلا أصبح منها على قَوادِم خَوْفٍ[9] . غرَّارةٌ، غَرُورٌ ما فيها ؛ فانٍ ما عليها ، لا خير فى شىء من زادها إلا التقوى . من أقلَّ منها استكثر مِمَّا يُؤَمِّنه ، ومن استكثر منها استكثر مما يُوبِقُهُ[10] ويُطيل حُزنه ، ويبكى عينيه . كم واثِقٍ بِهَا قد فَجَعتْهُ ، وذى طُمَأْنِينةٍ اليها قد صَرَعتْهُ ، وذى احتيَالٍ فيها قد خدعتْهُ ، وكم مِنْ ذِى أُبَّهَةٍ بها ، قد صيرَّته حقيراً وذِى نَخْوةٍ قد رَدَّتْهُ ذليلا .

---

(١) أى أنها إذا وصلت بأهل الرغبة فيها إلى أمانيهم فلا تجاوز وصف الله تعالى لها بهذه الآية .

(٢) الهشيم : النبت اليابس المكسر .

(٣) العبرة : الدمعة قبل أن تفيض أى أحزنته .

(٤) كنى بالبطن والظهر عن الاقبال والإدبار .

(٥) طلت السماء : أمطرت . والطل : المطر الضعيف . والمزنة : السحابة الممطرة .

(٦) أى عذب . (٧) أوبا : أصله أوبأ أى صار ذا وباء .

(٨) الغضارة : النعمة والسعة والخصب .

(٩) القوادم : الريش الكبير فى مقدّم الجناح ، و يقابلها الخوافى .

(١٠) يوبقه : يهلكه .

(١١) خطبة للحجاج حين ولى العراق[1]

أنا ابن جَلَا وطلّاعُ الثّنَايا ... متى أضعِ العِمامةَ تعرِفُونى[2]

يأهـل الكوفة ! إنى لأرى رءوسا قد أينعت[3] وحان قطافُها ، وإنى لصاحِبُها . وكأنى أنظر إلى الدماء بين العمائم واللحى .

ثم قال :

هذا أوان الشَّدِّ فاشتَدِّى زِيَمْ ... قد لَفَّها اللّيـلُ بسوّاقٍ حُطَمْ[4]

ليس براعى إبـلٍ ولا غَـنَمْ ... ولا بجـزّارٍ على ظَهْـرِ وَضَمْ[5]

ثم قال :

قد لَفّها الليل بِعَصْلَبِىّ ... أروعَ خرّاجٍ من الدّوِّىّ[6]

مُهاجرٍ ليس بأعرابىّ

---

(١) يعدّ الحجاج بن يوسف الثقفى ثالث ثلاثة طبعوا الخطابة الإسلامية طابعا خاصا فى عهـدها الأول ، أولهم على بن أبى طالب ، وثانيهم زياد . وقد شب الحجاج شجاعا داهية عنيفا . وحاكما مستبدا . خدم بنى أمية ولا سيما عبد الملك فى توطيد الملك وإسكان الثورات حتى مات سنة ٩٥ هـ . وتدل خطبته على خواصه النفسية ومذهبه فى السياسة والحكم ، وأسلوبه الفنى الذى يعتمد على الإرهاب وعلى التفخيم اللفظى وبهذه الخاصة الأخيرة يمتاز عن زياد كما يمتاز بمس جاهلية عنيفة .

(٢) ابن جلا : أى ابن رجل جلا الأمور وكشف الصعاب . الثنايا جمع ثنية : وهى الطريق فى الجبل أو الجبل نفسه ، والمراد : القادر الشجاع .

(٣) أينعت : أدركت ونضجت .

(٤) زيم : اسم فرس أو ناقة . ولفها : جمعها . والحطم الذى لا يبقى من السير شيئا .

(٥) الوضم : ما يقطع عليه اللحم .

(٦) العصلبى : الشديد . والأروع : الذكى . والدوى : الصحراء المتسعة . والمراد الخرّاج من كل غماء شديدة .

وقال :

قد شمّرتْ عن ساقِها فَشُدُّوا ... وجدّتْ الحربُ بكم فجِدُّوا (١)

والقوسُ فيها وترٌ عُرُدٌّ ... مثلُ ذِراعِ البَكْرِ أو أشدُّ (٢)

لا بُدَّ ممّا ليسَ منه بُدُّ (٣)

إنّي واللهِ يأهلَ العراقِ ما يُقعقعُ لي بالشِّنانْ (٤) ، ولا يُغمزُ جانبي كتغمازِ التِّين . ولقد فُرِرْتُ عن ذَكاءٍ (٥) ، وفُتِّشْتُ عن تجربة . وإن أميرَ المؤمنين — أطال الله بقاءه — نثرَ كِنانتَه بين يديه (٦) ، فعجمَ عِيدانَها ، فوجدني أمرَّها عُودًا ، وأصلبَها مَكْسِرًا (٧) ، فرماكم بي ؛ لأنّكم طالما أوضعتُم في الفِتْنة (٨) ، واضطجعتُم في مَراقِدِ الضّلال . واللهِ لأحزِمنّكم حزمَ السَّلَمة (٩) ، ولأضربنّكم ضربَ غرائبِ الإبلِ (١٠) ؛ فإنكم لكأهلِ قريةٍ كانت آمنةً مطمئنةً يأتيها رِزقُها رغدًا من كُلّ مكانٍ فكفرتْ بأنعُمِ الله فأذاقها الله لباس

(١) شمر عن ساقه : اهتم وجد ؛ كناية عن قيامها .

(٢) عرد : شديد . البكر : الفتى من الإبل .

(٣) أي لا بد من وقوع المحتم .

(٤) الشنان جمع شن : وهو الجلد اليابس إذا قعقع أي ضرب نفرت الابل منه ؛ يضرب ذلك مثلا لنفسه أي أنه لا يرهبه وعيد أو تخويف .

(٥) فر الدابة : كشف عن أسنانها لينظر ما سنها . وفر عن الأمر : بحث عنه . والمراد أن الخليفة اختبره حاكما لحدة ذكائه وصحة تجاربه .

(٦) الكنانة : جعبة السهام . وعجم عيدانها : عضها لينظر أيها أصلب . وهذا وما بعده كناية عن أنه اختبر أعوانه فوجدني أصلح لحكمكم . (٧) أي أقواها .

(٨) أي أسرعتم في الشر .

(٩) السلمة : نوع من الشجر تعصب أغصانه وتخبط بالعصي لسقوط الورق وهشم العيدان .

(١٠) وهي تضرب عند الهرب أو الحوض .

الجُوع والخوفِ بما كانوا يصنَعونَ . وإنى والله ما أقول إلا وفيْتُ، ولا أهُمُّ إلا أَمضيتُ ، ولا أخلُق[1] إلا فَرَيْتُ[2] . وإن أميرَ المؤمنين أمرنى بإعطائكم أعْطياتِكُمْ ، وأن أوجهَكُم لمحاربة عَدُوِّكم مع المُهَلَّب بن أبى صُفْرة[3] . وإنى أقسمُ بالله لا أَجِدُ رجلا تَخَلَّف بعد أخذِ عطائه بثلاثة أيام إلّا ضربتُ عنقه .

(١٢) من رسالة عبد الحميد بن يحيى[4] التى أوصى فيها الكتّاب

بسم الله الرحمن الرحيم

أما بعدُ — حَفِظكم اللهُ يا أهلَ صِناعَةِ الكِتَابة وحَاطَكُم ووفقكم وأرشدكم — فإن الله عزَّ وجلّ جعلَ النّاسَ بعد الأنبياء والمرسَلين صلوات الله وسلامُه عليهم أجمعين، ومِنْ بَعْدِ الملوك المكرَّمين أصنافا ، وإن كانوا فى الحقيقة سواءً، وصَرَّفهم فى صُنُوف الصناعاتِ وضُرُوبِ المحاولات ، الى أسبابِ مَعايشهم ، وأبوابِ أرزاقهم ، فجعلكم معشرَ الكُتّاب فى أشرفِ الجهاتِ أهلَ الأدب والمُرُوءات والعِلم والرَّزانة ، بكم تَنْتَظِم للخلافة مَحَاسِنُها ، وتَستقيم أمورُها ، وبنصائِحكم يُصْلِحُ الله للخلْقِ سُلْطَانَهم ، وتَعْمُر

---

(١) أقدر . (٢) فريت : قطعت .

(٣) هو أبو سعيد المهلب بن أبى صفرة الأزدى البصرى قائد أموى ولد بالبصرة ونشأ فيها وظهر أمره بمقاتلة الخوارج . وقد ولاه الحجاج خراسان وبها مات سنة ٨٢ هـ .

(٤) هو عبد الحميد بن يحيى بن سعيد العامرى نشأ بالأنبار من أرض العراق وشب معلم صبيان ثم صحب مروان بن محمد مدة ولايته أرمينية ثم مدة خلافته واستمر وفيا له فى محنته حتى قتلا سنة ١٣٢ هـ . ويعد عبد الحميد شيخ كتاب الرسائل فله الفضل فى تسليس أسلوبها وحسن تقسيمها ، وجعلها واضحة طيعة لا يجاريه فى ذلك أحد وله رسائل طوال ، منها رسالته إلى الكتاب التى نورد هنا قسما منها .

بُلْدَانُهم . لايَسْتَغنِي الملِكُ عنكم ، ولا يُوجَدُ كافٍ إلّا منكم ؛ فموقعُكم من المُلوك موقعُ أسْماعِهم التى بها يَسْمعون ، وأبصارِهم التى بها يُبصِرُون ، وألسنتِهم التى بها ينطِقون ، وأيديهم التى بهـا يبطِشُون[1] . فأمتعَكُمُ الله بمـا خصَّكُمْ مِن فَضْلِ صِناعَتِكُمْ ، ولا نَزَعَ عنكم ، ما أَضْفَاهُ[2] من النِّعْمَةِ عليكم . وليس أحد من أهـل الصناعات كُلِّها أحْوَجَ الى اجتماع خِلال الخيرِ المحمودة وخِصال الفَضْل المذكورةِ المعدودة منكم ، أيهـا الكُتّابُ : إذا كنتم على ما يأتى فى هـذا الكتاب من صِفَتِكُمْ ، فإن الكاتبَ يحتاجُ فى نفسه ويحتاجُ منه صاحبُه الذى يثِقُ به فى مُهِمّاتِ أموره أن يكونَ حليماً فى موضِعِ الحِلم ، فَهِيماً فى موضِعِ الحُكْم ، مِقْدَاماً فى موضِعِ الإقدام ، مِحْجَاماً فى مَوْضعِ الإحجام ، مُؤثِراً للعَفَافِ والعـدلِ والإنْصاف ، كَتُوماً للأَسرارِ ، وَفِيّاً عند الشدائد عالمـاً بمـا يأتى من النَّوازِلِ ، يَضَعُ الأمور فى مَوَاضِعِها والطَّوَارِقَ فى أماكِنها ، قد نظر فى كُلِّ فنٍّ من فُنون العِلْم فأحكَمَهُ ، و إن لم يُحكِمْه أخَذَ منـهُ بِمقدار ما يُكتَفَى به ، يعرِفُ بغريزةِ عَقلِه وحُسْنِ أَدبِه وفضلِ تجربتِه ما يَرِدُ عليه قبل وُرُودِه ، وعاقِبة ما يَصْدُرُ عنه قَبْلَ صُدُوره ؛ فيُعِدُّ لكلِّ أمرٍ عُدَّته وعَتَادَه ، ويُهيِّئُ لكل وجه هيئتَهُ وعادتَه .

فتنافَسوا يا معشر الكتّاب فى صُنُوفِ الآداب ، وتفَهَّموا فى الدِّين وابدءُوا بعلم كتاب الله عزَّ وجل والفرائض ، ثم العربية ؛ فإنها ثِقَافُ أَلسنتِكم ، ثم أجيدوا الخطَّ فإنه حلية كُتُبِكُم ، وارووا الأشعَار ، واعرِفوا غَرِيبَها ومَعَانيها وأَيَّامَ العَرَبِ والعجم وأحاديثَها وسِـيَرَها ؛ فإن ذلك مُعِينٌ لكم على ما تسمو اليـه هِمَمُكُمْ . ولا تُضَيِّعُوا النَّظر

---

(١) يبطش : يفتك و يعمل .

(٢) أضفاه : أسبغه .

فى الحِسَاب ؛ فإنه قِوَام كُتَّاب الخَرَاج . وارغَبُوا بأنفُسِكم عن المطامع سَنِيِّها ودَنِيِّها وسَفْسَافِ الأمور ومَحَاقِرِها ؛ فإنها مَذَلَّةٌ للرقاب مَفْسَدَةٌ للكُتَّاب . ونزِّهُوا صناعتكم عن الدناءة وآربَئُوا بأنفسكم عن السِّعَاية والنميمة وما فيه أهل الجَهَالَاتِ . وإياكم والكِبْرَ والسُّخْفَ والعَظَمة ؛ فإنها عداوة مُجْتَلَبَةٌ من غير إِحْنَةٍ . وتحابُّوا فى الله عز وجل فى صناعتكم وتواصَوْا عليها بالذى هو أليقُ لأهلِ الفضلِ والعدلِ والنُّبْل من سَلَفِكم .

(د) طائفة من أمثال العرب [1]

فى جاهليتها وإسلامها

إنَّ العَصَا من العُصيَّة [2] — إن العَوانَ لاُتَعَلَّمُ الخِمْرَةَ [3] — إنك لَتُكْثِرُ الحزَّ وتُخْطِئُ المَفْصِل [4] — أولُ الشَّجَرةِ النَّواةُ [5] — إنَّك ريَّانُ فلا تَعْجَلْ بِشُرْبِكَ [6] أَبَرَمًا قَرُونًا [7] — أَحَشَفًا وسُوءَ كِيلة [8] — الحقُّ أبلجُ والباطِلُ لَجْلَج [9] —

---

(١) الأمثال : جمع مثل وهو قول مأثور يمتاز بحسن التعبير وإصابة المعنى وإتقان التشبيه وحسن الإيجاز . وللمثل مورد أى أصل قيل فيه ، ومضرب ، أى موضع استعمال ، فالغرض منه تشبيه الحال الثانية بالأولى .

(٢) يضرب للشىء يشبه أصله .

(٣) العوان : التى سبق لها زوج ، والخمرة كيفية لبس الخمار (الطرحة) . يضرب للرجل العالم بالأمر المجرب له .

(٤) يضرب لمن يجتهد فى السعى ثم لا يظفر بالمراد . الحز : القطع ، والمفصل : ملتقى كل عظمين فى الجسد حيث يكون القطع .

(٥) يضرب للأمر الصغير يتولد منه الكبير .

(٦) يضرب لمن أشرف على إدراك بغيته فيؤمر بالرفق .

(٧) البرم : الرجل الذى لا يدخل مع القوم فى الميسر لبخله . والقرون : الذى يقرن بين الشيئين يأخذهما معا . يضرب لمن يجمع بين خصلتين مكروهتين .

(٨) الحشف : أردأ التمر : والكيلة : طريقة الكيل . مضربه لمن يظلم من وجهين .

(٩) معناه أن الحق واضح بين ليس فيه حيرة .

أمكرًا وأنتَ في الحديد (١) — إنَّ المُنبَتّ لا أرضًا قطعَ ولا ظهرًا أبقى (٢) — إنَّ البلاءَ موكَّلٌ بالمنطق (٣) — أن تردَ الماءَ بماءٍ أكيس (٤) — إن غدًا لناظره قريب (٥) — إنَّ أخاكَ مَن آساكَ (٦) — يداكَ أوكتا وفوكَ نفخ (٧) يُصبِحُ ظمآنَ وفى البحرِ فمُه (٨) .

بلغَ السيلُ الزُّبى (٩) — بينهم عطرُ منشم (١٠) ، تجوعُ الحرةُ ولا تأكلُ بثدييها (١١) — تخبرُ عن مجهولِهِ مرآته (١٢) — ترى الفتيانَ كالنَّخلِ ، وما يُدريكَ ما الدَّخلُ (١٣) — ثارَ حابلُهم على

---

(١) يضرب لمن أراد المكر وهو مقهور .

(٢) المنبت : المنقطع عن أصحابه فى السفر بسبب جهاده دابته ، الظهر : الدابة . يضرب لمن يبالغ فى طلب الشيء بإفراط حتى يعجزعنه فيضيعه .

(٣) يضرب للكلمة تجلب الشر .

(٤) يضرب فى عدم التفريط فيما تملك اتكالا على الموهوم .

(٥) يضرب فى قرب المأمول .

(٦) يضرب للصديق المخلص .

(٧) أراد رجل عبور النهر على زق فنفخ فيه فلم يحكمه ، فلما توسط النهر خرج منه الهواء فغرق ، فاستغاث برجل ؛ فقال له هذا المثل ، يضرب لمن يجنى على نفسه الحين .

(٨) يضرب لمن يعاشر بخيلا مثريا .

(٩) الزبى : جمع زبية ، وهى مصيدة الأسد تكون فى قلل الجبال اذا بلغها السيل كان مجحفا — يضرب لبلوغ الأمر أشده .

(١٠) يضرب فى الشر العظيم ، ومنشم : عطارة كانت تطيب المحار بين من طيبها فيفنون فى الحرب . فكان يقال أشأم من عطر منشم .

(١١) أى لا تكون ظئرا ، وان آذاها الجوع : يضرب لمن يصون نفسه عن خسيس المكاسب .

(١٢) أى منظره يخبر عن مخبره (حقيقته) .

(١٣) يضرب لروعة المظهر مع سوء المخبر .

نابِلِهم (١) — جَعْجَعة ولا أرى طِحْنًا (٢) — جَرْيُ المُذْكِياتِ غِلاب (٣) — جَوِّعْ كَلْبَكَ يَتْبَعْكَ (٤) — حَلَبَ الدَّهْرَ أَشْطُرَهُ (٥) — حَذْوَ القُذَّةِ بالقذة (٦) — حَرِّكْ لَهَا حِوارَهَا تَحِنّ (٧) — صار الزُّجُّ قُدَّام السِّنَان (٨) — عند الصَّباح يَحْمَدُ القَوْمُ السُّرَى (٩) — عند النِّطاحِ يُغلَبُ الكَبْشُ الأَجَم (١٠) — عنـد جُهَيْنَةَ الخَبَرُ اليَقِين (١١) — فى بيته يؤتى الحَكَمُ (١٢) — قَبْلَ الرِّمَاءِ تُمْلَأُ الكَنَائِنُ (١٣) — كان كُرَاعًا فَصَارَ ذِراعًا (١٤) — كَلَامٌ كالعَسَل وفِعْلٌ كالأَسَل (١٥) — كُلُّ الصَّيْدِ فِي جَوْفِ الفَرَا (١٦) — كُلُّ فَتاةٍ بأبيها مُعْجَبةٌ (١٧) .

---

(١) الحابل : صاحب الحبالة . والنابل : صاحب النبل ، أى اختلط أمرهم . يضرب فى فساد ذات البين وتأريث الشر فى القوم .

(٢) يضرب لمن يعد ولا يفى ، أو للطهر الخلاب ليس وراءه نفع . والجعجعة : صوت الطحن .

(٣) المذكية من الخيل : التى مضت سنة أو سنتان على قروحها . والغلاب : المغالبة . يضرب لمن يفوز على أقرانه فى الفضل .

(٤) مثل يضرب فى اللئام وكيف يعاملون .

(٥) معناه : أنه اختبر الدهر شطرى خيره وشره ، فعرف ما فيه .

(٦) أى مثلا بمثل ، يضرب فى التسوية بين الشيئين .

(٧) الحوار : ولد الناقة . والمعنى ذكره بعض أشجانه يهج له . قاله عمرو بن العاص لمعاوية حين أراد أن يستفز أهل الشام ، أى أرهم دم عثمان على قيصه ليفزعوا إلى الحرب .

(٨) الزج : الحديدة فى أسفل الرمح ، ويقابله السنان . يضرب فى سبق المتأخر المتقدم من غير أهلية لذلك .

(٩) يضرب لمن يحمل المشقة رجاء الراحة . والسرى : السير ليلا .

(١٠) الأجم : الذى لا قرن له . يضرب لمن غلبه صاحبه بما أعدّ له .

(١١) يضرب للرجل يعرف الشىء على حقيقته .

(١٢) يضرب للرجل تذهب اليه لحاجتك .

(١٣) أى تؤخذ أهبة الأمر قبل وقوعه : والكنائن . جمع كنانة : خريطة السهام .

(١٤) يضرب للذليل الضعيف صار عزيزا قويا . والكراع : مستدق الساق .

(١٥) يضرب فى اختلاف القول والعمل . والأسل : الرماح .

(١٦) الفرا : الحمار الوحشى . يضرب لمن يفضل أقرانه .

(١٧) يضرب فى إعجاب الرجل بما يخصه من عمل أو عشيرة .

أَبيات تَجْرى مَجْرى الأمثال

فإنَّك لم يَفْخَر علَيــك كفاخِرٍ ضعيفٍ ولم يغلِبك مِثْلُ مغلَّب(١)

* * *

وهل يُنبِتُ الخطِّىَّ إلا وشِيجُهُ وتُغْرَسُ إلَّا فى مَنَابِتِها النَّخْل(٢)

* * *

ولَسْتَ بمستبقٍ أخًا لا تَلُمُّــهُ على شعثٍ أىُّ الرجال المهذب(٣)

* * *

حَنَانَيْكَ بعضُ الشَّرِّ أَهْوَنُ مِنْ بَعْضِ(٤)

* * *

إذا أنتَ لم تُعْرِض عَنِ الجَهْلِ والخَنَا أصَبْتَ حَكيمًا أو أصَابَكَ جَاهِلُ(٥)

---

(١) المغلب : الضعيف الذى يغلب دائما ، فاذا قدر عليك لا يتركك (لامرئ القيس) .

(٢) الخطى : الرمح نسبة الى الخط فى البحرين . الوشيج : شجر الرماح ، المفرد وشيجة أى لاينبت القناة الا شجرها ولا تغرس النخل الا بحيث تنبت وتصلح ، والمراد أنه لا يلد الكرام الا الكرام (لزهير) .

(٣) تلمه : تصلحه . والشعث : الفساد ، والمهذب : المنق من العيوب . (المعنى) ليس رجل مبرءا من العيب ، فاذا قطعت إخوانك بذنب لم يبق لك أخ (للنابغة الذبيانى) .

(٤) لطرفة ، وصدره : أبا منذر أفنيت فاستبق بعضنا . الحنان : الرحمة ، والتثنية هنا لقصد الدوام مثل لبيك وسعديك أى رحمة بعد رحمة . والأكثر اضافتها الى ضمير المخاطب .

(٥) الجهل : السفه والشراسة ، والخنا : الفحش ، ومعنى الشطر الآخر أنك تؤذى كريما أو يؤذيك جاهل مثلك ، وكلاهما شر .

تم طبع هذا الكتاب فى يوم ١١ شوّال سنة ١٣٦٤
(١٧ سبتمبر سنة ١٩٤٥) م

مدير المطبعة الأميرية

حامد خضر

المطبعة ا م ٣ ٦٩٩–١٩٤٥–٤٩٠٠٠